

الكتاب

مَحَلَّ كُلِّ الْعِلْمِ فِي الْمَدِينَةِ

تَعْلِيمُ

المعلم الراغب

الطبعة الأولى

المركز

مجلة تراثية فصلية عراقية

تصديرها وزارة الثقافة - دار السوون الثقافية العامة

المجلد الرابع والثلاثون

العدد الثالث - ١٤٢٨ م - ٢٠٠٧

رئيس مجلس الإدارة رئيـس التحرير

فاروق خضر الدليمي د. محمد حسين الأعرجي

هيئة التحرير

نائب رئيس التحرير

احمد عبد زيدان

سكرتير التحرير

محمد الفاهم

الهيئة الاستشارية

اد خديجة الحبيشي

اد جواه مطر الموسوي

اد فليح كريم الزبيدي

اد داود سلوم

اد مالك المطلكي

الاستاذ حسن عربسي

التصحيح اللغوي

سليم سلمان

نجلة محمد

أمل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم

جنان عدنان لطيف

ياسر بدر ياسين

المشاركة السنوية

٥٥ دولاراً في الأقطار

العربية.

لوحة الغلاف / رافع الناصري

عنوان المراسلة

دار السوون الثقافية

العامة - الأعظمية.

ص. ب: ٤٠٢٢ بغداد

جمهورية العراق

هاتف: ٤٤٣١-٤٤

الأسعار

العراق: ٥٠٠ ديناراً /الأردن:

ديناران، الإمارات: ٣٠ درهماً،

اليمن: ٤٠ ريالاً، مصر: ٢

جنيهات، ليبيا: ٢ دنانير،

الجزائر: ١٠ دينارات، تونس:

ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً

المحتوى

الفلاحة

عبد الله أحمد فرايدا رئيس التحرير / ٢

* بحوث ودراسات

— الاحلاف السياسية في مكة ودور

حكومة الملأ فيها د. رياض هاشم النعيمي ٤-١٣

تأثير الحكايات العربية والاسلامية في كتاب

زديج (أو القدر) لفولتير د. داود سلوم ٤-٣٢

بابو سعيد السجستاني عالم في

الفلك والهندسة أحمد محمد جواد الحكيم ٣٢-٣٨

— أصلية البحث النفسي عند ابن رشد

وبعض من أسباب نكبته عجيل نعيم جابر ٣٩-٥٥

— المشهد السومري د. زهير صاحب ٥٦-٦١

— تحقيق النصوص أ.د. عبد الحسين محمد الفتلي ٦٢-٧١

شعر زهير بن أبي سلمى في

— مرويات حماد الرواية أ.د. عبد النطيف حمودي الطائي ٧٢-٨٠

* تصريح مدققة

— ديوان أبي الفتح البيسطي

النسخة الكاملة / القسم السادس شاكر العاشور ٨١-١٠٢

— متشابه القرآن لأبي الحسن على بن حمزة الكسانى /

— القسم الأول دراسة وتحقيق د. محمد حسين آل ياسين ١٠٣-١٢٥

* تلخيص العدد

— كمال ابراهيم العبيدي الأعظمي أ.د. نهاد قلبي حسن العاني ١٢٦-١٣٩

* عرض كتاب

— التبيان في شرح الديوان عباس علي الأوسى ١٤٠-١٥٥

* أدبار المؤذن العربي

— اعداد / حسن عربيي الخالدي ١٥٦-١٦٠

عبد الإله أحمد تراثي

من مشكلات الأدب العربي ومشكلات دارسية أنهم يفهمون أهل التراث العربي، وعلماء من عادوا ربما لا يجد أحد لها اشتراكاً ولا فائدة غير الخطيل الفراهيدي. وهو أعظم ما نتجت الأمة العربية. وأين قبر أبي نواس. وأين قبر العجاج، وبين قبر الشيخ المقيد وبين وبين؟

ولن أطيل فقد غادرنا الدكتور عبد الإله أحمد قبل أشهر، وهو عندي. إن كان لي عنده تراثي أصيل. أمااته تراثي فقد أرخ لم يكن يُعرف هو: المقاومة العراقية القصصية كما بذلت في بدايات القرن العشرين.

وإذا لم يكن القرن العشرين تراثاً فهو كان علينا أن نستحضر ألف عام لكي نكتب تاريخ القصصية العراقية؟!

من هنا يكون الصديق الراحل عبد الإله تراثي، ومن أفضل تراثيين فهو لم يسرق. كما فعل سواه من تحصلوا على دراسة التراث العربي، ونحوه. لم يهدى، ولم يخمن، وإنما عرض علينا القصة العراقية كما هي، وكما نشرها أصحابها ثم درسها، وتقدّمها. يقارب وجود الرأي فيها فكان له من ذلك:



نشأة القصصية وتطورها في العراق، ١٩٠٨ - ١٩٥٦.

في الأدب القصصي العراقي.

فهرست القصصية العراقية.

أعمال محمود أحمد السيد الكاملة بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر.

أعمال ذي النون أيوب الكاملة بالاشتراك مع استاذنا الراحل الدكتور علي جواد الطاهر. وبحوث ومقالات هنا، وهناك، وهناك.

وصديقنا الراحل من تحدث عنه الناس فكانوا يجمعون على ضيق صدره، ولكن أحلاً. إلا من شدّر. لم يسأل نفسه عن هذا الضيق لم كان؟ وعن برمه بالجامعة واسانتتها لم يحدث؟ ولو سألاً لبيان لهم أنه استاذ نادر في عمله، وفي عمله، وفي تقديسه التقاليد الجامعية؛ وإن فهو يعقل أن يقتبس عبد الإله كما تنوسيت أو "عمرو" في تدريس الأدب العربي المعاصر، فينما تدريس المادة بسواء؟ ويناط به تدريس "العربية العامة" في أكاديمية الفنون الجميلة لا شيء إلا أنه عبد الإله المعتمد بنفسه من دون غرور، العارف قيمتها دونما استعلاء. ذو الموقف اليساري الواضح لم يهن فيه ولم يضعفها هل يعقل هذا؟

ولقد رغب إلى أكثر من مرة أن يكون معه لقاء يبوح به بما لقيه من الجامعة، وما لقيته منه، مما منعني من ذلك إلا ما كنت موظفاته من ثقل الغبار الذي سيثيره حوله، وحولها، وحولي.

رحم الله أباً أحمد. وبهذا كنت ناديه. فقد كان نسيج واحد. وكان من أضعاه قومه، كما أضاعوا أباً فراس قبله.

رئيس التحرير

عبد الإله أحمد تراثياً

من مشكلات الأدب العربي ومشكلات دارسية أنهم ينهمون أهل التراث العربي، وعلماء من عادوا
رمما لا يجد أحد لها اثراً، والا فاين قبر البطيل الفراهيدي. وهو اعظم ما تجنبت الأمة العربية. وأين قبر
أبي نواس، وأين قبر الجاحظ، وأين قبر الشيخ النعيم وأين وأين؟!

ولن أطيل فقد غادرنا الدكتور عبد الإله أحمد قبل أشهر، وهو عندي، إن كان لي عنده، تراثي أصيل.
أهناك تراثي فقد أرخ لتراث لم يكن يعرفه هو: **النهاة العرافية القصصية كما بذلت في بدايات القرن**
العشرين

وإذا لم يكن القسرن العشرين تراثاً فهل كان علينا ان ننتظار ألف عام لكي نكتب تاريخ القصة
العراقية !!

من هنا يكون الصديق الراحل عبد الإله تراثياً، ومن أفضل التراثيين؛ فهو لم يسرق، كما فعل سواه
من من تصدروا لدراسة التراث العربي، وتحقيقه، ولم يهدى، ولم يخمن، وإنما عرض علينا القصة العراقية
كمما هي، وكما نشرها أصحابها ثم درسها، ونقدها، يقارب وجود الرأي فيها فكان له من ذلك:

.نشأة القصة العراقية وتطورها في العراق، ١٩٣٢، ١٩٠٨.

.في الأدب القصصي العراقي.

.فهرست القصة العراقية.

.أعمال محمود أحمد السيد الكاملة بالاشتراك مع استاذنا الراحل الدكتور علي جواد الطاهر.

.أعمال ذي النون أيوب الكاملة بالاشتراك مع استاذنا الراحل الدكتور علي جواد الطاهر. وبحوث ومقالات
هنا، وهناك، وهناك.

وصديقنا الراحل من تحدث عنه الناس فكادوا يجمعون على ضيق صدره، ولكن أحداً إلا من ندر.
لم يسأل نفسه عن هذا الضيق لم كان؟ وعن برمه بالجامعة واسانتتها لم يحدث؟ ولو سألوا لبيان لهم أنه
أستاذ نادر في عمله، وفي عمله، وفي تقديره المتفاين الجامعية؛ والأفهل يعقل أن يتناسى عبد الإله كما
تنوسيت او "عمرو" في تدريس الأدب العربي المعاصر، فينما تدرس المادة بسواء؟ ويناطبه تدريسي
"العربية العامة" في أكاديمية الفنون الجميلة لا لشيء إلا لأنه عبد الإله المعتد بنفسه من دون غرور.

العارف قيمتها دونما استعلاء، ذو الموقف اليساري الواضح لم يهن فيه ولم يضعفها هل يعقل هذا؟

ولقد رغب إلى أكثر من مرة أن يكون معه لقاء يبوح به بما لقيه من الجامعة، وما لقيته منه فما
معنى من ذلك إلا ما كنت موقنا به من ثقل الغبار الذي سيثيره حوله، وحولها، وحولي.

رحم الله أباً أحمد، وهكذا كنت أناديه. فقد كان نسيج واحد، وكان من من أضعاه قومه، كما أضعوا أبا
فراس قبله.

رئيس التحرير

الأدلة السياسية في مكة ودور حكومة املا فيها ((خلن عصر الرسالة))

د. رياض هاشم النعيمي
جامعة اطوير

والاقتصادية، وكان لحكومة الملا دور الفعال في قيادة القبيلة والحفاظ على مصالحها العامة والخاصة، وقد مثلت هذه الحكومة رؤساء بطن عشائر قريش كافة، فضلاً عن الذين تدفعهم سجايدهم الحميدة إلى المشاركة فيها.

وبالرغم من ذلك نشأ في مكة وداخل قريش حلفان أساسيان هما ((الأحلاف، والمطيبون)) إذ كانت تدفع كل طرف فيه دوافعه الذاتية الخاصة، إلى الدخول مع الطرف الذي يراه ممثلاً لمصالحه أو في الأقل قد يدفع الارتباط به إلى أن يلبي طموحاته في المشاركة في وظائف مكة السياسية أو المدنية ولتسهيل دراسة الموضوع سنعمل على دراسة عشائر كل حلف على نحو منفصل مستفيدين من كتب النسب التي قدمت أسماء كثير من الذين عاصروا الحدث ولعبوا دوراً أساسياً فيه فضلاً عن كتب التاريخ الإسلامي العام. كما تم تقسيم الموضوع على مرحلتين تناولت الأولى الحقبة التي رافقت عهد قصي الجد الأعلى لقريش، والثانية، ما بعد قصي وخصوصاً عندما تحقق الإيلاف الذي كان نجاحه سبباً من أسباب قيام تلك الأحلاف في مكة.

إن التحالفات السياسية مبدأ من المبادئ التي تحكم علاقات الدول الكبيرة والصغرى، وكان لابد من الأحلاف سابقاً ولاحقاً لتنظيم العلاقات الدولية، وكانت الأحلاف قائمة في الجزيرة بين زعماء القبائل العربية، إذ مالت القبائل الصغيرة والضعفية إلى التحالف مع القبائل كبيرة ذات القوة والنفوذ من أجل ضمان سلامتها والحفاظ على كيانها قائماً ومستقلاً بعيداً عن الانصهار داخل القبيلة الأم.

غير أن التحالفات التي وجدت في مكة وداخل قبيلة قريش تحديداً تميزت عن غيرها من الأحلاف بأنها جاءت لتحقيق التوازن السياسي والاقتصادي داخل القبيلة التي ينضوي تحتها أكثر من عشرة بطنون معظمها تميز بالثراء والقوة، ويهدف إلى تحقيق مصالحه الذاتية الخاصة وعلى حساب البطون الأخرى وهذا أدى بالنتهاية إلى حدوث تناقض شديد في ما بينها، غير أن ذلك لم يصل إلى حد إراقة الدماء وسنحاول في هذه الدراسة المتواضعة تسليط الضوء على هذه التحالفات وما نجم عنها من تطورات، واستقرار لأوضاع مكة السياسية

أولاً: الأوضاع السياسية والاقتصادية في مكة على عهد قصي

إن سيادة قصي على مكة، عملت على جعل مرافقها السياسية والاقتصادية والمدنية جميعاً بيده، ولم يتم له ذلك إلا بمؤازرة أخيه لأمه رزاح ابن ربيعة، الذي سانده بقوة مكنته من إزاحة خزانة عن الحياة السياسية في مكة، وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الميلادي^(١). وسانده كذلك جميع رؤساء العشائر القرشية من أمثال مخزوم، وسهم، وجمح، وسعد، وعميرة، وأهيب، وكعب والحارث، وقرط^(٢). خدمة لمصالحهم السياسية والاقتصادية بعد أن كانت خزانة مستحوذة عليها من دونهم.

وقد أفاد قصي من هذا الموقف في توسيع سلطاته في مكة حتى جاوزت السلطة التي كان يتمتع بها زعماء القبائل العربية في الجزيرة حتى غداً كأنه ملك على مكة^(٣)، فكان أمره في قومة من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتنين لا يعمل بغيره^(٤). وقام بتنظيم الوظائف الدينية وقد أبقاها في يد أصحابها القدماء فقسم الوظائف المدنية أو السياسية سواء تلك المتصلة بخدمة الحرم وحجاجه أو المتصلة بإدارة المجتمع المكي وتنظيم علاقاته الداخلية والخارجية على خمسة وظائف هي الرفادة والسكنية والحجابة واللواء ودار الندوة^(٥). الذي كان يهدف من وراء إنشائه إلى أن يشاور رجال الملا^(٦) من قومه فيه في كل ماله صلة بأمورهم العامة، وكان رجال الملا يجتمعون فيه كلما دعت الضرورة إلى ذلك، كان لكل عشيرة ناديه الخاصة بها^(٧) وحاول قصي أن يجعل من دار الندوة مكاناً ذا منزلة أعلى من منزلة

كانت مكة قد نمت وتطورت حتى أصبحت مركزاً دينياً وتجارياً يعمل على خدمة حجاج بيت الله الحرام، وتلبية حاجاتهم الأساسية بيد أن التجارة فيها كانت محصورة بحدودها الجغرافية، حيث يأتيها التجار الروم والفرس والأحباش وغيرهم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعون بينهم ويبيعون من حولهم من الأعраб^(٨). ولم يكن تجار قريش في مكة عند ذلك سوى وسطاء، ولم يكونوا مستوردين ولا متعهدين لقوافل التجارية^(٩). ويرجع سبب ذلك إلى أن زعماء القبائل العربية الضاربة على طريق التجارة المؤدية إلى مكة آنذاك كانوا يمنعونهم من الخروج في طلب التجارة^(١٠)، ومن ثم لم تكن موارد تجار مكة من التجارة عند ذلك كبيرة، لأن المخاطر التي كانت تحبط بتجارتهم كبيرة، ومع ذلك كان عدد من تجار مكة يخرجون بتجارتهم سعياً وراء الربح الوفير، غير أنهم كانوا لا يخرجون إلا بحماية ويقول ابن عبد البر ((فكان قوافل لتجارة مكة تخرج بقيادة الحارث بن مخدى بن النضر بن كنانة))^(١١) وكان هؤلاء أدلة لبني كنانة في تجارتهم^(١٢). وعلى الرغم من ذلك فإن أهل مكة لم يبرزوا بوصفهم أغنياء وأثرياء بسبب انشغالهم بالتجارة، إذ دفعت محدودية القوافل الخارجية من مكة والمخاطر المحظطة بها إلى عدم إثراء تجار مكة على نحو كبير. كما أن التجار الغربياء كانوا يفضلون استخدام الطريق البحري الذي يربط اليمن ببلاد الشام بعيداً عن مكة^(١٣)، مما جعلها مركزاً تجارياً متواضعاً يقدم خدماته حالها حال أي محطة تجارية على طرق القوافل التجارية

المنتديات، العشائرية التي كانت في مكة بأن جعل بابها
قبالة باب المسجد الحرام لتصير قراراتها ذات قدسية
خاصة عند أهل مكة^(١٠).

قصبي

بعد وفاة قصبي انتقلت الوظائف السياسية والمدنية في مكة إلى ابنه الأكبر عبد الدار بموجب وصيته، كان قد أوصى بها إليه قبل وفاته^(١١) ومن المرجح أن عبد الدار كان أهلاً لهذه المسؤولية على الرغم من فقره بدليل أن العشائر كافية لم تعارض ولايته. ولم تنقل الأخبار أية رواية عن معارضة أهلوته، أو أحد من زعماء بسطومن قريش له^(١٢) يقول ابن إسحاق ثم أن قصبي ابن كلاب هلك فقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده^(١٣). وعمل أحفاد قصبي وبنته على خدمة التجارة ويقولون كما كان أجدادهم وسطاء تجاريين، لا يقيرون على الخروج بتجارتهم من مكة إلا نادراً خوفاً على أموالهم وأنفسهم من هجمات البدو المحبيطين بطرق التجارة شمالي وجنوبياً.

لم تستمر أحوال التجارة في مكة على هذه الحال، فعن مجيء هاشم بن عبد مناف بن قصبي، الذي كان قد ورث عن أبيه خبرته في التجارة والقيام على خدمتها، حقق لقريش ماله تصب إليه فقط لولاه، ويبدو أن هاشما (عمرًا)^(١٤) كان على قدر كبير من الذكاء مكنه من استغلال مواهبه وقدراته السياسية والتجارية لخدمة التجارة في مكة وجعلها دولية ولتحقيق أهدافه تلك سافر إلى بلاد الشام، فأخذ يطعم الطعام ويسقى الشراب كل الناس ويحدثنا ابن حبيب عن ذلك بقوله ((فنزل بقىصر.. فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون.. فذكر لقىصر وقيل هنا رجل من قريش

وعني قصبي بالتجارة والعمل على خدمتها وتوسيع نشاطها والخروج بها من مكة، إلا أن هذا الأمر لم يكن في وسعه تحقيقه، إذ حكمته العوامل السابق ذكرها، ولم تكن قوافل قريش تخرج من مكة إلا بوساطة بني عذرة الذين نشأ عندهم قصبي، وتحت حمايتهم لها ورعايتهم إليها، كما أن مصادرنا لا تقدم لنا نصوصاً أو روایات عن قيام قصبي بنفسه بالسماح بقصد التجارة خارج مكة، واستمر أبناؤه وأحفاده، على ما يبدو يوصفهم وسطاء تجاريين يعملون على خدمة التجارة داخل مكة، وقد كان لحدة الصراع بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ووقوع اليمن تحت حكم الأحباش (حلفاء البيزنطيين) تارة وحكم الساسانيين تارة أخرى، أن جعل أصحاب التجارة يفضلون نقل بضائعهم عبر طريق القوافل التي تمر بمكة الأ闳اء أمداً^(١٥).

وقد استطاع تاجر قريش أن يستفيدوا من هذا التحويل في تحسين أوضاعهم الاقتصادية وتنمية ثرواتهم عن طريق التعامل مع أصحاب هذه القوافل والدخول بصفة تاجر وسطاء لتصريف البضائع المجلوبة من بلاد الهند والحبشة القاعدة من بلاد الشام لبيعها في أسواق مكة في مقابل شراء مجموعة من السلع العربية كالجلود والتمور والحبوب وغيرها لبيعها للتجار الأجانب. وساعدتهم ذلك على جمع ثروة مكنتهم بعد ذلك من تحقيق طموحاتهم التجارية، عندما خرجوا

هاشم أول مرة الرحلتين الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء (إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ^(٢٧).

إن الظروف الأنف ذكرها قد دفعت أهل مكة من قريش الى الاشتغال بالتجارة فمن لم يكن تاجرًا لم يكن عنده شيء وذلك لأن التجارة كانت كما ورد تمثل تسعة أعشار الرزق للمكيين ^(٢٨) ويحدثنا الواقدi عن إسهام أهل مكة في القوافل التجارية الخارجة من مكة بقوله ((لم يبق بمكة قرضي ولا فرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في العير، حتى أن المرأة لم تبعث بالشيء التافه)) ^(٢٩) واصبح أهل مكة تبعاً لذلك أصحاب رؤوس أموال كثيرة نظراً لتعاملهم بال العملات البيزنطية والساسانية واليمنية في شتى المبادرات التجارية والقروض والصيرة وغير ذلك.

ولما كان بنو هاشم والمطلب هم رواد هذه التجارة والمستحوذين عليها تركزت الأموال في أيدي قسم منهم ليدفعهم ذلك الى ما أشار اليه ابن حبيب بقوله ولما عظم شأن بنى عبد مناف بن قصي فقالوا نحن أولى بما يتولاه بنو عبد الدار منهم ^(٣٠) وأن عدداً من زعماء بطن قريش وجد في سيطرة بنى هاشم والمطلب علىأخذ الوظائف جميعاً من أحفاد بنى عبد الدار الآخر الكبير في انقسام عشائر قريش على نفسها فنتين، كل فئة تدفعها مصالحها للوقوف ضد الفئة الثانية وهكذا ومن المفيد أن نشير الى العشائر المنتسبة الى كل فئة من هاتين الفتنتين وأعدادها التقريبية.

يهشم الخبر ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم. فأعجب به ودعاه اليه ^(٣١) فلما رأه وكلمه اعجب به وقال له سل حاجتك ^(٣٢). فقال له أيها الملك ان لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت ان تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجاراتهم فيقدموا عليك بما يستظرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يسيرون به عندهم فهو أرخص عليكم ^(٣٣). وكان قبول القيصر هذه المبادرة رحباً فكتب له كتاباً بذلك وهي فرصة لقيصر ودولته إذ تأتيه تجارة الشرق من دون أية تبعات عسكرية أو مالية هو في غنى عنها.

وكان لنجاح هاشم في الحصول على أمان من قيصر الروم بحرية التجارة في بلاده، أن عده أهل مكة تطوراً كبيراً في حياتهم السياسية والاقتصادية، ولكن يستمر هاشم في ما حققه مع حاكم بلاد الشام وتحقيق أمان الطريق شجع شيوخ القبائل العربية وزعماءها من تمر قوافلها التجارية بديارهم على توظيف أموالهم في هذه القوافل كي تكون لهم مصلحة فعلية في حمايتها. يقول ابن حبيب فجعل (هاشم) كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً. وهو الأمان عندهم في أرضهم بغير حلف، وإنما هو أمان الناس وعلى أن قريشاً تحمل لهم بضائع فيكونونهم حملتها من مكة الى الشام ^(٣٤) وقد دعيت هذه الاتفاقيات التجارية بـ(إيلاف) ^(٣٥) ولتحقق هاشم جميع أهدافه في جعل مكة محطة تجارية أرسل أخاه عبد شمس لأخذ العصم من صاحب الحبشة وأصبح إليها متجره، وأرسل المطلب لأنذ العصم والعبود من ملوك اليمن وأرسل نوافلاً إلى ملوك العراق وفارس ^(٣٦) وقد ضمنت هذه الأحلاف لأهل مكة الأمن والسلام ولتجارتهم الحماية والأمان، وسن

الملحوظات	عدد افرادها	حفاء المطبيين (٣٠) اسم العشيرة	ت	عدد افرادها	حفاء (الأحلاف) اسم العشيرة	ت
أيد الاحلاف بنونوفل / ٥١ وبنو عبد الدار	٥٥	بنو هاشم	-١	٢٠	بنو عبد الدار	-١
بنو مخزوم	٢٠	بنو الفهر بن الحارث	-٢	١٠٥	بنو مخزوم	-٢
بنو عدي بن كعب	٤٠	بنواسدين عبد العزى	-٣	٨٠	بنواسدين عبد العزى	-٣
بنوسهم	٨٠	بنو زهرة	-٤	٢٠	بنوسهم	-٤
بنوجمح	٣٥	بنو نيم	-٥	٢٠	بنوجمح	-٥
المجموع	٢٣٠	تقريباً		٢٤٥		

١- إن الاستقرار السياسي في مكة قد تعرض لامتحان كبير بعد نجاح أبناء عبد مناف وهم كل من هاشم، وعبد شمس، ونوفل، والمطلب، في مطلع القرن السادس الميلادي في تنظيم تجارة مكة الخارجية عن طريق عقد (الإيلاف) مع الدول المجاورة، والقبائل العربية التي تقيم على طريق التجارة الدولية، وترتبط على نجاحه واستقراره أن توسيع تجارة القوافل التي يقودها أبناء عبد مناف من تجارة مكة وهذا مما أدى إلى زيادة ثرواتهم ونفوذهم على حساب سلطةبني عبد الدار ونفوذهم الذين كانوا يمسكون بزمام (حكومة الملا) في مكة^(٢٢) ومن ثم كان من الطبيعي أن يتطلع بنو مناف إلى تولي قيادة القبيلة من خلال العمل على انتزاعها من بني عبد الدار^(٢٣) لاعقادهم بشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم^(٢٤).

٢- أحفاد بني عبد مناف كانوا ذوي عصبية قوية جداً، إذ كان لعبد مناف خمسة من الأبناء، وعدد كبير من الأحفاد^(٢٥)، فضلاً عن انجاز أبناء عبد العزى اليهم وعددتهم ثلاثة عشر ولداً، في الوقت الذي لم يكن لعبد الدار سوى ثلاثة أولاد وعدد قليل من الأحفاد، كما أن

وعند استقرارنا لهذا الجدول نجد أنه يمثل عدد الطبقات التي عاصرت الحدث وهي الطبقات ٤/٥/٦. والتي عاشت في حدود المدة ما بين ٥٧٠ - ١٠٥ و هذا يعني أن حلفي المطبيين والاحلاف كانوا في نهاية القرن السادس الميلادي، على اعتبار أن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو من الطبقة الخامسة الذي يقول عنه ابن الأثير كان على رأس قومه حينها^(٢٦) ويقول ابن اسحاق (كان عبد شمس بن هاشم بن عبد مناف بن عبد بن قصي على رأس قومه)^(٢٧) وهو من الطبقة الرابعة وكان سنّه كبيراً وإن في الامكان أن تتعايش ثلاثة طبقات في آن واحد هي الأب والجد والابن كما أن عدد رجال كلتا القبيلتين متقارب إلى حد ما وهذا يعني أن بني هاشم والمطلب لم يكونوا أقلة، فلو كانوا كذلك لما انحازت إليهم أربعة بطون كما انحاز إلى الفئة الثانية أيضاً أربعة بطون من أحفاد بني عبد الدار، ومن الطبيعي جداً أن ينحاز الأفراد أو زعماء البطون في مثل هذه الحالة إلى الكفة القوية، والموازية للخصم.

والسؤال الذي يتadar إلى الذهن لماذا هذا الانقسام في عشائر قريش؟

ويأتي هنا دور حكومة الملا في معالجة هذا الاشتقاق الذي حصل بسبب اختلاف المصالح، بين الفرقاء، وعلى الرغم من أن رؤساء العشائر هم الذين يمتلكون حكومة الملا، فإن مصالح قبليتهم قريش كانت فوق مصالح عشائرهم، ولما أحسوا بأن إراقة الدماء والقتل سيؤدي وبلاشك إلى ضياع مكانتهم بين القبائل العربية، كما أن واقع الأمر دفع جميع الأطراف إلى التعقل والحكمة، لاسيما بعد أن ادركوا بأن كلتا الفنتين متقاربتان في قوتها، وهذا ينافي تماماً ما يقال عن قلة عدد بنى هاشم والمطلب، فلو كانوا أقلة لما انضوى تحت لوائهم عدد من العشائر يقارب ما انضوى تحت لواء أحفاد بنى عبد الدار وهذا ما دفع أحفاد بنى عبد الدار وهم أصحاب الحق في ما يقاتلون من أجله إلى التخلص عن مجموعة من الوظائف لأحفاد بنى عبد مناف فالقوله والخوف من الدخول في حرب داخلية وإراقة الدماء في حرب لا يعرف نتائجها إلى الصلح وتسوية الخلاف على أن يتنازل كل طرف عن جانب من مطالبه في مقابل المحافظة على وحدة القبيلة وحقن دماء ابنائها، فاتفقوا على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون العجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار^(٢٧). فبموجب هذا الاتفاق حصل أحفاد بنى عبد مناف على الوظائف ذات القيمة والتأثير الاقتصادي في حين بقيت الوظائف ذات القيمة السياسية والمدنية بيد أحفاد بنى عبد الدار^(٢٨). ومن أجل إرضاء جميع الأطراف عمد رجال حكومة الملا ولاعتبارات الشرف والمكانة ولإشراك عدد من رجال العشائر في هذين الحلفين إلى استخدام عدد جديد من الوظائف الشرفية في مكة من

بني عبد الدار لم يكونوا يملكون من الثروة ما يمكنهم من منافسة أبناء عمومتهم والدفاع عن مصالحهم^(٢٩).

٣- إن استحواذ بنى عبد مناف على التجارة الخارجية، ودخول البطون الأخرى من قريش معهم على نحو ثانوي، دفع بعض عشائر قريش إلى الامتناع من هذه السياسة، مثل عشائر بنى مخزوم، وبنى نوفل، وبنى عدي بن كعب وبنى عبد شمس، وغيرهم فكانوا يتහبون الفرص للاستيلاء على التجارة الخارجية وانتزاعها من أيدي بنى عبد مناف، فلما حصل النزاع على الوظائف ما بين أحفاد بنى عبد الدار وأحفاد بنى عبد مناف، وجد معظم رؤساء العشائر القرشية أن الانحياز إلى أي جانب سوف يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية مستقبلاً فنشأ عن ذلك حلفاً لعقدة الدم والمطبيين.

٤- إن بنى مخزوم وعدى بن كعب وسهم وجمح بانحيازهم إلى أحفاد بنى عبد الدار كانوا يهدون إلى الحصول على نوع من المشاركة في الإشراف على وظائف مكة السياسية أو المدنية ليزدادوا بذلك شرفاً على شرفهم، لأن التأثير الحقيقي في سياسة حكومة الملا، أخذ ينتقل بمرور الزمن إلى أيدي التجار وأصحاب الثروات الكبيرة، وكذلك كان انحياز بنى اسد بن عبد العزى وتيم وزهرة والفهر بن الحارث إلى جانب أحفاد بنى عبد مناف (هاشم والمطلب) لتحقيق الأهداف ذاتها.

٥- لقد نشأ عن التحام كل من الطرفين بمن انضوى إليه من عشائر قريش وبعد أن تحشد الطرفان وكذا يقتتلان وعييت كل قبيلة لقبيلة، فعييت مخزوم لتيم، وجمح لزهرة، وعدى بن كعب للحارث من فهد، وعبد الدار لأسد، وبنو عبد مناف لسهم^(٣٠).

ر هط من عشرة بطون، هاشم، وامية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد وتيم، ومخزوم وعدى، وجمع وسهم^(١) وفي الجدول المرفق جدول بالوظائف المكية وحسب عشائرها.

أجل توزيعها على رؤساء هذه البطون جميعاً، وعليه أصبح عدد الوظائف الجديدة والقديمة نحو إحدى وعشرين وظيفة، يقول ابن عبد ربّه إن من انتهى إليه الشرف في قريش في الجاهلية موصلاً بالاسلام عشرة

العشيرة	العشيرة	الوظيفة	ت
عثمان بن طلحة	بنو عبد الدار	دار الندوة	١-
عثمان بن طلحة	بنو عبد الدار	الحجابة	٢-
عثمان بن طلحة	بنو عبد الدار	السدانة	٣-
عثمان بن طلحة	بنو عبد الدار	اللواء	٤-
الحارث بن عامر	بنو نوفل	الرافدة	٥-
العباس بن عبد المطلب	بنو هاشم	السقاية	٦-
العباس بن عبد المطلب	بنو هاشم	العمارة	٧-
العباس بن عبد المطلب	بنو هاشم	حلوان النفر	٨-
أبو سفيان بن حرب	بنو عبد شمس	القيادة	٩-
أبو سفيان بن حرب	بنو عبد شمس	العقاب	١٠-
خالد بن الوليد	بنو مخزوم	القبة	١١-
خالد بن الوليد	بنو اسد	الأعنفة	١٢-
يزيد بن زمعة	بنو نيم	المشورة	١٣-
أبوبكر الصديق	بنوسهم	الاشناف	١٤-
الحارث بنت قيس	بنوسهم	الحكومة	١٥-
الحارث بن قيس	بنوسهم	الأموال المحجرة	١٦-
عمر بن الخطاب	بنوعدي	السفارة	١٧-
صفوان بن أمية	بنو جمح	الأيسار	١٨-
أبو سيارة عملية الأعزل	بنو عدوان	الإفاظة	١٩-
كوبن بن صفوان	آل صفوان بن الحارث	الإجازة	٢٠-
أبو ثمامنة جادة بن عوف (٤٢)	بنو فقيم منبني ثعلبة	النسبي	٢١-

العمل على إعادة التوازن لأوضاع مكة السياسية

فكان الطبيعي أن تبادر هذه العشائر (المطيبون) إلى

عقد من أجله، فهو لم يكن الكففة لصالح بنى هاشم المطلب، بل إن عدداً من عشائر الأحلاف كبني مخزوم مثلاً أصبح لهم دورهم الفعال والريادي في سياسة حكومة الملأ في مكة وخارجها، فالسياسة والتجارة وعقيدة الشرك (الوثنية) أصبح ارتباطها جدياً وأصبحت عشائر الأحلاف تقاتل من أجل ديمومة هذا الارتباط وتقويته والدفاع عنه ضد أية محاولة لفك عرى ذلك التحالف سواء أكانت داخلية أم خارجية مما سبق عرضه في هذه الدراسة المتواضعة يمكننا أن نسجل الملاحظات الآتية:-

- ١- كان من نتائج نجاح (الأحلاف) تحول عموم أهل مكة بعشائرهم كافة إلى تجار، ومكنتهم ذلك من جمع ثروة كبيرة وكل حسب إمكاناته المالية.
- ٢- دفعت الزيادة الكبيرة في رؤس الأموال قسماً من رؤساء العشائر في قريش إلى محاولة منافسة بنى عبد الدار في الإشراف على الوظائف في مكة لا سيما تلك التي تتعلق بالسقاية والرفادة في الوقت الذي رغب أحفاد بنى عبد مناف في نقلها اليهم مباشرة.
- ٣- كان من نتيجة هذا الصراع غير المعلن على شرفية هذه الوظائف واعلان أحفاد بنى عبد مناف رغبتهم في الاستيلاء عليها أن انقسمت عشائر قريش على فئتين كل فئة انتمت إليها مجموعة من العشائر بحسب ما اقتضته مصالحها غير أن رجال الملأ وضمن حسابات القوة والتقوى وعدم المساس بهيبة قريش سيطر عليهم عنصر التعقل لا الحرب.

- ٤- استمرت الحياة في مكة قائمة على حلفي لعقة الدم والمطبيين، غير أن عشائر الأحلاف نجحت في

والاقتصادية وكانت تتحين الفرص وتبحث عن مناسبة للنفاذ منها لاعادة ذلك التوازن، وجاءت الفرصة من سوء تصرف أحد رجال ((الأحلاف)) عندما امتنع العاصي بن وائل السهمي^(١). وهو من عظماء سهم عن دفع ثمن بضاعة ابناها من رجل زبيدي من اليمن^(٢).

فعمدوا إلى تأسيس حلف جديد هدفه المعلن الدفاع عن حقوق المظلومين من تجار مكة، وخاصة بعد أن رفض (الأحلاف) مساعدته^(٣) وهذا دفع الزبير بن عبد المطلب إلى القول ((مالهذا نترك)) فأجتمعت بنو هاشم وعبد المطلب وبنو زهرة، وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر^(٤).

في دار عبد الله بن جدعان. وكان الرسول(ص) حاضراً في هذا التحالف وهو ابن خمس عشرة سنة وقد قال عنه الرسول(ص) لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجيبي^(٥) وأعلن التحالف الجديد في نهاية القرن السادس الميلادي وبعد حرب الفجراء^(٦).

إذن الهدف المعلن لهذا التحالف الجديد هو الأنظمة أحد بمكة بعد اليوم، ولا يجد المتحالفون أحداً مظلوماً إلا نصروه على من ظلمه وأخذوا له بحقه منه^(٧) غير أنحقيقة الأمر أن دوافع هذا التحالف لم تكن مقصورة على هذا الهدف المثالي (المعلن) وإنما كانت له أهداف سياسية واقتصادية^(٨). تسعى إلى تحقيق نوع من التوازن السياسي الذي عقد له (المطبيون) تجاه (الأحلاف) الذين احتكروا اتجارة القوافل إلى اليمن.

إن قوة الأحلاف وتماسكهم ووحدة هدفهم تجاه عشائر المطبيين حال دون إمكان التحالف الجديد تحقيق أهدافه المعنة وغير المعنة، فهو لم يقو على تحقيق ما

تحجيم عشائر المطبيين وهذا دفع هؤلاء الى تكوين حلف جديد لاعادة كفة الموازنة.

٥- جاهدت عشائر الاحلاف في الدفاع عن مصالحها الجديدة التي حظيت بها بعد ذلك الانقسام وعلى الرغم من حصولها على عدد من الوظائف الـ مهمـة في مكة مثـلـا حصل بنو مخزوم على وظيفة القبة والأئـمة^(١) وهي تـشابـهـ اليوم وزارـة الدفاعـ. فـانـ هـذـهـ العـشـائـرـ مـارـسـتـ الضـغـطـ المستـمرـ علىـ عـشـيرـةـ بـنـيـ هـاشـمـ وـالمـطـبـ وزـادـ ذـلـكـ عـنـفـاـ عـنـدـماـ بلـغـ الرـسـولـ (صـ)ـ دـعـوـتـهـ

الهوامش واطيـادـ واطـرـاجـ

البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق، علي محمد البجاوي، د/ط، مصر، د/ت، ٢٦/١، الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، ط٢، مصر،

٨- انظر الزبيري: المصدر السابق ١٨-١٩٩٠، ٢٩٩-٣٤٥،
٣٤٧، ٢٦٣، ٣٧٥، ٤٤٥، ١٥، ٤٠٣، ابن هشام أبو محمد
عبد الله الحموي: سيرة النبي، تحقيق محمد محبي الدين، د/ط،
بيروت، ط/ت، ٢١١.

٩- ابن هشام: المصدر نفسه ١٢٥/١.

١٠- ابن هشام المصدر نفسه ١٢٥/١.

١١- انظر ابن حبيب: المنق، ٢٢٢-٢٢٤، الملاح، هاشم:
حكومة الملأ منذ عهد قصي(بحث غير منشور ١٩٩٥) ٤-
١٢- رجال الملأ هم رؤساء الأسر والعشائر القرشية، إضافة الى
عدد من الأفراد الذين تقدمهم سجلاهم الحميـدةـ(انظر الملاح:
المكان نفسه).

١٣- انظر النعيمي، رياض: بنو مخزوم ودورهم السياسي
والحضاري(رسالة دكتوراه، أداب موصل ١٩٩٩) ٧٠-٧٢.

١- ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي، المنق في أخبار
قريش، تصحـيقـ خورـشـيدـ أـحمدـ فـارـوقـ، طـ١ـ، الـهـنـدـ، ١٩٦٤ـ، ٣٢ـ٣ـ.

٢- اسماعيل، احسـانـ، بنـوـ هـاشـمـ فـيـ عـصـرـ الرـسـالـةـ(رسـالـةـ
ماجـستـيرـ، آـدـابـ موـصـلـ، ١٩٩١ـ) ٣٩ـ.
٣- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى: نشوء الطرف في تاريخ
الجاهلية، تـحقـيقـ نـصـرـتـ عـبـدـ الرـحـمـنـ، عـمـانـ
١٣٨٢ـ، ١٢٩ـ/١ـ.

٤- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في
معرفة الأصحاب، تحقيق، علي محمد البجاوي، د/ط
القاهرة، د/ت، ٦٨٥.

٥- الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، نسب قريش،
تحقيق: لييفي بروفنسال، ط٢، مصر، ١٩٧٦، ١٢-١٣.

٦- الملاح، هاشم وعبد الواحد رمضان: ثروات أهل مكة،
المؤـرـخـ العـرـبـيـ، العـدـدـ ٤ـ٣ـ، ١٩٩٠ـ، ١٦ـ، ١٠١ـ، ١ـ.

٧- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد: الأنساب، تحقيق: عبد
الرحمن يحيى د/ط، هـيـدرـ آـيـادـ الدـكـنـ، ١٩٦٢ـ، ١٨ـ/١ـ، ابن عبد

- ٤١ - العلي: صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط١، دار النشر ١٩٩١، ١١٠/١.
- ٤٢ - الملاج، هاشم، الشورى، العدد ٣٠، ١٧٣، ٤.
- ٤٣ - ابن هشام الصفحة نفسها.
- ٤٤ - انظر الزبيري، المصدر السابق ١٨-٩٥، ابن الكلبى، المصدر السابق، ٩٠-١٣٠، النعيمى، رياض، المرجع السابق، قسم الجداول.
- ٤٥ - انظر النعيمى، رياض: الصفحة نفسها.
- ٤٦ - ابن حبيب، المصدر السابق، ٢٢٣.
- ٤٧ - ابن هشام، المصدر السابق، ١٣٢/١.
- ٤٨ - انظر تفاصيل أكثر النعيمى، رياض، المرجع السابق ٦٥-٦٠.
- ٤٩ - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، د/ط، القاهرة، ١٩٦٥، ٣١٠/٣.
- ٥٠ - ابن هشام، المصدر السابق ١٣٠، ابن سعد، المصدر السابق ٧٢/١، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ٣١٤/٣، العلي، صالح أحمد محاضرات ٣١٢.
- ٥١ - المسعودي، أبو الحسن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصحیح: يوسف أسد، ط١، بيروت، ١٩٦٥، ٢٧٦/٢.
- ٥٢ - المسعودي: الصفحة ذاتها.
- ٥٣ - ابن هشام، المصدر السابق، ١٢١/١.
- ٥٤ - ابن حبيب، المحبر، ١٦٧.
- ٥٥ - ابن هشام، المصدر السابق، ١٤٥/١، ابن حبيب، المصدر السابق، ١٦٧ الزبيري، المصدر السابق، ٢٩١.
- ٥٦ - المسعودي، المصدر السابق، ٢٧٦/٢، ابن حبيب، المصدر السابق، ٢٧٠.
- ٥٧ - ابن حبيب، المصدر السابق ١٦٧، على جواد، تاريخ العرب قبل الاسلام، جـ/ط، بغدادي ١٩٦١، ٤/٣، ٣٣/٤.
- ٥٨ - النعيمى، رياض، المرجع السابق، ٦٩-٧٢.
- ٥٩ - انظر تفاصيل أدق عن ذلك النعيمى، المرجع نفسه، ٥٩-٧٠.
- ٦٠ - العلي: صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط١، دار النشر ١٩٩١، ١٠٢-١٠١.
- ٦١ - الملاج، هاشم ثروات أهل مكة ٣٠-٢٩.
- ٦٢ - ابن هشام: المصدر السابق ١٢٥/١، ١٣٠، ابن سعد: ابو عبد الله محمد: الطبقات الكبرى، د/ط، بيروت، ٢١٩٦٨-٦٠، ٧٣-٧٢/١.
- ٦٣ - ابن هشام: الصفحة نفسها ابن سعد: الصفحة نفسها.
- ٦٤ - ابن هشام: الصفحة نفسها، ابن سعد: الصفحة نفسها.
- ٦٥ - هاشم بن عبد مناف اسمه عمرو سمي بهاشم لما قيل عنه أنه هشم الثريد واطعم الناس الطعام في مكة انظر ابن حبيب، المنمق، ٣٢-٣٢.
- ٦٦ - ابن حبيب: المصدر السابق ٣٤-٣٣.
- ٦٧ - ابن حبيب: الصفحة نفسها.
- ٦٨ - ابن حبيب: الصفحة نفسها.
- ٦٩ - ابن حبيب: الصفحة نفسها.
- ٧٠ - هاشم بن عبد مناف اسمه عمرو سمي بهاشم لما قيل عنه أنه هشم الثريد واطعم الناس الطعام في مكة انظر ابن حبيب، المنمق، ٣٢-٣٢.
- ٧١ - ابن حبيب: الصفحة نفسها، كستر: المرجع السابق ٧٢-٧١.
- ٧٢ - فريش: ١-٢.
- ٧٣ - الواقدي: الصفحة نفسها ١/٢٧.
- ٧٤ - البلاذري: المصدر السابق ٥٥/١، ابن حبيب، المنمق، ١١٠، ٦٢-٦١.
- ٧٥ - انظر الأسماء الزبيري، المصدر السابق ٩٦-١٥، ابن الكلبى أبو المنذر هشام، تحقيق: عبد السatar أحمد فراج، د/ط، د/ت، ٩٠-١٠٠، البلاذري، المصدر السابق ١/٥٥-٦٠.
- ٧٦ - ابن الأثير، أبو الحسن، عز الدين، الكامل في التاريخ، د/ط، بيروت، ١٩٦٥، ٤٤٥-٤٥٤.
- ٧٧ - ابن اسحاق، المصدر السابق ١٢٥/١، ١٢٦-١٢٥.



أثر المذاهب العربية والاسلامية في كتاب زيد [أو القراءة الفعلية]

د/داود سلیمان

کلی شہر تہ

doubt

ابتدأ زديع كتاب أسطورة شرقية وحكاية تراثية وكانت عنصري الشهد لرواية زديع، لأن أحداث الرواية هي أحداث بسيطة تقع لكل الأبطال ولكن استقطاب اثنين القاريء يحتاج إلى نص فيه الطرافقة والبعكال وغير المألوف، ولم يجد فولجي ذلك إلا في أسطورة شرقية ورواية تمثلية عربية.

ففي الفصل الثاني ((الأنف)) يستعرض فولتير حكاية اسطورية
شرقية لشد القارى الفرنسي لطيفة عربية شرقية تروي في
لأقاصيص الشعبية.

وفي الفصل العشرين من رواية زديج يستغير فولتير قصمة ((الحضر وموسى)) مع شيء من التحريف في ما اجترحه الناسك (الحضر) ولكنه يتطابق بعد ذلك في بعض الاحداث ويتصرّف بالقصة القرآنية ولكنه يتفق معها في بعض الاحداث كما سبق.

ويستعير فولتير بعد ذلك لاظهار ذكاء زديج في القضاء حكاية عربية تروى عن اياس بن معاوية القاضي، ويستفيد ايضاً من حكاية امرأة روبرت في ألف ليلة وليلة خداع الوالي والقاضي والوزير والملك لاطلاق عشيقها من السجن. ويرويها بشكل مقتضب مع تجنب ما يكشف عن اصلها العربي ولكن العقدة في الحكايتين واحدة.

وقد امتدح طه حسين في مقدمة الترجمة هذه الرواية ذات الشهرة العالمية وقال عنها: ((وقد قرأت القصة مرات توشك أن يبلغ عشرًا وأكثير الظن أنني سأقر أها وأقر أها. وقد وجدت فيها،

فولتير هو : فرانسيس اوريه فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) عاش في القرنين السابع عشر والثامن عشر في الوقت الذي بُنيَتِ نعم العالم المستعمر في أمريكا تدر الذهب على ملوك أوروبا، ونشأت طبقات ثرية لا تملك من الثقافة عقلاً ما تملك من المال .

وذهب فوينتر لـ^٢ على النهاذ الى جوهر الاشياء فكان يسخر من المظاهر التافهية التي تسود عصره، وبرغم مقدرتة الخاصة وميله الى النقد الساخر الذي لا حظه مؤلفو سيرته الا انهم لم يدركوا ان كثيراً من مؤلفاته البارعة تدين للحكايات الشرقية والتواضع المستمدة من الادب العربي التي تلقيتها من القراءة او الرواية ، فقد اتجه مادة لم يكن ياللها، وقد بني شهرته عليها على أنها عقد ومادة من ابداعه وابتكاره . وتعرض فولتير الى مدد من السجن في الباستيل عام ١٧١٧ و تعرض الى الاضطهاد والضرب من خصومه الا انهم كانوا يختارون رأسه فلا يبال الضرب الا من جسمه، واضطر فولتير مرات ان يترك فرنسا فهاجر الى انكلترا حيث نشر على اثر تلك الرحلة ((الوسائل الانجليزية)) او ((الرسائل الفلسفية))، واضطرب بعد عودته بعدة قصصية الى المخفرة الى مملكة بروسيا ثم الى روسيا ثم الى سويسرا، ولم يعد الى فرنسا الا عام ١٧٧٨ اي بعد غياب ثلاثين عاماً، ولعل ادب الشرق الذي كان أساس شهورته كان خلف عذابه ومعاناته ايضاً ولكن هذا الادب كان ايضاً خلف خلوده.

ونريد هنا ان ندرس رواية زديج والاشارة الى الاثر الشرقي فيها، لنعرف مقدار ما أفاد فولتير من هذا الادب ومقدار ما ساعد

المصادر الاولى التي استقى منها المؤلف موضوع كتابه.

[١]

غدر اطراة

في الفصل الثاني من حكاية زديج بتناول فولتير حكاية شرقية ليس لها اصل تاريخي معروف ولكنها وجدت في التراث الشعبي وسجلت بعد ذلك في الكتب الادبية المختلفة. وقد ظهرت هذه القصة الشعبية في مصر وقد سجلها المنفلوطى في ((النظارات)) وسجلتها ايضاً في مسرحية ((الاسكندر)) بعد ان رواها لي رجل عراقي لا يكتب ولا يقرأ والحكاية يمكن ان تكون قد وصلت الى فولتير عن طريق الشفاه او كتب السياح او التجار.

يعوت زوج المرأة ويحل آخر محله ولكنه مريض يحتاج في قصة فولتير الى ((أنف رجل)) يوضع الى جنب جسده المريض وفي الحكاية الشرقية كانت حاجة المريض الى اكل ((دماغ ميت)) وفي الحالين تبرع المرأة بحمل ذلك الجزء من زوجها الذي مات حديثاً. وحين قدم بذلك يستيقظ ((الميت)) الذي وعدته بالوفاء والاخلاص ويظهر عدم وفاء الحي لمن حاق به الموت. ونبدأ بقصة فولتير في

الفصل الثاني يعنوان ((الأنف)):

الفصل الثاني

الأنف

وذات يوم أقبلت أزورا من نزهتها ، غاضبة، ثائرة، صاحبة. قال لها : ((ما بك يا زوجي العزيزة؟ وما عسى ان يخربك من طورك الى هذا الحد؟)) قال : ((واحسستاه! لو رأيت المنظر الذي رأيته هاجتك ما يهيجني من الغضب. لقد ذهبت اعزي الارملة الشابة خسرو التي اقامت منذ يومين اثنين قبراً لزوجها الشاب. وقد عاهدت الآلهة أثناء حزنها على ان تقيم على هذا القبر ما جرى ماء هذا الجدول قريباً منه)). قال زديج : ((هذه امرأة كريمة قد احببت زوجها حقاً)). قالت أزورا : ((آه لو عرفت ما كان يشغلها حين زرها!)) .. (ماذا كان يشغلها أي أزورا الحسناً؟)) ..(كانت تحول الجدول من مجرها)).

وسأجد فيها دائماً متعة العقل والقلب والذوق). ((زديج ص ٣٦٢) والغريب في هذا الناقد الكبير والقارئ المطلع والمتّرجم الفذ الا يدرك وهو يقرأ القصة عشر مرات أي اثر عربي وخاصة في ما هو مسجل في التراث مثل ((ذكاء العرب)) وفي القرآن الكريم مثل ((قصة الخضر)) ولعل الأدب العربي حين يكتبه اجنبي يكون أكثر اثراً في نفوس العرب من أن يقرأوه في لغتهم، ويبدو أن العرب لا يدركون قيمة الأدب العربي الا ان يصوغه اجنبي . وبرغم ان الحكاية لا تخلو من خفة شخصية فولتير الا ان هيكلها عربي واسلامي. ولم يشر طه حسين الا الى الف ليلة وليلة من الكتب التي قرأها فولتير الا انه لم يشر الى اثرها فيه.

ويبدو ان حكاية زديج بسبب مادتها الشرقية ذات النقد الحاد للمرأة وللمجتمع الحاكم قد أثارت النقد السياسي عليه وجعلته يعاني الأذى بسبب الفكر الذي طرحته فيها.

قال طه حسين :

((وقد كتب فولتير هذه القصة حين كاد القرن الثامن عشر ينتصف سنة ١٧٤٨ وتتكلف فتواناً من الجهد والخيال ليطبعها خارج فرنسا، ولينشرها في فرنسا بعد ذلك)). (زديج ص ٣٦٢ - ٣٦٣)

وقد دعا فولتير ما في القصة من احداث ان يؤدي به ((الى جحوده ايها وتصله منها مخافة ان تجر عليه شرًّا)). (زديج ص ٣٦٣)

ونحن نسأل : هل كان فولتير يتمكّن من ان يزج في احداث الرواية تلك السخرية المرة من شخصيات المجتمع لولا احداث القصة وأفكارها وعقدها المتواتلة التي أكبت زديج ذلك المزيف الرائق من طرافة العقدة وسخرية المؤلف؟ وماذا كانت سخرية المؤلف من مجتمعه لتكون لولا تلك الاحاديث التي قادت الى ان يوظف فيها فولتير سخريته؟

نحاول في هذا البحث ان نقدم الجذور العربية التي خلقت هذه القصة ومهما اختلف الطابق بين الاحاديث فالنواة الاولى التي تكون العقدة هي عربية او اسلامية وهذا ما يطمح اليه النقد المقارن في مناهجه الا وهو اظهار مقدار التأثير والتاثير في أي عمل ثم اظهار

الى حياة غد على جسر تشينافار، فلن يرده الملك عزرايل عن العبور لأن أنه أقصر قليلاً في حياته الثانية منه في حياته الأولى). ثم أخذت موسى ومضت إلى قبر زوجها فسقطه بدمعها، ثم دنت ت يريد أن تجدهم أنف زديج الذي رأته مستلقياً في قبره. هنالك ينهض زديج حامياً أنفه يأخذ يديه راداً الموسى باليد الأخرى، قائلاً ((سيدي لا تلومي الارملة خسرو فالتفكير في جدع أنفني كالتفكير في تحويل الجدول عن محراه)).

ومثل هذه القصة ما رواها مؤلف ((غرائب النساء)) نقلًا عن مصادرها وهي في الغالب من المصادر العربية التي لم يذكرها المؤلف وقد وجدت الحكاية في كتاب ((زهر الربيع)) للسيد نعمة الله الجزائري المتوفى في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م في صفحة ٤٣٣ من الطبعة الرابعة المطبوع في طهران عام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

سرعة نغير وفاء النساء

قيل إن امرأة توفي زوجها، فحزنت لفقده حتى خُيلَ لها أنها أهدرت خسارة زمامها وبعد دفنه واظبت القيام إزاء قبره بكاء الشكلي. فاتتفق أنه قضي بالشنق على أحد أهالي بلدتها، فشنق في مكان مجاور لقبر زوجها وووضعت الحكومة حارساً على جثة المشتوف لئلا تسرق...

فسمع الحارس صوت المرأة وهي تبكي بكاءً مرآ.. فقال في نفسه لا بد من التوجه إلى هذه المرأة لأرى ماذا يحملها على ذلك وأعوّد فوراً..

فضي إليها.. وعند وصوله سألاها عن سبب بكائها، فأخبرته عزّ موته زوجها.. وباحت له بما عندها من الحزن.. فقال لها: لا ابكي الله لك عيناً، لا تدررين أن كل مولود لا بد من الموت.. وإذا جرى ما جرى.. فأنا أتزوج بك...

فسرت المرأة، ونسمت حزناً على فقد زوجها، وارتضته زوجاً لها.. فقال لها: هلمي نسير لإقام ذلك.. فذهبَا إلى أن وصلا إلى المكان الذي شنق فيه الرجل.. فوجدا أن اللصوص قد سرقوا الجثة وفرّوها..

ثم الدفعت في لوم طويل وهجاء عنيف حتى ضاق زديج بهذه الغطسلة المكلفة.

وكان له صديق اسمه كادور، وكان من بين هؤلاء الشبان الذين كانت أزوراً تؤثرهم لأنهم على حسـط عظيم من الامانة والكفاية؛ فاظهره على جلية أمره، واستوثق من وفاته بما أهدى إليه من هدايا قيمة. ومضت أزوراً لتحقق عند أحدي صديقاتها في الريف يومين ثم عادت في اليوم الثالث إلى دارها. وهنالك أعلنت إليها الخدم وهم يتذمرون، أن زوجها قد مات فجأة من ليلته تلك وانهم لم يجرعوا على أن يحملوا إليها نبأ الفاجعة حيث كانت تستجم، وأنهم قد فرغوا الآن من دفن زديج في قبر أسرته هناك في طرف الحديقة. فاجهشت بالبكاء وانتزعت شعرها، وأقسمت لتقضين على نفسها بالموت. فلما كان المساء استأذنها كادور في أن يتحدث إليها في كيما معًا. فلما كان الغد بكيا أقل مما بكيا أمس وجلسا معاً إلى الغداء، وأسر إليها كادور أن صديقه أوصى إليه معظم ثروته، ثم لمح لها بأنه يرى السعادة في أن يقاسمها ثروته. هنالك بكت السيدة ثم غضبت، ثم لانت، وكان العشاء أطول من الغداء، وكان الحديث أدنى إلى النقاوة، وأشت أزوراً على الفقيد ولكنها اعترفت بأنه لم يخل من بعض العيوب التي يرى منها كادور.

وفي أثناء العشاء شكا كادور ألمًا عبيضاً في الطحال، فقلقت السيدة واهتمت، واحضرت كل ما كان عندها من طيب، لعلها تجد من بيته ما يكون فيه شفاء للطحال، واسفت أشد الأسف لأن هرمس العظيم لم يطل الإقامة في بابل، بل تفضلت فلمست موضع الألم من جسم كادور. قالت له في عطف: ((أعربة أنت لهذا الألم؟)) قال كادور: ((إنه ألم يدنيني غالباً من القبر، وليس له فيما علمت إلا دواء واحد يستطيع أن يرفعه علي، وهو أن يوضع على جنبي أنف رجل مات من أمسه)). قالت أزوراً: ((ياله من دواء غريب)). قال كادور: (ليس أغرب من قيام السيد أرنو¹ الذي يعالج بها الفالج)). وكان هذا الرد مضافاً إلى كفاية هذا الفتى مقتضياً آخر الأمر للسيدة. قالت: ((وأخيراً إذا غير زوجي من حياة أمس

يعداوي شارب الخمر بالخمر، ويلذ للجبان وهو يرتعد فرقاً الإصغاء إلى حديث المرأة والجبان، فرأى في بعض مذاهبه بين تلك القبور امرأة متسلبة جالسة أمام قبر جديد لم يجف ترابه ويدعها مروحة من الحرير الأبيض مطرز بأسلاك من الذهب ، تحرّكها بمنة ويسرة لتجفف بها بدل ذلك التراب فعجب لشأنها وتقديم نحوها فارتاعت لها.. ثم أنسنت به حينما عرفته.. فسألها ما شأنها.. وما مقامها هنا؟ ومن هذا الدفين؟ وما هذا الذي تفعل؟ فأبانت أن تحييه عما سأل حتى تفرغ من شأنها، فجلس إليها وتناول المروحة منها، وظل يساعدها في عملها حتى جف التراب فحدثه أن هذا الدفين زوجها، وأنه مات منذ ثلاثة أيام، وأنها جالسة من الصباح جملتها هذا لتجفف تراب قبره وفأه يمين كانت قد أقسمتتها له في مرض موته لا تتزوج من غيره حتى يجف تراب قبره، وإن هذه الليلة هي ليلة بناها بزوجها الثاني فأبى لها وفاؤها لهذا الدفين الذي كان يحبها ويحسن إليها أن تحيث يمين أقسمتها له.. أو تخسّ بما واعدهه عليه، ثم قالت له: هل لك يا سيدي أن تقبل هذه المروحة هدية مني إليك.. وجزاء لك على حسن صنيعك معنـي؟ فقبلها منها شاكراً بعد أن هنأها بزواجهما الجديد! ثم انصرف وليس وراء ما به من الهم غایة، ومشى في طريقه مشية الرانح النشوان يحدث نفسه ويقول: إنه أحبها وأحسن إليها، فلما مات جلس فوق قبره لا لبكـيه.. ولا لذكر عهده، بل لتحليل من يمين الوفاء التي أقسمـتها له؛ فكانـها وهي جالسة أمام زوجها الأول تعدد عدد الزوجـاج من زوجها الثاني وكأنـا نـخدـلتـ من صفائح قبره مرأة تصقل أمامها جـينـها، وتصـفـ طـرقـها وتـلبـسـ حلـيـتها، للـزـفـافـ إلىـ غـيرـهـ.

ومازال يحدث نفسه بمثل هذا الحديث حتى رأى نفسه في منزله من حيث لا يشعر، ورأى زوجـهـ مـائـلةـ أمـامـهـ مـرـتـاعـةـ لـنـظـرـهـ المـؤـمـ الخـزنـ فقالـ لهاـ: أنـ اـمـرـأـةـ خـانـةـ خـادـرـةـ أـهـدـتـ إـلـيـهـ هـذـهـ المـرـوـحةـ فـقـبـلـهاـ منـهاـ إـلـيـكـ.. لأـهـمـ أـدـأـةـ مـنـ أدـوـاتـ الغـدرـ وـالـخـيـانـةـ، وـأـنـتـ أـولـيـهـ مـنـيـ.. ثـمـ أـنـشـأـ يـقـضـ عـلـيـهـ، قـصـةـ المـرـأـةـ حـسـتـىـ أـنـيـ عـلـيـهـ، فـقـضـبـتـ وـانـتـرـعـتـ المـرـوـحةـ مـنـ يـدـهـ وـمـرـقـتـهاـ إـرـبـاـ إـرـبـاـ.. وـأـنـشـأـ تـسـبـ تـلـكـ المـرـأـةـ

فارتعـدـ الحـارـسـ خـوفـاـ وـقـالـ: مـاـذـاـ يـاـ تـرـىـ يـفـعـلـ يـاـ حـاـكـمـ بـعـدـ هـذـاـ العـمـلـ؟..

فـقـالـتـ لـهـ: لـاـ بـأـسـ.. قـمـ بـاـ لـنـخـرـجـ زـوـجـيـ مـنـ القـبـرـ وـنـصـعـ الـحـبـلـ فـعـيـهـ مـكـانـ المـشـنـوقـ.. فـذـهـبـاـ.. وـفـعـلـاـ كـذـلـكـ.. وـبـعـدـ بـرـهـةـ وـقـفـ الـحـاـكـمـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ.. فـجـازـىـ الـرـجـلـ، وـالـمـرـأـةـ بـمـاـ جـنـتـهـ إـيـدـيـهـمـاـ.. (غـرـائبـ السـاءـ ١٥٤) (١٥٥)

وـالـأـسـطـوـرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ اـسـتـعـارـهـاـ فـوـلـتـرـ نـجـدـهـ فـيـ التـرـاثـ الشـعـيـ الـمـرـوـيـ وـيـسـجـلـهـ الـمـنـفـلـوـطـيـ فـيـ ((كتـابـ النـظـراتـ)). وـمـهـمـاـ تـخـلـفـ جـزـئـيـاتـ العـقـدـةـ فـيـ حـكـاـيـةـ فـوـلـتـرـ وـحـكـاـيـةـ المـنـفـلـوـطـيـ فـالـأـمـرـ يـقـومـ فـيـ الـأـخـيـرـ عـلـىـ تـظـاهـرـ الـمـرـأـةـ بـالـلـوـفـاءـ لـزـوـجـهـ وـهـوـ وـفـاءـ لـلـزـوـجـ مـادـامـ فـيـ الـحـيـاةـ، فـإـذـاـ تـخـلـيـ عـنـهـ بـالـمـوـتـ تـخـلـتـ عـنـهـ فـيـ إـخـلـاصـهـ. وـهـذـهـ هـيـ الـأـسـطـوـرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ يـنـسـبـهـاـ الـمـنـفـلـوـطـيـ إـلـىـ حـكـيـمـ مـنـ حـكـيـمـاءـ الـيـونـانـ وـهـيـ فـيـ الـعـرـاقـ أـسـطـوـرـةـ شـعـبـيـةـ عـرـبـيـةـ كـمـاـ سـتـرـىـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـمـنـ عـادـةـ كـتـابـ الـأـسـاطـيـرـ أـنـ يـسـبـوـهـاـ إـلـىـ اـمـمـ غـابـرـةـ مـثـلـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ أـوـ أـشـخـاصـ مـثـلـ لـقـمانـ الـحـكـيـمـ وـمـاـ إـلـيـهـمـاـ:

غـدرـ الـطـرـاةـ

يـقـصـونـ فـيـ بـعـضـ الـأـسـاطـيـرـ الـقـدـيمـةـ أـنـ حـكـيـمـاءـ الـيـونـانـ كـانـ يـحـبـ زـوـجـتـهـ حـبـاـ مـلـكـ عـلـيـهـ قـلـبـهـ وـعـقـلـهـ.. وـأـحـاطـ بـهـ إـحـاطـةـ الشـعـاعـ بـالـمـصـبـاحـ الـتـقـدـ، وـكـانـ يـمـازـجـ هـنـاءـتـهـ الـحـاضـرـةـ شـقـاءـ مـسـقـبـلـ بـسـوـقـهـ إـلـىـ نـفـسـهـ الـحـوـفـ مـنـ اـنـ تـدـورـ الـأـيـامـ دـورـهـ، فـيـمـوتـ وـيـفـلـتـ مـنـ يـدـهـ ذـلـكـ الـقـلـبـ الـذـيـ كـانـ مـغـيـطـاـ بـاعـتـلـافـهـ إـلـىـ صـانـدـ آخرـ يـعـلـقـهـ مـنـ بـعـدهـ، وـكـانـ كـلـمـاـ أـبـثـ زـوـجـتـهـ سـرـهـ وـشـكـاـ إـلـيـهـ مـاـ يـسـاـورـ قـلـبـهـ مـنـ ذـلـكـ الـهـمـ، حـتـتـ عـلـيـهـ، وـعـلـلـتـهـ بـعـسـوـلـ الـأـمـانـ وـأـقـسـمـتـ لـهـ بـكـلـ مـحـرـجـةـ مـنـ الـأـمـانـ أـهـمـ لـاـ تـسـرـدـ هـبـةـ قـلـبـهـ مـنـهـ حـيـاـ وـمـيـاـ.. فـكـانـ يـسـكـنـ إـلـىـ ذـلـكـ الـوـعـدـ سـكـونـ الـجـرـحـ الـذـرـبـ تـحـتـ المـاءـ الـبـارـدـ.. ثـمـ لـيـلـبـثـ أـنـ يـعـودـ إـلـىـ هـوـاجـسـهـ وـوـسـاوـسـهـ، حـتـيـ مـرـ فيـ بـعـضـ روـحـاتـهـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ فـيـ إـحـدىـ الـلـيـالـيـ الـمـقـمـرـةـ بـمـقـبـرـةـ الـمـدـيـنـةـ.. فـبـدـاـلـهـ أـنـ يـدـخـلـهـ لـيـرـوحـ عـنـ نـفـسـهـ هـمـوـمـ الـمـوـتـ بـوـقـفـةـ بـيـنـ قـبـورـ الـموـتـيـ، وـكـثـيرـاـ مـاـ

وتشتمها، وتنعى عليها غدرها وخيانتها وسفالتها ودلاءها، ثم قالت : لا يزال هذا الوسوس عالقاً بصدرك مادمت حياً؟ وهل تحسب ان امرأة في العالم ترضي لنفسها بما رضيت به لنفسه تلك المرأة الغادر؟ فقال لها : إنك أقسمت لي لا تتزوجي من بعدي، فهل تفين بعهدي؟ قالت : نعم، ورماني الله بكل ما يرمي الغادر إن أنا فعلت؛ فاطمأن لقسمها وعاد إلى هدوئه وسكونه.

مضى على ذلك عام ثم مرض الرجل مرضًا شديداً، فما زلت نفسه فلم يجد العلاج حتى أشرف على الموت، فدعا زوجته وذكريها بما عاهدها عليه فاذكرت، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى غربت شمسه، فأمرت أن يسجّي برداه ويترك وحده في قاعته حتى يختنق بدفنه في اليوم الثاني ثم خلت بنفسها في غرفتها تبكيه وتندبه ما شاء الله أن تفعل، وإنما ل كذلك إذ دخلت عليها الخادم وأخبرها أن فتى من تلاميذ مولها حضر الساعة من بلدته ليعوده حينما سمع بخبر مرضه، فلما سمع حديث موته ذعر ذعراً شديداً وخر في مكانه صعقاً وأنه لا يزال صريراً عند بباب المنزل لا تدري ما تصنع في أمره، فأمرت أن تذهب به إلى غرفة الأضياف وأن تتولى شأنه حتى يستفيق، ثم عادت إلى بيتها وتحبها، فلما مر المزيع الثاني من الليل دخلت عليها الخادم مرة أخرى مذعورة مرتعنة وهي تقول : رجتك وإحسانك يا سيدتي فإن ضيقنا يعالج من آلامه وأوجاعه عذاباً أليماً وقد حررت في أمره، وما أحسبه إن نحن أغفلنا أمره إلا هالكَا فأهمها الأمر وقامت تحامل على نفسها حتى وصلت إلى غرفة الضيف فرأته مسجّي على سريره، والمصباح عند رأسه فاقربت منه ونظرت في وجهه، فرأت أبدع سطع خطبه يد القدرة الالهية في لوح الوجود، فخَلَ إليها أن المصباح الذي أمامها قبس من ذلك النور الشمالي في ذلك الوجه المنير، وأن أنيته المنبعث من صدره نفمة موسيقية محزنة ترن في جوف الليل البهيم، فأنساحت الحزن على المريض المشرف على الموت على الفقيد المالك، وعندها أمره، فلم يترك وسيلة من وسائل العلاج إلا توسلت بها إليه حتى استفاق ونظر إلى طبيعته الراكعة بجانب سريره نظرة الشكر والثناء، ثم أنشأ يقص عليها تاريخ حياته، فعرفت من أمره كل ما كان يهمها أن تعرف، فعرفت مسقط

رأسه وسيرة حياته وصلته بزوجها وأنه في قسمه لأن له، ولا أم، ولا زوجة ولا ولد، وهنا أطرقت برأسها ساعة طويلة عاجلت فيها من هواجس النفس ونوازعها ما عاجلت ثم رفعت رأسها وأمسكت بيده، وقالت له : إنك قد ثكلت أستاذك وأنا ثكلت زوجي فأصبح هنا واحداً، فهل لك أن تكون عوناً لي وأن أكون عوناً لك على هذا الدهر الذي لم يترك لنا مساعدًا ولا معيناً، فالم تخبيث نفسها فابتسم ابتسامة الحزن والمضمض، وقال لها : من لي يا سيدي أن أظفر بهذه الامنية العظمى، وهذا المرض الذي يساورني ولا يكاد يهدأعني قد نغض على عيشي، وأفسد على شأن حياتي، وقد أنذرني الطبيب باقتراح ساعة أجلني إن لم تدركني رحمة الله، فاطلبي سعادتك عند غيري، فأنت من بنات الحياة، وأنا من أبناء الموت، فقالت له : إنك ستعيش، وسأعاجلك ولو كان دواوك بين سحري، ونحري قال : لا تصدقني ما لا يكون يا سيدي فانا عالم بدواني، وعالم بأني لا أجد السبيل إليه، قالت : وما دواوك؟ قال : حدثني طببي أن شفائي في أكل دماغ ميت ل يومه، ومادام ذلك يعجزني فلا دواء لي ولا شفاء، فارتعدت وشجب لونها وأطرقت إطلاقة طويلة لا يعلم إلا الله ماذا كانت تحدثها نفسها فيها... ثم رفعت رأسها وقالت : كن مطمئناً فدواوك لا يعجزني، ثم أمرته أن يعود إلى راحته وسكونه، وخرجت من الغرفة متسللة حتى وصلت إلى غرفة سلاح زوجها فأخذت منها فأساً قاطعة، ثم مشت تختلس خطواتها اختلاساً حتى وصلت إلى غرفة الميت، ففتحت الباب فدار على عقبه وصرّ صريراً مزعجاً، فجمدت في مكانها رعباً وخوفاً، ثم دارت بعينيها حولها فلم تر شيئاً فتقدمت لشأنها حتى دنت من السرير ورفعت الفأس لتضرب بها رأس زوجها الذي عاهدهه لا تتزوج من بعده، ولم تكدره بها حتى رأت الميت فاتحًا عينيه ينظر إليها ، فسقطت الفأس من يدها، وسمعت حركة وراءها فالتفت فرأت الضيف والخادم وافقين يتضاحكان ففهمت كل شيء.

وهنا تقدم نحوها زوجها وقال لها : أليست المروحة في يد تلك المرأة أجمل من هذه الفأس في يدك؟ أليست التي تجفف تراب قبر زوجها بعد دفنه أفضل من التي تكسر دماغه قبل نعيه؟ فصارت تنظر

فـ؟) قال زديج في تواضع: ((إـها هي كلـة لا كـلـب)) أجاب الخـصـيـ الأول: ((صـدـقـتـ)). أضاف زـديـجـ: ((إـها كلـة صـغـيرـة جـداـ وقد ولـدتـ متـذـوقـتـ قـصـيرـ وهي تـضـطـلـعـ بـرـجـلـهـ الإـمامـيـ الـيسـرىـ،ـ وـهـاـ أـذـنـانـ مـسـرـفـتـانـ فـيـ الطـولـ)).ـ قـالـ الخـصـيـ الأولـ مجـهـداـ: ((فـقـدـ رـأـيـتهاـ إـذـنـ؟ـ))ـ أـجـابـ زـديـجـ: ((لاـ،ـ لـمـ أـرـهـاـ قـطـ،ـ وـلـمـ أـعـلـمـ قـطـ أـنـ لـلـكـلـةـ كـلـةـ))ـ؟ـ وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ بـالـضـبـطـ عـلـىـ نـحـوـ مـاـ تـحـرـيـ عـلـيـهـ الـمـاصـدـافـاتـ الـفـرـيـقـةـ أـفـلـتـ اـجـلـ خـيـلـ الـمـلـكـ مـنـ يـدـ سـائـسـهـ وـهـاـمـ فيـ سـهـلـ بـاـبـلـ.ـ وـأـقـيلـ كـبـيرـ السـاسـةـ وـمـنـ وـرـائـهـ أـصـحـابـهـ يـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ الجـوـادـ فـيـ هـفـةـ تـشـبـهـ هـفـةـ الـبـاحـثـينـ عـنـ الـكـلـةـ.ـ وـاتـجـهـ كـبـيرـ السـاسـةـ إـلـىـ زـديـجـ يـسـأـلـهـ: ((أـرـأـيـتـ جـوـادـ الـمـلـكـ؟ـ))ـ قـالـ زـديـجـ: ((إـنهـ أـحـسـنـ الـجـيـادـ رـكـضاـ،ـ إـنـهـ يـرـتفـعـ فـيـ الـجـوـادـ أـقـدـامـ،ـ وـإـنـ حـذـاءـ صـغـيرـ جـداـ،ـ وـلـهـ ذـيـلـ طـولـهـ ثـلـاثـةـ أـقـدـامـ وـنـصـفـ قـدـمـ،ـ وـشـكـانـهـ جـاهـهـ مـنـ ذـهـبـ مـعيـارـهـ ثـلـاثـةـ وـعـشـرـونـ قـيرـاطـاـ،ـ وـسـنـابـكـهـ مـنـ فـضـةـ مـعـيـارـهـ أـحـدـ عـشـرـ دـانـقاـ.ـ قـالـ كـبـيرـ السـاسـةـ: ((أـيـ طـرـيقـ سـلـكـ؟ـ وـأـيـنـ يـكـونـ؟ـ))ـ قـالـ زـديـجـ: ((لـمـ أـرـهـ وـلـاـ سـمعـتـ بـهـ قـطـ)).ـ فـلـمـ يـشـكـ كـبـيرـ السـاسـةـ وـلـاـ الخـصـيـ الأولـ فـيـ إـنـ زـديـجـ قـدـ سـرـقـ جـوـادـ الـمـلـكـ وـكـلـةـ الـمـلـكـ،ـ فـقـادـهـ أـمـامـ جـمـاعـةـ الـقـضـاةـ الـذـيـنـ قـضـواـ عـلـيـهـ بـالـجـلدـ،ـ وـبـاـنـ يـنـفـقـ مـاـ يـقـيـ منـ حـيـاتـهـ فـيـ سـيـرـيـاـ.ـ وـلـمـ يـكـدـ الـحـكـمـ يـصـدرـ حـقـ وـجـدـ الـبـاحـثـونـ الـجـوـادـ وـالـكـلـةـ،ـ وـاضـطـرـ الـقـضـاةـ فـيـ أـلـمـ إـلـىـ أـنـ يـغـيـرـوـاـ حـكـمـهـمـ،ـ وـلـكـنـهـمـ قـضـواـ عـلـىـ زـديـجـ بـغـرامـةـ قـدـرـهـ أـرـبـعـ مـنـةـ مـتـقـالـ مـنـ الـذـهـبـ لـإـنـكارـهـ رـؤـيـةـ ماـ رـأـيـ.ـ وـلـمـ يـكـنـ بدـ مـنـ أـدـاءـ الغـرـامـةـ أـوـلـاـ ثـمـ يـؤـذـنـ لـهـ بـعـدـ ذـلـكـ بـالـدـفـاعـ عـنـ نـفـسـهـ أـمـامـ الـقـضـاةـ،ـ وـقـدـ دـافـعـ عـنـ نـفـسـهـ قـائـلاـ:ـ ((يـاـ نـجـومـ الـعـدـلـ،ـ وـيـاـ كـهـوفـ الـعـرـفـةـ،ـ وـيـاـ مـرـايـاـ الـحـقـائقـ،ـ أـنـتـمـ الـذـيـنـ هـمـ ثـقـلـ الرـصـاصـ،ـ وـصـلـابـةـ الـحـدـيدـ،ـ وـإـشـرـاقـ الـمـاسـ،ـ وـكـثـيرـ مـنـ خـصـالـ الـذـهـبـ)).ـ أـمـاـ وـقـدـ أـذـنـ لـيـ بـالـحـدـيـثـ أـمـامـ هـذـهـ الـجـمـاعـةـ الـجـلـيلـةـ،ـ فـإـنـ أـقـسـمـ بـأـورـزـمـادـ مـاـ رـأـيـتـ قـطـ الـكـلـةـ الـخـتـرـمـةـ الـتـيـ فـقـدـهـاـ الـمـلـكـ،ـ وـلـاـ الـجـوـادـ الـمـقـدـسـ الـذـيـ فـقـدـهـ مـلـكـ الـمـلـوـكـ.ـ وـإـلـيـكـمـ مـاـ عـرـضـ لـيـ:ـ لـقـدـ كـنـتـ أـتـرـهـ قـرـيبـاـ مـنـ الـغـابـةـ الصـغـيرـةـ حـيـثـ رـأـيـتـ الـخـصـيـ الـجـلـيلـ،ـ وـالـسـائـسـ الـعـظـيمـ الـبـعـدـ الصـوتـ فـرـايـتـ عـلـىـ الـوـمـلـ أـثـرـ حـيـوانـ،ـ

إـلـيـهـ نـظـرـاـ غـرـيـباـ ثـمـ شـهـقـتـ شـهـقـةـ كـانـتـ فـيـهـاـ نـفـسـهـاـ)).ـ (ـالـنـظـرـاتـ ٤٥ـ٤٠ـ).

وـفـيـ الـفـصـلـ الثـالـثـ مـنـ كـتـابـ زـديـجـ يـسـتـعـيرـ فـوـلـتـيرـ الـقـصـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـشـهـورـةـ فـيـ التـرـاثـ بـ(ـذـكـاءـ الـعـربـ)ـ حـولـ أـوـلـادـ (ـنـزارـ)ـ:ـ مـضـرـ وـإـيـادـ وـرـبـيـعـةـ وـيـوـظـفـ فـوـلـتـيرـ الـحـكـاـيـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـعـرـفـةـ صـفـاتـ كـلـبـ الـمـلـكـةـ الـمـفـقـدـ وـحـصـانـ الـمـلـكـ).

[٢]

الفـصـلـ الثـالـثـ

الـكـلـبـ وـالـجـوـادـ وـأـثـرـ قـصـةـ ذـكـاءـ الـعـربـ

((ـوـقـدـ بـيـنـ زـديـجـ،ـ كـمـاـ هـوـ مـقـرـرـ فـيـ كـتـابـ زـنـدـ،ـ أـنـ الشـهـرـ الـأـوـلـ مـنـ شـهـورـ الزـوـاجـ هـوـ شـهـرـ الـعـسلـ،ـ وـأـنـ الشـهـرـ الثـالـثـ هـوـ شـهـرـ الشـيـخـ.ـ ثـمـ اـضـطـرـ بـعـدـ قـلـيلـ إـلـىـ أـنـ يـطـلـقـ أـزـوـراـ الـتـيـ اـصـبـحـتـ بـغـيـضةـ الـعـشـرـ وـطـلـبـ السـعـادـةـ فـيـ دـرـسـ الـطـبـيـعـةـ.ـ وـكـانـ يـقـولـ أـزـوـراـ: ((ـلـيـسـ أـسـعـدـ مـنـ رـجـلـ فـيـلـسـوـفـ يـقـرـأـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـعـظـيمـ الـذـيـ نـشـرـهـ اللـهـ أـمـ اـعـيـنـاـ وـهـوـ الـطـبـيـعـةـ.ـ فـالـحـقـاـقـ الـتـيـ يـسـتـكـشـفـهـاـ الـقـارـىـ خـالـصـةـ لـهـ،ـ يـغـلـيـ بـهـاـ نـفـسـهـ وـيـرـفـعـهـاـ وـيـعـيـشـ هـادـئـاـ مـطـمـتـاـ،ـ لـاـ يـخـافـ مـنـ النـاسـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـعـرـضـ لـأـنـ تـدـنـوـ مـنـهـ زـوـجـهـ الـرـفـيـقـ بـهـ لـسـجـدـعـ أـنـفـهـ)).ـ

وـقـدـ اـمـتـلـأـ بـهـذـهـ الـخـواـطـرـ،ـ وـاعـتـزـلـ فـيـ دـارـ رـيفـيـةـ عـلـىـ شـاطـيـ الـفـرـاتـ.ـ وـفـيـ هـذـهـ الدـارـ لـمـ يـكـنـ يـشـغـلـ نـفـسـهـ بـحـبـابـ مـاـ يـجـرـيـ تـحـتـ الـقـوـاسـ الـجـسـورـ مـنـ الـمـاءـ،ـ وـلـاـ مـاـ يـسـقـطـ مـنـ خـطـ مـكـعـبـ مـنـ الـمـطـرـ فـيـ شـهـرـ الـفـارـاـوـ فـيـ شـهـرـ الشـاءـ.ـ وـلـمـ يـكـنـ يـتـخـيلـ أـنـ يـتـخـذـ الـحـرـيرـ مـنـ نـسـيجـ الـعـنـكـبـوتـ اوـ الـخـزـفـ مـنـ حـطـامـ الـقـوارـيرـ،ـ وـلـكـنـهـ دـرـسـ فـيـ عـنـيـاهـ خـصـائـصـ الـحـيـوانـ وـالـبـاتـ،ـ وـلـمـ يـلـبـثـ أـنـ يـتـهـيـ إـلـىـ مـقـدـارـ مـنـ الـفـطـةـ أـظـهـرـهـ عـلـىـ أـلـفـ مـنـ الـفـروـقـ بـيـنـ أـشـيـاءـ لـمـ يـكـنـ النـاسـ يـرـوـنـ بـيـنـهـاـ الـتـشـابـهـاـ.

وـذـاتـ يـوـمـ كـانـ يـعـشـيـ قـرـيبـاـ مـنـ غـابـةـ صـغـيرـةـ،ـ فـرـأـيـ خـصـيـاـ مـنـ خـصـيـانـ الـمـلـكـ يـسـرـعـ إـلـيـهـ وـمـنـ وـرـائـهـ مـنـ الضـبـاطـ يـظـهـرـ عـلـيـهـمـ قـلـقـ شـدـيدـ وـيـعـدـونـ هـنـاـ وـهـنـاكـ كـافـمـ قـوـمـ حـائـرـونـ يـحـشـونـ عـنـ شـيـءـ عـظـيمـ الـخـطـرـ قـدـ فـقـدـوـهـ.ـ قـالـ الخـصـيـ الـأـوـلـ: ((ـأـلـمـ تـرـ كـلـبـ الـمـلـكـ يـاـ

العلم، وعاهد نفسه على ألا يقول ما يرى حين تسع له أول فرصة. وقد سحت هذه الفرصة بعد وقت قصير. فقد هرب سجين من سجن الدولة ومر من تحت نافذته. فلما سئل أجاب بأنه لم يرو شيئاً. ولكن الحججة أقيمت عليه أنه كان يتظاهر من نافذته، وقضى عليه بغرامة قدرها خمس مائة مثقال من ذهب، وشكر هو قضائه لأنهم رفقوا به، كما جرت العادة في بابل أن يرفع الحكم عليهم شكرهم إلى القضاة. قال زدبيج لنفسه: ((بِاللَّهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ بِالرُّثَاءِ حِينَ يَتَرَهُ فِي غَابَةٍ مَرَّتْ بِهَا كَلْبَةُ الْمَلْكَةِ وَجُوَادُ الْمَلْكِ، وَإِنَّهُ لَخَطَرٌ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ مِنْ نَافِذَتِهِ، وَإِنَّهُ لَعَسِيرٌ أَنْ يَسْعَدَ إِنْسَانًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ)).

وهذا هو النص العربي الذي وظفه فولتير في الفصل الثالث

حكاية ذكاء العرب

برغم أن هذه القصة تظهر في أوائل القرن الرابع عند السعوديين وأن ((الجمل)) العربي يكون أحد مميزاتها المهمة، ولكن مع ذلك فإننا نراها واسعة الانتشار في الهند وهي تحفظ بشخصية الجمل وبالأخوة الأربع وباللغاز الخيرة ومن الغريب جداً أن تكون الرواية التي تقترب من النص العربي، أظهرت في وسط الهند منها في جنوب شرق أو وسط غرب الهند ولعلها حين وصلت إلى الجنوب الشرقي في الهند بفتحواها العربي انتقلت إلى وسط الهند واحفظت بروجها في الوقت الذي جرى عليها التحوير ثانية في الجنوب وفي وسط غرب

المهد وهذا النص العربي في إحدى رواياته المتعددة:
((لا حضرت نزاراً الوفاة جم بنيه : مصر وإياداً وربيعة وأنماراً.
وقال لهم: يا بني هذه القبة الحمراء وكانت من أدم — لمصر، وهذا
الفرس الأدهم والخياء الأسود لربيعة، وهذه الخادم وكانت شمطاً
— لإياد وهذه الندوة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكّل عليكم
كيف تقسمون فأتوا الأفعى الجرهمي، ومترله بنجران. فلما مات
تشاجروا في ميراثه فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي. فبينما هم في
مسيرهم إليه، إذ رأى مصر أثر كلاماً قد ربعي، فقال إن البغير الذي

رعنى هذا أنعور!

فتفسرت في يسر أنها آثار كلب صغير. ورأيت خطوطاً خفافاً طوالاً قد طبعت على مرتفعات صغار بين آثار الأرجل، لعرفت أنها كلبة قد حفلت أطباوها فتدلت، وأنما لذلك قد ولدت منذ أيام. ورأيت آثاراً في اتجاه آخر مجاورة لآثار الرجلين الأماميتين، فعرفت أن للكلبة أذنين مسروقين في الطول ولا حظت أن الرمل أقل تأثيراً يصاحى الأرجل منه بالثلاث الأخرى فتبينت أن كلبة ملكتنا الجليلة عرجاء شيئاً ما، إن أذن لي في أن أحدث على هذا التحول.

((أما جواد ملك الملوك، فقد كنت أسعى في طرق هذه الغابة، فرأيت آثار السنابك لجواد، ورأيتها كلها تقع على مسافات متساوية فقلت لنفسي هذا فرس كامل الركض. وكان تراب الشجر في طريق عرضها سبعة أقدام قد زال عن بين وشال في ارتفاع قدره ثلاثة أقدام ونصف قدم، فقلت لنفسي : ((إن هذا الفرس ذيلاً لهذا الطول قد أزال بخطوهاته التراب عن هذه الأشجار)). ورأيت تحت الشجر الذي يعد من أغصانه مهدأً يرتفع خمسة أقدام ورقاً حديث عهد بالسقوط ، فعرفت أن هذا الجواد قد مس الغصون، وأن ارتفاعه خمسة أقدام. أما شكله فيجب أن تكون من ذهب معياره ثلاثة وعشرون قيراطاً لأنه حك بها حجراً يقاس به الذهب وقد جربته. ثم عرفت آخر الأمر من آثار سنابكه على حجر من نوع آخر أن هذه السنابك من فضة معيارها أحد عشر دانقاً)).

وقد أتعجب القضاة جميعاً بدقّة زديج وفطنته. وارتفع أمر هذه القصة إلى الملك والملكة، فلم يكن للناس حديث في القصر إلا زديج. ومع أن جماعة من الكهنة قد أشاروا بتحريفة لأنّه ساحر، فقد أمر الملك أن ترد إليه غرامة أربع مئة المثقال من الذهب التي فرضت عليه. وقد أقبل الكتاب والمحاجب والتواب إلى داره في موكب عظيم يحملون إليه المثاقيل أربع المثة، ولم يكتجزوا منها إلا ثلثاً مئة وثمانية وتسعين مثقالاً على أنها نفقات القضاة، وطلب خدامهم بعض المطاء.

وقد رأى زديج الى أي خطر يتعرض الانسان حين يكون واسع

قال ربيعة: إنه لأزور (يعشي على شق).

قال إياد: إنه لأبتر.

قال أغمار: إنه لشروع.

ثم ساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جمله فسأله عن البعير، فقال

مضر: أهو أعور؟

قال: نعم.

قال ربيعة: أهو أزور؟

قال: نعم

قال إياد: أهو أبتر؟

قال: نعم.

قال أغمار: أهو شروع؟

قال: نعم. وهذه والله صفة بعري فدلّوني عليه.

قالوا: والله ما رأينا.

قال: هذا والله الكذب اتعلق بهم.

قال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعري بصفته؟

فساروا حتى قدمو انجران، فلما نزلوا.. نادى صاحب البعير

هؤلاء أخذوا جلي ووصفوا لي صفتة، ثم قالوا: لم نرها! فاختصموا إلى

الاعي الجرهبي، وهو حكم العرب

فقال الاعي: كيف وصفتموه ولم تروه؟

قال مضر: رأيته رعي جانيا وترك جانيا، فعلمته أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة فعلمته

أنه أزور لأنه أفسد بشدة وطنه لازوراوه.

وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذيلاً لطبع به

((حركه))

وقال أغمار: عرفت أنه شروع، لأنه كان يرعى في المكان المختلف نبته،

ثم يجوزه إلى مكان أرق منه واحتسب نبتاً فعلمته أنه شروع.

فقال الرجل: ليسوا بأصحاب بعري فاطلبه.

ثم سألهم: من أنتم؟ فأخبروه، فرحب بهم، ثم أخبروه بما جاء بهم.

فقال: أحتاجون إلى، وانتم كما أرى؟

ثم أنز لهم، فذبح لهم شاة واتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى حيث لا
يرى وهو يسمع كلامهم.

فقال ربيعة: لم أر كاليلوم خلماً أطيب منه، لو لا أن شاته غذيت ببلبن
كلبة.

قال مضر: لم أر كاليلوم خلماً أطيب منه لو لا أن جبلتها نبت على قبر.

فقال إياد: لم أر كاليلوم رجالاً أسرى منه لو لا أنه ليس لأبيه الذي

يدعى له.

فقال له أغمار: لم أر كاليلوم كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا.
وكان كلامهم ياذنه: فقال ما هؤلاء إلا شياطين؟

ثم دعا القهر مان فقال ما هذه الحمر؟ وما أمرها؟

قال من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من
شرابها.

قال للراعي: ما أمر هذه الشاة؟

قال هي شاة صغيرة أرضعتها بلبن كلبة، وذلك أن أمها قد ماتت، ولم
يكن في الغنم ولد غيرها.

ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال
وكان لا يولد له، قالت: فخفت أن يموت ولا ولده فيذهب الملك؟

فخرج الأفعى عليهم، فقص القوم عليه قصتهم، واخبروه بما أوصى
به أبوهم.

فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر.

فذهب بالدنانير والإبل الحمر فسمى مضر الحمراء لذلك.

وقال أما صاحب الفرس الأدهم والخياء الأسود فله كل شيء
أسود. فصارت لربيعة الخيل الدهم. فقيل. ربعة الفرس.

وما أشبه الخادم الشمطاً فهو لإياد فصارت له الماشية البالق من
الحيلق والنقد (الحيلق: صغار الغنم والنقد: غنم قبيحة الشكل)،

فسمى إياد الشمطاً.

وقضى لأغمار بالدرهم وبما فضل: فسمى أغمار الفضل وصدروا من
عنه على ذلك^(١). (مقالات في الأدب المقارن ص ٨١ - ٧٩).

قصة الحكيم وأثر قصة الخضر في القرآن

وفي الفصل العشرين من ((زديج)) يستعير فولتير قصة (الخضر) كما وردت في القرآن إلا أن الذي يبدو أن فولتير لم يصل إليها عن طريق القراءة الموثقة، وإنما وردت اليه عن طريق السماع من المنقول التي رویت عن الشرق شفاهًا أو نقلت مشوهه في كتب. فالقصة التي يرويها فولتير تتطابق في بعض احداثها إلى حد كبير مع ما فعله الخضر امام موسى مع التخاذ فولتير خلفية بابلية للحكاية وهذا هو الفصل الذي وضعه فولتير عن حياة وتصرات الناسك (الخضر) وقد جعل دور زديج يشبه دور (موسى) في سياقه الغريه هذه.

ونجد في بعض أحداث القصة خلافاً، وإن كانت تدور على التصرف الذي لا يبدو منطقياً فالناسك يسرق طستاً من غني مضياف ليهيه إلى تخيل سبي الخلق والسبب في ذلك كما قال الناسك أن يعلم الكرم المضياف المتساهي أن يخدر ويعلم البخيل القاسي أن يكون كريماً وفي المرة الثانية يحرق الناسك بيت مضيافه الحكيم ويفرح بما فعله في دار مضيافه.

وفي المرة الثالثة يلتقون بأمرأة حسنة فارسلت شاباً قريباً لها لدلل الناسك وزديج على الطريق وحين يصلان إلى هدفهم يرمي الناسك في الهر ويفرقه وحين سأله عن سوء ما فعله أخرجه بأنه أحرق الدار لأن تحتها كثراً عظيماً، وأراد أن يحصل عليه صاحب الدار، وإنه قتل الشاب لأنه لو تركه كان سيقتل عمته. ومهمماً بدت قصة الناسك بعيدة، إلا أن ما فعله الخضر يشير دهشة موسى أيضاً لما يبدو مناقضاً للمنطق مثل خرق السفينه وقتيل الغلام وهنا يشتراك الناسك والخضر في هذا العمل واشتراكاً في حرق البيت عبد الناسك وإقامة الجدار المتهدم في قصة الخضر بسبب الكفر.

الناسك

((وقد لقي في طريقه ناسكاً قد انتشرت حيته على صدره، وتدللت حتى بلغت حزامه. وكان في يده كتاب يقرأ فيه معيناً أشد العناية. فوقف زديج والحنى له في إجلال. وقد رد الناسك تحيته في

وقار ورفق، حتى رحب زديج في أن يتحدث إليه. فسأله في أي كتاب ينظر؟ قال الناسك: ((هو كتاب القضاء، أتريد أن تقرأ فيه شيئاً؟)) ثم وضع الكتاب في يد زديج الذي جعل ينظر فيه دون أن يعين حرفًا من حروفه على علمه المفنى بكثير من اللغات، وكان هذا سبباً في ازدياد حبه للاستطلاع. قال له هذا الأب الرحيم: ((إني لأراك شديد الحزن!)) قال زديج: ((واحسرتاه ما أكثر ما يحزنني!)) قال الشيخ: ((أتاذن في أن أصحبك لعلّي أتفعل؟ فقد استطعت أحياناً أن أشبع العزاء في نفوس الائسين)). وقد أحمس زديج شيئاً من الاحترام لمظهر الناسك ولحيته وكتابه ووجد في حديثه نوراً ممتازاً، وكان الناسك يتحدث عن القضاء والعدل والأخلاق، وغيره الأعظم، وضعف الإنسان، والفضيلة والرذيلة، في بلاغة قوية مؤثرة، حتى أحمس زديج كأنما مجذبه إليه سحر لا يقاوم. فاجتمع عليه في الآية يتركه حتى يبلغ بابل. قال الشيخ: ((إني أطلب إليك هذا الفضل فاقسم لي بأوروز ماداً لا تفارقني إلى أيام مهما أفعل)). فاقسم زديج ومضياً معاً.

وانتهى المسافران مع المساء إلى قصر فخم. وهناك طلب الناسك الضيافة لنفسه وللشاب الذي يصحبه، فأدخلهما الباب الذي كانت تظهر عليه شارات السيادة إلى القصر في شيء من العطف المستخف. ثم قدمها إلى رئيس الخدام، فأظهرها على جاجاً صاحب القصر، ثم أذن لها بشهود المائدة، وأجلسهما في أقصاهما دون أن ينزل صاحب القصر فيمنحهما طرفه، ولكنهما طعماً كما غيرهما، وأظهر الخدام لهما رقة وسماحة وسخاء. ثم قدم اليهما لغسل أيديهما طستاً من الذهب مرصعاً بالزمرد والياقوت. ثم قياداً إلى حجرة جميلة أنفقاً فيها الليل، فلما كان الغد أقبل خادم فدفع إلى كل واحد منهما قطعة من الذهب ثم صرفيهما.

فلما كانوا في الطريق قال زديج: ((تخيل إلى أن صاحب القصر رجل كريم وإن كان فيه شيء من كبرباء، وهو على كل حال حسن الضيافة)). وبينما كان يقول هذا الكلامرأى جيأً عريضاً كان يحمله الشيخ وقد انتفع انتفاحاً عظيماً، فلما نظر تبين له أنه الطست

متحفظاً عن الثورة الأخيرة التي اضطربت لها بابل. وقد ظهر أنه مخلص للملكة أشد الإخلاص وانه كان يمنى لو ظهر زديج في الميدان واستيق مع المستقين ليفوز بالتأيي. ثم قال : ((ولكن الناس لا يستحقون ان يملأ عليهم مثل زديج)). وكان زديج يحمر خجلاً ويشعر بأن آلامه تضاعف. وقد اتفق القوم أثناء الحديث على ان الاشياء في هذا العالم لا تجري على ما يجب الحكماء، وقد أكد الناسك دائمًا أن الناس لا يعرفون طرق القدرة الاليمية، وأنهم يخطئون حين يحكمون على كل شيء لا يعرفون الا يسر أجزاءه.

ثم تحدثوا عن الشهوات. فقال زديج : ((ما أشد خطرها!)) قال الناسك : ((إما الشهوات هي الرياح التي تنشر قلاع السفينة، وهي تغرق السفينة أحياناً، ولكن السفينة لا تستطيع أن تجري من دونها. إن المرارة تدفع الإنسان إلى الغضب، وقد تجلب عليه العلة، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدونها. كل شيء في هذه الأرض خطر، وكل شيء في هذه الأرض ضروري لا بد منه)).

ثم تحدثوا عن اللذة، وأثبت الناسك أنها منحة من الآلهة : ((إن الإنسان لا يستطيع أن يعطي الحس ولا الفكرة، وإنما يتلقى كل شيء تأتيه اللذة والألم من غيره كما يأتيه شخصه هو)). وكان زديج يعجب حين يرى رجالاً قد أتى تلك الأعمال الغريبة يفكرون على هذا التحديق. فلما أخذ القوم بمحظتهم من سرّ ممتع لذيد قاد الضيف ضيفه إلى حجرة مما شاكرًا الله أن أرسل إليه رجلين على الحظ من الحكمة والفضيلة. ثم قدم إليهما شيئاً من مال بطريقة سخية لا تؤدي النفع. فاعتذر الناسك ووعد ضيفه زاعماً أنه يريد أن يسافر إلى بابل قبل أن يشرق النهار. وكان وداعهم رقيقة، وكان زديج يشعر بشيء من الاحترام لهذا الرجل الحبيب إلى القلوب.

فلما صار الناسك وصاحبـه في حجرة مما أثيا ثناء جهلاً على ضيفهما. ثم أيقظ الشيخ رفيقه من آخر الليل قائلاً له : ((يجب أن نرحل، ولكنني أرى قبل أن يستيقظ الناس أن أترك هذا الرجل آية على ما أضمر له من حب وإكبار)). قال ذلك وأخذ مصاحباً

الذهبي المرصع بالجواهـر، وقد سرقه الشيخ. فلم يبرأ أول الأمر على أن يقول شيئاً، ولكنه كان في دهش مؤلم.

فلما اتصف النهار وقف الشيخ أمام دار صغيره كان يسكنها رجل غني بخيل فاستضافه ساعات من نهار، فلقاءـها خادمـها شيخ أشعـت لقاءـها خشنـاً، ثم قادـها إلى الإسطـبل وقدمـ إليهاـ شيئاً من زيتـون فاسـد وخبرـاً رديـناً وجـعة حـامـضة. فأكلـ الناسـك وشرـب راضـياً عن طـعامـه الغـليـظ، كما راضـي أمسـ عن طـعامـه ذـاك الرـقيق، ثم اتجـهـ إلىـ الخـادـمـ الشـيخـ الذـيـ كانـ يراـقبـهـماـ لـيرـىـ لـعـلـهـماـ يـسـرقـانـ شيئاًـ ولـيـسـتـحـثـهـماـ عـلـىـ الرـحـيلـ فـوضـعـ فـيـ يـدـهـ الـدـيـنـارـيـنـ الـلـذـينـ تـلـقـاهـاـ مـصـبـحاـ وـشـكـرـ لـهـ عـنـايـتـهـ بـهـماـ. ثـمـ قـالـ : ((أـرجـوـ أـنـ تـبـعـ لـيـ التـحدـثـ إـلـىـ سـيـدـكـ)). فـأـدـخـلـهـماـ الخـادـمـ دـهـشاـ. قـالـ الناسـكـ : ((أـيـهاـ السـيدـ الـعـظـيمـ، لـيـسـ يـسـعـنـ إـلـاـ أـشـكـرـ لـكـ فـيـ خـضـوعـ بـلـ لـقـائـكـ لـنـاـ. فـيـفـضـلـ بـقـولـ هـذـاـ الطـبـتـ الـذـهـبـيـ آـيـةـ عـلـىـ اـعـتـرـاـيـ بـالـجـمـيلـ))). وـقـدـ كـادـ الـبـخـيلـ يـصـرـعـ مـنـ الـدـهـشـ. وـلـمـ يـجـعـ لـهـ الناسـكـ أـنـ يـفـقـ منـ دـهـشـهـ، وـإـنـاـ مـضـىـ مـسـرـعاـ يـتـبعـ صـاحـبـ الشـابـ. قـالـ زـديـجـ : ((ماـهـذاـ الـذـيـ أـرـاهـ يـأـبـتـ؟ـ ماـأـرـىـ أـنـكـ تـشـبـهـ غـيرـكـ مـنـ النـاسـ،ـ إـنـكـ تـسـرـقـ طـسـتاـ ذـهـيـاـ مـنـ أـمـيرـ تـلـقـانـاـ أـحـسـنـ اللـقـاءـ وـقـبـهـ لـبـخـيلـ عـالـمـكـ أـحـقـيرـ الـعـاـمـلـةـ!ـ))ـ قـالـ الشـيخـ : ((تعلـمـ يـاـ بـنـيـ أـنـ هـذـاـ الـأـمـيرـ الـعـظـيمـ الـذـيـ لـاـ يـسـتـقـبـلـ النـاسـ الـأـغـرـورـ الـظـهـرـهـمـ عـلـىـ ثـرـاهـ سـيـصـبـحـ مـنـ الـيـومـ عـاقـلاـ حـذـراـ.ـ وـسـيـتـعـودـ الـبـخـيلـ أـنـ يـكـونـ مـضـيـافـ فـلـاـ تـدـهـشـ لـشـيءـ وـأـعـيـنـ)).ـ فـلـمـ يـدـرـ زـديـجـ أـيـصـحـ أـعـظـمـ النـاسـ حـظـاـ مـنـ الـجـنـونـ أـمـ أـعـظـمـهـمـ حـظـاـ مـنـ الـحـكـمـةـ.ـ وـلـكـ النـاسـكـ كـانـ يـتـحدـثـ فـيـ ثـقـةـ وـكـانـ زـديـجـ مـرـتـبـاـ بـقـسمـهـ فـلـمـ يـسـعـهـ إـلـاـ يـتـبعـ الشـيخـ.

فـلـمـ كـانـ الـمـسـاءـ بـلـغـاـ دـارـاـ مـقـنـةـ الـبـنـاءـ،ـ وـلـاـ يـظـهـرـ عـلـيـهـاـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ الـإـسـرـافـ وـلـاـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ الـبـخـيلـ.ـ وـكـانـ صـاحـبـ الدـارـ فـيـلـسـوفـاـ قـدـ اـعـتـزـلـ النـاسـ وـعـكـفـ عـلـىـ الـحـكـمـةـ وـالـفـضـيـلـةـ،ـ وـكـانـ عـلـىـ ذـلـكـ لـاـ يـجـسـ مـلـلـاـ وـلـاـ سـأـمـاـ.ـ وـكـانـ قـدـرهـ أـنـ يـقـيمـ هـذـهـ الدـارـ،ـ وـأـنـ يـسـتـقـبـلـ فـيـهـ الـغـرـيـاءـ لـاـ مـسـتـعـلـاـ وـلـاـ مـغـرـورـاـ.ـ فـسـعـيـ مـنـ تـلـقـاءـ نـفـسـهـ إـلـىـ السـائـحـينـ وـقـادـهـاـ إـلـىـ حـجـرـةـ وـثـيـرـةـ لـيـسـتـرـيـحـاـ.ـ ثـمـ أـقـبـلـ بـعـدـ حـينـ فـدـعـهـاـ إـلـىـ مـائـةـ نـظـيـفـةـ وـطـعـامـ مـقـنـ،ـ وـتـحدـثـ الـيـهـمـاـ رـفـقاـ

بنفسه؟ ألم يكن إصلاح هذا الصبي وتقويمه خيراً من إغراقه؟)). قال جسراد: ((لو قد أتيح له أن يكون خيراً وأن يعيش ويتحذل زوجاً لقتل وقتلته معه زوجه وقتل معهما ابنهما)). قال زديج ((ماذا؟)) أليس من الجريمة والشقاء بد؟ أليس من أن يلم الشقاء بالأخيار؟)) قال جسراد: ((إن الاشرار أشقياء دائمًا وإنهم محنة تتحقق لهم قلة من الخيارات مفرقة في الأرض، وليس من شر إلا وهو مصدر للخير)). قال زديج: ((وما يمنع أن يوجد الخير ولا شر معه؟)) قال جسراد: ((إذن لنبدل الأرض غير الأرض وتتابع الأحداث على أسلوب آخر من الحكمة. وهذا الأسلوب من الحكمة الكاملة لا يمكن أن يوجد إلا في الملا الأعلى حيث لا يستطيع الشر أن يرقى. وقد خلق الله مالا يعین من العوالم ليس منها واحد يشبه الآخر. وهذا الاختلاف العظيم آية على قدرته التي لا حد لها، فليس من ورقتن في الأرض ولا كرتين في حقل السماء تشبه إحداهما الأخرى. وكل ما تراه على هذه الذرة الضئيلة التي ولدت عليها قدر له مكانه تقديرًا حسب النظام الثابت الذي أبدعه القادر على كل شيء .

إن الناس يظلون أن هذا الصبي الذي هلك قد سقط في الماء مصادفة، وأن المصادفة نفسها هي التي حرق الدار. ولكن المصادفة لا وجود لها، فكل شيء إما امتحان وإما عقاب، وإما مكافأة، وإما احتياط. تذكر ذلك الصياد الذي كان يرى نفسه أشقي الناس، لقد أرسلك أوروزماد لتغير مصيره. أيها الملك الضعيف لا تتعرض على من يجب أن يعبد)). قال زديج ((لكن...)). وبينما كان يقول ((لكن)) كان الملك يرقى في السماء العاشرة. فجئنا زديج ورفع إلى القدرة الالهية عبادته وإذاعاته. قال له الملك من أعلى السماء: ((أسلك طريقك إلى بابل)). (زديج ص ٢٨ - ٤٣٢)

[١٣]

قصة موسى والذئب عليهما السلام

قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَّاهُ لَا تَبْرُحْ حَتَّىٰ أَتَلْعَنَ مَجْمَعَ الْبَخْرَيْنِ أَوْ أَنْضِيْ حَقْبَاً (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ يَنْهَمَا تَسِيْ حَوَّهُمَا فَائْتَهُمَا سَبِيلَةُ الْبَخْرِ سَرَبَا (٦١) فَلَمَّا جَاءُوهُمَا قَالَ لِفَتَّاهُ

فأشعل النار في الدار. وقد روى زديج فجعل بصيح وهم أن يعن الشيخ من اقتراف هذا الإثم المنكر. ولكن الناسك كان يجد به بقعة لا تقاوم على حين كانت الدار تشتعل؛ والناسك ينظر إليها من بعيد في هدوء قائلاً: ((الحمد لله هذه دار مضيفي قد دمرت تدميراً. ما أسعد هذا الرجل فلما سمع زديج هذا الكلام هم أن يضحك وأن يضرب الشيخ وأن يسيبه وأن يعضى لوجهه. ولكنه لم يصنع من ذلك شيئاً، وإنما حضر لسلطان الناسك وتبعه كارها إلى الرحلة الأخيرة. وقد انتهت بهما هذه المرحلة إلى أرملة مسنة فاضلة، يعيش معها فتى قريب لها في الرابعة عشرة من عمره، وكان جيلاً محباً وكان أملها الوحيد. وقد ضيفهما كاحسن ما استطاعت، فلما كان الغد أمرت قريتها أن يصحب المسافرين إلى جسر قد قطع منذ حين فاصبح عبورة خطراً على الذين لا يعرفونه. ومضى الفتى أمامها حفيهاهما. فلما بلغوا الجسر قال الناسك للفتى: ((أقبل فإني أريد أنأشكر لعمتك صنيعها)). ثم يأخذ بشعره ويلقيه في النهر، ويسقط الفتى ثم يطفو ثم يستخفى في جلة الماء . هنالك لم يستطع زديج صبراً فصاح: ((يا لك من وحش! يا لك من مجرم لم يبر الناس مثله!)) قال الناسك: ((لقد وعدتني أن تصبر على ما ترى. فعلم أن تحت هذه الدار التي دمرتها القدرة الالهية كثراً عظيماً قد ظفر به صاحبها. وتعلم أن هذا الفتى الذي قتلته القدرة الالهية لو عاش لقتل عمته بعد عام، ولقتلك أنت بعد عامين)). قال زديج: ((ومن أباك بهذا أنهاها المجنجي؟ وهبك قرأت هذا في كتابك أمن حرقك أن تقتل صبياً ميسء إليك؟)).

وبينما كان البابلي يتكلم، نظر فإذا الشيخ قد فقد حيته وظهرت على وجهه ملامح الشباب، وقد زال عنه ثوب الناسك ونبت في جسمه المهيب أجنحة أربعة، قال زديج ، وهو يجثو: ((أي رسول السماء أنها الملك الإلهي فأنت إذن قد هبطة من أعلى علينا لتعلم انساناً ضعيفاً هالكاً أن يدع عن لسلطان القضاء الخالد، وقال الملك جسراد: ((إن الناس ليقولون في كل شيء دون أن يعلموا شيئاً، وقد كنت أشد الناس حاجة إلى أن تعلم)). فاستاذته زديج في إن يتكلم: ((إن أفهم نفسي. ولكن أجزو على أن أسألك أن تجلو لي شگاً يقوم

كتبهم، منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي، ويقال : إنه دمشقي وكانت أمها زوجة كعب الاخبار، وال الصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه، أنه موسى بن عمران صاحببني إسرائيل.

قال البخاري : حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن ديار ، أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل ، قال ابن عباس : كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم؟ فقال : أنا فعقب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه : إن لي عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك)، قال موسى : يارب ، وكيف لي به؟ قال : تأخذ معلك حوتاً فيجعله بمكتيل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ، فأخذ حوتاً فيجعله بمكتيل ، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون ، حتى إذا أتي بالصخرة وضع رؤوسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتيل ، فخرج منه فسقط في البحر ، واتخذ سيله في البحر سرياً ، وأمسك الله عن الحوت جريه في الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخربه بالحوت ، فانطلقما بقية يومهما وليلتهما ، حتى اذا كان من الغد قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرينا هذا نصباً (٦٢) ولم يجد موسى الصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به (قال) له فتاه (أرأيت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانية إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيله في البحر عجباً (٦٣) قال فكان للحوت سرياً ، ولو مسبي ولفتاه عجباً (قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصاً) (٦٤) قال : فرجعاً يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنت بأرضك السلام ، قال : أنا موسى ، قال : موسى بن إسرائيل ، قال : نعم ، أتيتك لتعلمك ما علمت رشدًا ، (قال إلك

آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرينا هذا نصباً (٦٢) قال أرأيت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانية إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيله في البحر عجباً (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصاً (٦٤) فوجداً عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا (٦٥) قال له موسى هل أبعنك على أن تعلم مما علمت رشدًا (٦٦) قال إلك لن تستطيع معي صبراً (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحظ به خيراً (٦٨) قال سجدتني إن شاء الله صابراً ولا أغصي لك أثراً (٦٩) قال فإن أتيتني فلا تسألي عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (٧٠) فانطلقا حتى إذا ركبنا في السفينة خرقها قال آخر قتيلاً لفرق أهلها لقد جئت شيئاً أثراً (٧١) قال ألم أفل إلك لن تستطيع معي صبراً (٧٢) قال لا توأحدني بما نسيت ولا ترهقني من أمري غسراً (٧٣) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتلته قال أقتلت نفساً زكية بغیر نفس لقد جئت شيئاً ذكراً (٧٤) قال ألم أفل لك إلك لن تستطيع معي صبراً (٧٥) قال إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدئي غدراً (٧٦) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيئو هما فوجداً فيها جداراً يرى أن ينقض فأقامه قال لو تعيين قاتل لوقتكم سارك عن شيء بعدها فلاناً فراراً (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك سأبلك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً (٧٨) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعييها وكان رءاؤهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً (٧٩) وأمام العلام فكان أبواه مؤمن فخشينا أن يرهقهما طعاناً وكفراً (٨٠) فاردنا أن يندلهم ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحمة (٨١) وأمام الجدار فكان لغلامين يبيمين في المدينة وكان تحنة كثراً لهم وكان أبوهما صالح فراراً درك أن يبلغا أشد هما ويستحرجاً كثراً هما رحمة من ربكم وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً (٨٢) (الكهف : ٦٠-٨٢)

قال بعض أهل الكتاب : إن موسى هذا الذي رحل إلى الخضر ، هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن

صبر حتى يقص الله علينا من خيرها). قال سعيد ابن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: ((وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصاً)). وكان يقرأ: ((وأما العلام فكان كافرا و كان أسوأه مؤمن)).

[٤]

ذكاء زديج وذكاء إياس القاضي

ونجد أن فولتير - وكلما ضعف نسيج الرواية - وأصبح قريباً من الحديث الذي لا يشد القارئ يأتي بحكاية عربية لإثارةاهتمام القارئ بالحدث الممل ويع垦 أن نعطي ثوذاً جنون من هذه الحكايات. الأولى حكاية عربية تروى عن ذكاء القضاة العرب والثانية تروى عن ذكاء امرأة في محاولة استخراج عشيقتها من السجن.

قال في كتاب الأذكياء عن الحكاية الأولى:

((أستودع رجل رجلاً مالاً ثم طلبه فجحدده فخاصمه إلى إياس بن معاوية قال الطالب: ي دفعت مالاً إليه. قال: ومن حضر؟ قال دفته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد. قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع. قال: شجرة: قال: فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة فلعل الله يوضح لك هناك ما يتبع به حشك. لعلك دفت مالك عبد الشجرة ونسرت فتذكري إذا رأيت الشجرة. فمضى الرجل. قال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك فجلس. وإياس يقضي وينظر إليه ساعة. ثم قال:

يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا.

قال: باعده الله إنك لخائن. قال: أقولني أقالك الله فأمر من يحيط به حتى جاء الرجل، فقال إياس: ((قد أقر لك بحقك فخذنه)).
(الأذكياء ص ٦٦)

وترد الحكاية المشابهة عند فولتير في الفصل العاشر (الرق) حين يرى سيوك بأن يكون زديج محاميه يزاء دعوى اليهودي الذي انكر مال الناجر والحكايات لا تكادان تختلفان في العقدة إلا أن مكان (الدين) كان عند (الشجرة) في الحكاية العربية وفي حكاية فولتير كان عند (الصخرة).

لن تستطيع معي صبرا)) (٦٧) يا موسى إني على علم من علم الله، علمته الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم علمته الله لا أعلمها، فقال: (قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أغضي لك أمراً) (٦٩) قال له الخضر قال فإن أبغضني فلا تسألني عن شيء شئني أحدث لك منه ذكرأ (٧٠) (فانطلق) يمشي على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بسفن نول، فلما ركبوا في السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاماً من الواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حللونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئاً أمراً (٧١) قال ألم أقل إلّك لن تستطع معني صبراً (٧٢) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترُهقني من أمرِي عشرأ (٧٣) قال: وقال رسول الله: وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنفر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، وبينما هما يمشيان على الساحل إذ يصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده، علوم

فقال له موسى: (أقتلت نفساً زكية بغير نفسٍ لقد جئت شيئاً لذكرأ (٧٤) قال ألم أقل لك إلّك لن تسألي ، معنى صبراً (٧٥) قال وهذه أشد من الأولى: (قال إن سألك عن شيء بعددنا فلا تصاحبني قد تلقيت من لذتي غلزاً (٧٦) فأنطلق طلاقاً حتى إذا أتيت أهل قرية استطعهما أهلهما فآتنياً أن يضيقوهما فوجداً فيها جداراً يربد أن ينقض، قال: مائل، فقال: الخضر بيده (فأقامه) فقال موسى: قوم أتيتكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا. ((لو شئت لأخذت عليه أحراً (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك سأبئنك بتاء ما لا يُستطع عليه صبراً (٧٨)))

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((وددنا أن موسى كان

[٥]

ليلة اطراة في ألف ليلة وليلة وليلة اطرونا في زدبيج

اما الحكاية الثانية القصيرة فلانتابعها في احدى مرويات ألف ليلة وليلة في حكاية السندياد البري وهي من حكایات الوزير السادس عن امرأة خدعت عدداً من رجال الدولة وجسّتهم في خزانة ملابس. ونرى ان فولتير قد أوجز الحكاية الى الحد الأدنى وأعتقد ان فولتير تعمد ذلك لكي لا يتم لهم باخذ العقدة من حكاية عربية وقد اصبح ألف ليلة وليلة معروفاً للقارئ والأوري. وبذلك فقد من العقدة العربية كما سرّى مسأرِيقاً ولكنه لم ينج من تأثيرها مطلقاً.

حكایة الوزیر السادس في كيد النساء

الحكایة السادسة عشرة:

قال الوزير: بلغني أيها الملك، أن امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار، فسافر زوجها إلى بلاد بعيدة، وأطال الغيبة فزاد عليها الحال فعشقت غلاماً ظريفاً من أولاد التجار وكانت تحبه وريجها محبة عظيمة، ففي بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل، فشكاه الرجل إلى والي تلك البلد فسجنه، فبلغ خبره زوجة الناجي معشوقته، فطار عقلها عليه، فقامت ولبسـت أثغر ملبوسـها، ومضـت إلى مترـل الوالي، فسلمـت عليه، ودفعـت له ورقة تذكرـ فيها أنـ الذي سجنـته وجسـته هو أخيـ الذي تنازعـ مع فلانـ، والجماعةـ الذين شهدـوا عليهـ، قد شهدـوا باطلـاًـ وقد سجنـ في سجنـكـ، وهوـ مظلومـ وليسـ عنـديـ منـ يدخلـ علىـ ويقومـ بحالـيـ غيرـهـ، واسـألـ منـ فضلـ مولـاناـ إطـلاقـهـ منـ السـجنـ.

فلما قرأـ الواليـ الورقةـ ثمـ نظرـ إليهاـ فعشـفـهاـ وقالـ لهاـ: أـدخلـيـ المـترـلـ حتىـ أحـضرـهـ بينـ يـديـ، ثمـ أـرسـلهـ إـلـيـكـ فـتأـخـذـيهـ، فـقـالـتـ لهـ: ياـ مـولـاناـ لـيسـ ليـ أحدـ إـلاـ اللهـ تـعـالـيـ وـأـنـ اـمـرـأـةـ غـرـبـيـةـ، لاـ أـقـدرـ عـلـىـ دـخـولـ مـترـلـ أحدـ فـقـالـ لهاـ الوـالـيـ: لاـ اـطـلـقـهـ لـكـ حتـىـ تـدـخـلـيـ المـترـلـ وـأـقـضـيـ حاجـيـ منـكـ، فـقـالـتـ لهـ: إنـ أـرـدـتـ ذـلـكـ فـلـاـ بـدـ أنـ تـحـضـرـ عنـديـ فيـ مـترـلـ، وـتـقـعـدـ وـتـنـامـ وـتـسـتـرـيـعـ هـارـكـ كـلـهـ. فـقـالـ لهاـ: وـأـينـ مـرـكـ؟

((ولم يكـدـ سـيـتوـكـ يـصلـ إـلـيـ مـضـارـبـ الـقـبـيلـةـ حـتـىـ اـسـتـفـضـ يـهـودـيـاـ هـنـسـ هـنـهـ مـثـقـالـ مـنـ الـفـضـةـ، وـهـوـ دـيـنـ كـانـ الـيـهـودـيـ قـدـ اـقـرـضـهـ مـنـهـ أـمـامـ شـاهـدـيـنـ، وـلـكـنـ الشـاهـدـيـنـ كـانـاـ قدـ فـارـقـاـ الـحـيـاةـ، فـالـتـوـيـ الـيـهـودـيـ بـالـدـيـنـ حـامـدـاـ لـهـ أـنـ أـتـاحـ لـهـ هـذـهـ النـعـمةـ الـيـ مـكـتـهـ مـنـ أـنـ يـجـحـدـ دـيـنـ رـجـلـ مـنـ الـعـربـ. فـأـفـضـيـ سـيـتوـكـ هـمـمـهـ هـذـاـ الـلـيـ زـدـبـيـجـ الـذـيـ كـانـ قـدـ أـصـبـحـ لـهـ مـسـتـشـارـاـ. قـالـ زـدـبـيـجـ: ((فـيـ أـيـ مـكـانـ أـقـرـضـتـ مـثـاقـيلـ هـذـاـ الـكـافـرـ؟)) قـالـ النـاجـرـ: ((عـلـىـ صـخـرـةـ ضـخـمـةـ قـرـيبـاـ مـنـ جـبـلـ أـوـرـبـ)). قـالـ زـدـبـيـجـ: ((وـمـاـ أـخـصـ مـاـ يـمـتـازـ بـهـ مـدـيـنـيـ؟)) أـجـابـ سـيـتوـكـ: ((يـمـتـازـ بـالـغـدـرـ)). قـالـ زـدـبـيـجـ: ((ولـكـنـ أـسـلـكـ أـنـشـيـطـ هـوـ أـمـ كـسـلـ، أـحـذرـ هـوـ أـمـ أـخـرـقـ)). قـالـ سـيـتوـكـ: ((هـوـ بـيـنـ الـذـينـ يـتـلـوـونـ بـالـدـيـنـ أـعـظـمـهـمـ حـظـاـ مـنـ النـاشـاطـ)). قـالـ زـدـبـيـجـ: ((أـنـأـذـنـ أـنـ أـكـوـنـ مـحـاـمـيـكـ أـمـامـ الـقـضـاـةـ؟)) ثـمـ دـعـاـ الـيـهـودـيـ أـمـامـ الـمـكـمـةـ وـتـحـدـثـ إـلـيـ الـقـضـاـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ: ((يـاـ وـسـانـدـ الـعـرـشـ الـذـيـ يـسـتـقـرـ عـلـىـ الـعـدـلـ إـنـ أـطـلـبـ إـلـيـ هـذـاـ الرـجـلـ نـيـابةـ عـنـ سـيـديـ هـنـسـ هـنـهـ مـثـقـالـ مـنـ الـفـضـةـ قـدـ التـوـيـ هـاـ وـأـيـ أـنـ يـؤـدـيـهـاـ)). قـالـ الـقـاضـيـ: ((أـعـنـدـكـ بـيـنةـ؟)) قـالـ زـدـبـيـجـ: ((لاـ! لـقـدـ مـاتـ الـشـاهـدـانـ، وـلـكـنـ هـنـاكـ صـخـرـةـ عـرـيـضـةـ عـدـتـ عـلـىـهـاـ الـمـاـقـيلـ، فـإـذـاـ أـذـنـتـ الـمـكـمـةـ بـحـمـلـ هـذـهـ الصـخـرـةـ فـقـدـ أـرـجـوـ أـنـ تـشـهـدـ لـيـ وـسـبـقـيـ نـحـنـ هـنـاـ حـتـىـ تـحـمـلـ الصـخـرـةـ. وـسـأـرـسـلـ مـنـ يـحـمـلـهـاـ عـلـىـ نـفـقـةـ سـيـديـ سـيـتوـكـ)). قـالـ الـقـاضـيـ: ((لاـ بـأـسـ)). وـجـعـلـ يـنـظـرـ فـيـ قـضـاـيـاـ أـخـرـيـ.

فـلـمـاـ كـانـ آـخـرـ الـجـلـسـةـ قـالـ لـزـدـبـيـجـ: ((أـلـمـ تـأـتـ صـخـرـتـكـ بـعـدـ؟)) فـصـاحـكـ الـيـهـودـيـ قـائـلاـ: ((تـسـتـطـعـ عـظـمـتـكـ أـنـ تـبـقـيـ فـيـ الـجـلـسـةـ إـلـيـ غـدـ دونـ أـنـ تـحـضـرـ الصـخـرـةـ، فـهـيـ تـقـومـ عـلـىـ بـعـدـ سـتـةـ أـمـيـالـ، وـلـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـجـوـهـاـ عـنـ مـكـانـهـ أـقـلـ مـنـ هـنـسـةـ عـشـرـ رـجـلـ)). فـصـاحـ زـدـبـيـجـ: ((أـلـمـ أـقـلـ لـكـ إـنـ الصـخـرـةـ سـتـشـهـدـ لـيـ؟ فـمـاـ دـامـ هـذـاـ الرـجـلـ يـعـرـفـ مـكـانـهـ فـهـوـ يـقـرـ بـأـنـ الـمـاـقـيلـ قـدـ عـدـتـ عـلـيـهـاـ)). فـبـهـتـ الـيـهـودـيـ وـاضـطـرـ أـخـرـ الـأـمـرـ إـلـيـ الـاعـتـرـافـ، وـأـمـرـ الـقـاضـيـ بـأـنـ يـشـدـ هـذـاـ الرـجـلـ إـلـيـ الصـخـرـةـ وـلـاـ يـقـدـمـ إـلـيـهـ طـعـامـ وـلـاـ شـرـابـ حتـىـ يـؤـدـيـهـ الـدـيـنـ. وـمـنـذـ ذـلـكـ الـوـقـتـ أـصـبـحـ الـعـبدـ زـدـبـيـجـ وـالـصـخـرـةـ مـوـضـعـ ثـقـةـ وـثـاءـ فـيـ بـلـادـ الـعـربـ)). ((زـدـبـيـجـ صـ ٣٩٧ـ ـ ٣٩٨ـ)).

خليلي هل أبصرتُما أو سمعتُما
زيارة من جلت مكارمه عندي

فقال لها الملك: لا تخالف لك أمناً، وواعدته في اليوم الذي فيه غررها وعرفتها مترها.

وادرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التسعين بعد الخمسة والستين [٥٩]

قامت: باغني أيها الملك السعيد، أن المرأة لما أجبات الملك وعرّفته مترها. وواعدته على ذلك اليوم الذي واعدت فيه الوالي والقاضي والوزير، ثم خرجت من عنده فجاءت إلى رجل نجار، وقالت له: أريد منك أن تصنع لي خزانة بأربع طبقات ، بعضها فوق بعض كل طبقة بباب يغلب عليها، وابخرني بقدر أجرنك فأعطيك، فقال لها: أربعة دنانير، وإن أعمت على أيتها السيدة المصونة بالوصال فهو الذي أريد، ولا آخذ منك شيئاً، فقالت له: إن كان ولا بد فاعمل لي خمس طبقات بأقبال، فقال: حبّاً وكراهة. وواعدته أن يحضر لها الخزانة في ذلك اليوم بعينه، فقال لها النجار: يا سيدي أقعدني حتى تأخذني حاجتك في هذه الساعة، وأنا بعد ذلك أجيء على مهلي،

فعقدت عنده حتى عمل لها الخزانة بخمس طبقات.

وانصرفت إلى مترها، فوضعتها في الحبل الذي فيه الجلوس، ثم إنما أخذت أربعة أنواع وحملتها إلى الصباغ، فصبغ كل ثوب لوناً وكل لون خلاف الآخر، وأقبلت على تجهيز المأكل والمشرب والمسموم والقواركه والطيب.

فلما جاء يوم الميعاد لبست أثغر ملبوسها، وتزييت وتطيي، ثم فرشت أنواع البسط الفاخرة، وقعدت تستظر من يأتي وإذا بالقاضي دخل عليها قبل الجماعة، فلما رأته قامت واقفة على قدميها، وقبلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته على ذلك الفراش، ونامت معه ولاعبته، فأراد منها قضاء الحاجة، فقالت له: يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك وابس هذه الغلالة الصفراء، واجعل هذا القناع على رأسك حتى أحضر المأكل والمشرب ، وبعد ذلك تقضي حاجتك، فأخذت ثيابه وعمامته وابس الغلالة والقناع ، وإذا بطارق يطرق

فقالت له : في الموضع الفلاي، ثم خرجت من عنده وقد اشتعل قلب الوالي.

فلما خرجت دخلت على قاضي البلد وقالت له: يا سيدنا القاضي، قال لها: نعم، قالت له: أنظر في أمري وأجرك على الله، فقال لها: من ظلمك؟ قالت له: يا سيدي لي أخ وليس لي أحد غيره، وهو الذي كلفني الخروج إليك. لأن الوالي قد سجنـه وشهدوا عليه بالباطل أنه ظالم، وإنما أطلب منك أن تشفع لي عند الوالي، فلما نظرـها القاضي عـشقـها، فقال لها: أدخلـي المـنزلـ عندـ الجـوارـيـ واستـرـيجـيـ معـناـ ساعـةـ، وـنـحـنـ نـرـسـلـ إـلـىـ الـوـالـيـ بـأـنـ يـطـلـقـ أـخـاكـ وـلـوـ كـنـاـ نـعـرـفـ الدـرـاهـمـ الـقـيـصـيـ عـلـيـهـ كـنـاـ دـعـنـاهـاـ، مـنـ عـنـدـنـاـ لأـجـلـ قـضـاءـ حاجـتكـ لـأـنـكـ أـعـجـبـتـاـ مـنـ حـسـنـ كـلـامـكـ، إـنـ لـمـ تـدـخـلـيـ مـنـزـلـ فـاخـرجـيـ إـلـىـ حـالـ سـيـلـكـ، فـقـالـتـ لـهـ: إـنـ أـرـدـتـ ذـلـكـ يـاـ مـوـلـانـاـ فـيـكـونـ عـنـدـيـ فـيـ مـنـزـلـ أـسـتـرـ وـأـحـسـنـ مـنـ مـنـزـلـكـ، فـإـنـ فـيـ الـجـوارـيـ وـالـخـدـمـ وـالـدـاخـلـ وـالـخـارـجـ، وـأـنـ اـمـرـأـ مـاـ أـعـرـفـ شـيـئـاـ مـنـ الـأـمـرـ لـكـ الضـرـورةـ تـحـوـجـ، فـقـالـتـ لـهـ القـاضـيـ: وـأـينـ مـرـلـكـ؟ فـقـالـتـ لـهـ: فـيـ المـوـضـعـ الـفـلـايـ، وـوـاعـدـتـهـ عـلـىـ الـذـيـ وـعـدـتـ فـيـ الـوـالـيـ.

ثم خرجت من عند القاضي إلى منزل الوزير، فرفعت إليه قصتها وشكـتـ إـلـيـهـ ضـرـورـةـ أـخـيـهـ، وـأـنـهـ سـجـنـهـ الـوـالـيـ، فـرـاـوـدـهـ الـوـزـيـرـ عـنـ نفسـهاـ، وـقـالـ لـهـ: نـقـضـيـ حاجـتـاـ منـكـ، وـنـطـلـقـ لـكـ أـخـاكـ، فـقـالـتـ لـهـ: إـنـ أـرـدـتـ فـيـكـونـ عـنـدـيـ فـيـ مـنـزـلـ إـسـتـرـ لـيـ وـلـكـ، لـأـنـ الـمـنـزـلـ لـيـ بـعـيـداـ، وـأـنـ تـعـرـفـ مـاـ نـحـنـجـ إـلـيـهـ مـنـ النـظـافـةـ وـالـظـرـافـةـ، فـقـالـ لـهـ الـوـزـيـرـ: وـأـينـ مـرـلـكـ؟ فـقـالـتـ لـهـ: فـيـ المـوـضـعـ الـفـلـايـ، وـوـاعـدـتـهـ عـلـىـ الـذـيـ وـعـدـتـ فـيـ الـوـالـيـ، فـلـمـ سـمـعـ الـمـلـكـ كـلـامـهـ رـشـقـتـهـ بـسـهـامـ العـشـقـ فـيـ قـلـبـهـ، فـأـمـرـهـ أـنـ تـدـخـلـ مـعـهـ الـقـصـرـ حـقـ يـرـسـلـ إـلـىـ الـوـالـيـ وـيـخـلـصـ أـخـاهـ، فـقـالـتـ لـهـ: أـيـهـ الـمـلـكـ هـذـاـ اـمـرـ يـسـهـلـ عـلـيـكـ إـمـاـ بـأـخـيـارـيـ إـمـاـ قـهـراـ عـنـيـ، فـإـنـ كـانـ الـمـلـكـ أـرـادـ ذـلـكـ مـنـ فـيـهـ مـنـ سـعـدـ حـظـيـ، وـلـكـ هـلـ جـاءـ إـلـيـ مـنـزـلـيـ يـشـرـفـيـ بـنـقـلـ خـطـوـاتـ الـكـرـامـ كـمـاـ قـالـ الشـاعـرـ:

الطبقة الثالثة، وقفلت عليه وخرجت، ففتحت الباب وأذا هو الملك دخل، فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على الفراش وقالت له: شرفتنا أيها الملك، ولو قدمت لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك علينا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المحظوظ.

وفي الليلة الواحدة والتسعين بعد الخمسمائة (٥٩١)

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما دخل دار المرأة قالت له: لو أهدينا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك علينا، فلما جلس على الفراش قالت له: اعطي إذنًا أكلمك كلمة واحدة، فقال لها: تكلمي مهما شئت، فقالت له: استرح يا سيدى وأخلع ثيابك وعمامتك، وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي ألف دينار، فلما خلعها ألبسته ثوباً خلقاً قيمته عشرة دراهم بلا زيادة، وأقبلت تؤانسه وتلاعبه، هذا كله والجماعة الذين في الخزانة يسمعون ما يحصل منها، ولا يقدر أحد أن يتكلم، فلما مدد الملك يده إلى عنقها وأراد أن يقضى حاجته منها، قالت له: هذا الأمر لا يفوتنا وقد كنت قبل الآن وعدت حضرتك بهذا المجلس، فلك عندي ما يسرك ، فينما لما يتعذر، وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها: من هذا؟ قالت زوجي، قال : كيف أعمل؟ فقالت له: ادخل هذه الخزانة حتى أصرفه واعود إليك، فأخذته في الطبقة الثانية، وقفلت عليه كل هذا والقاضي يسمع كلامها.

ثم خرجت إلى الباب وفتحته، وأذا هو الوزير قد أقبل، فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته، وقالت له: يا سيدى لقد شرفنا بقدومك في منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هذه الطلعة، ثم اجلسه على الفراش وقالت له: أخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة، فخلع ما كان عليه وألبسته غلالة زرقاء وطروراً أحمر، فلما لبسها الوزير لاعبته على الفراش ولا عبها، وهو يريد قضاء الحاجة منها وهي غنمه وتقول: يا سيدى هذا لا يفوتنا.

فينما هى في الكلام، وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها: من هذا؟ قالت له: زوجي ، فقال لها: كيف التدبير؟ فقالت: قم وادخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجي واعود إليك ولا تخفي، ثم إنما أدخلته

الباب فقال لها القاضي: من هذا الذي يطرق الباب؟ قالت له: هذا زوجي ، فقال لها: وكيف العمل وأين أروح أنا؟ قالت له: لا تخفي، فإن أدخلتك هذه الخزانة، فقال لها: أفعل ما بدا لك، فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة السفلية، واقفلت عليه، ثم إنما خرجت إلى الباب وفتحته، وأذا هو الوالي، فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأخذت بيده، وأجلسته على ذلك الفراش وقالت له: يا سيدى، إن الموضع موضعك وأخل محلك، وأنا جاريتك ومن بعض خدامك رأنت تقيم هذا النهار عندي، فاخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب الأحمر، ثوب النوم، وقد جعلت على رأسه خلقة من خرقة كانت عندها، فلما أخذت ثيابه أتت إليه في الفراش ولاعبته ولاعبها فلما مد يده إليها قالت له: يا مولانا هذا النهار هبارك، وما أحد يشاركك في ولكن من فضلك وإحسانك تكتب لي ورقة بباطلاق أخي من السجن حتى يطمئن خاطري، فقال لها: السمع والطاعة على الرأس والعين، وكتب كتاباً إلى خازنناه يقول فيه: ساعة وصول هذه المكاتب إليك تطلق فلاناً من غير إمهال ولا تراجع حاملها بكلمة ، ثم أقبلت تلاعبه على الفراش، وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها: من هذا؟ قالت زوجي، قال : كيف أعمل؟ فقالت له: ادخل هذه الخزانة حتى أصرفه واعود إليك، فأخذته في الطبقة الثانية، وقفلت عليه كل هذا والقاضي يسمع كلامها.

ثم خرجت إلى الباب وفتحته، وأذا هو الوزير قد أقبل، فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته، وقالت له: يا سيدى لقد شرفنا بقدومك في منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هذه الطلعة، ثم اجلسه على الفراش وقالت له: أخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة، فخلع ما كان عليه وألبسته غلالة زرقاء وطروراً أحمر، فلما لبسها الوزير لاعبته على الفراش ولا عبها، وهو يريد قضاء الحاجة منها وهي غنمه وتقول: يا سيدى هذا لا يفوتنا.

فينما هى في الكلام، وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها: من هذا؟ قالت له: زوجي ، فقال لها: كيف التدبير؟ فقالت: قم وادخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجي واعود إليك ولا تخفي، ثم إنما أدخلته

قال الجن لبعضهم: إن الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الانس، فلما سمعهم القاضي قرأ شيئاً من القرآن العظيم، ثم قال للجن: أدنوا من الخزانة التي نحن فيها، فلما دنوا منها قال لهم: أنا فلان ومعي فلان ونحن هنا جماعة، فقال الجن للقاضي: ومن جاء بك هنا؟ فأعلمهم بالخبر من أوله إلى آخره، فأحضروا لهم نجارة، ففتح للقاضي خزانته وكذلك الوالي والوزير والملك والنحاج وكل منهم بالملبوس الذي عليه.

فلما طلعوا نظر بعضهم البعض، وصار كل واحد منهم يضحك على الآخر، ثم انهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا لها على خبر، وقد أخذت جميع ما كان عليهم، فأرسل كل منهم إلى جماعته يطلب ثباتاً، فأخذوا لهم ملبوساً، ثم خرجوا مستورين به على الناس، فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التي فعلتها المرأة مع هؤلاء القوم.

وادرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح .

[الف ليلة وليلة، الليلي ٥٨٩ - ٥٩٣]

وتدور حكاية فولتير أيضاً حول خلاص زديج من العقاب ومحاولة (ألونا) الأرملة الشابة إغراء عدد من أهل الفوذ لإطلاق سراحه بالخبلة وبالفضيحة التي اعدها لهؤلاء الكهنة بعد أن أحضرت القضاة ليشهدوا على ذلك. قال:

((لو علموا ان لزديج من المال ما يعوض عليهم ثيابهم، ولكنهم حين انتهي لهم الألم الى أقصاه اكتفوا بالحكم عليه أن يحرق في نار هادئة. وقد جزع ستيوك وأنفق ما كان يملك من جهد لينقذ صديقه، ولكنه أكره على الصمت إكرهاً، هنالك أزمعت الأرملة الشابة ألونا أن تقذه، وكانت قد أحببت الحياة بفضل زديج، فرادت أن تعصمه من النار التي بين لها ما فيها من الظلم، فأدانت رأيها في رأسها دون أن تتحدث به إلى أحد، وكان مقرراً أن يحرق زديج من غده، فلم يكن أمام الأرملة إلا الليل الإنقاذة. وإليك الخطة التي دبرها في رحمة ورفق وحدر.)

تعطرت وازبنت حتى جعلت جهالها ساحراً فناناً، ثم طلبت لقاء خاصاً إلى رئيس كهنة النجوم. فلما مثلت أمام هذا الشيخ الجليل

المدينة إلى مدينة أخرى وليس لها بعد هذا الفعل اقامة لها، ثم جهزوا ما كان عندهما وحملوا على الجمال وسافروا من ساعتها إلى مدينة أخرى، وأما القوم فإنهم أقاموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل، فلما حصرروا لأن لهم ثلاثة أيام لم يسولوا، فبَالْنَّجَارِ عَلَى رَأْسِ السُّلْطَانِ وَبَالْوَالِي عَلَى رَأْسِ الْقَاضِيِّ فَصَاحَ الْقَاضِيُّ وَقَالَ إِنِّي شَيْءٌ هَذِهِ الْجَاسِسَةِ؟ إِنَّمَا يَكْفِيَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ حَقٌّ تَبَوَّلُوا عَلَيْنَا؟ فَرَفَعَ الْوَالِي صَوْتَهُ وَقَالَ: عَظِيمُ اللهِ اجْرُكُ إِيَّاهَا الْقَاضِيُّ، فَلَمَّا سَمِعَهُ عَرَفَ أَنَّهُ الْوَالِيَّ، ثُمَّ انَّ الْوَالِيَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ: مَا بَالِ هَذِهِ الْجَاسِسَةِ؟ فَرَفَعَ الْوَزِيرُ صَوْتَهُ وَقَالَ: عَظِيمُ اللهِ اجْرُكُ إِيَّاهَا الْوَالِيَّ، فَلَمَّا سَمِعَهُ الْوَالِي عَرَفَهُ ثُمَّ سَكَتَ وَكَثُمَّ أَمْرَهُ، ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ قَالَ: لَعْنَ اللهِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَمَّا فَعَلَتْ مَعَنَا أَحْضَرَتْ جَمِيعَ أَرْبَابِ الدُّولَةِ عِنْدَهَا مَا عَدَهَا الْمَلِكُ، فَلَمَّا سَمِعَهُ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ: اسْكُنُو فَانَا أَوْلَى مَنْ وَقَعَ فِي شَبَكَةِ هَذِهِ الْعَاهِرَةِ الْفَاجِرَةِ، فَلَمَّا سَمِعَ الْنَّجَارُ قَوْلَهُمْ قَالَ لَهُمْ: أَنَا أَيْ شَيْءٌ ذَنَبِيِّ، قَدْ عَمِلْتُ لَهَا خَزَانَةً بِأَرْبَعَةِ دَنَارَيْ ذَهَبًا وَجَنَتْ أَطْلَبَ الْأَجْرِ فَاحْتَالَتْ عَلَيَّ وَأَدْخَلْتِنِي هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَأَفْلَغْتِهَا عَلَيَّ، ثُمَّ إِنَّهُمْ صَارُوا يَتَحَدَّثُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ وَسَلُوَ الْمَلِكُ بِالْحَدِيثِ وَأَزَّ الْوَالِيَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْإِنْقَاضِ.

فَجَاءَ جِيرَانَ ذَلِكَ الْمَرْوِلَ فَرَأَهُ خَالِيَاً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَعْنَهُ: بِالْأَمْسِ كَانَتْ جَارِتَنَا زَوْجَةَ فَلَانَ فِيهِ، وَالآنَ لَمْ نَسْمِعْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَوْتَ أَحَدٍ وَلَا نَرَى فِيهِ إِنْسِيَاً فَاكْسِرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ وَانظُرُوا حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كُلَّا يَسْمِعُ الْوَالِيُّ أَوَ الْمَلِكُ فِي سِجِنَتِنَا، فَنَكُونُ نَادِمِينَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ نَفْعَلْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ الْجِيرَانَ كَسَرُوا الْأَبْوَابَ وَدَخَلُوا فَرَأُوا خَزَانَةَ مِنَ الْخَشْبِ وَوَجَدُوا رَجَالاً تَنَنَّ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطْشِ، فَقَالُوا لَعْنَهُمْ هُلْ يَوْجِدُ جَنِيٌّ فِي هَذِهِ الْخَزَانَةِ؟ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: نَجْمَعُ هَا حَطَبًا وَنُحْرِقُهَا بِالنَّارِ فَصَاحَ عَلَيْهِمُ الْقَاضِيُّ وَقَالَ: لَا تَفْعِلُوْا.

وَادْرَكَ شَهْرَزَادَ الصَّبَاحَ فَسَكَتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمَباحِ .

[٥٩٢] وفي الليلة الثانية والخمسين بعد الخامسة

قالت بلغني إليها الملك السعيد أن الجنان لما أرادوا أن يحملوا الحطب وبحرقوا الخزانة صاح عليهم القاضي وقال: لا تفعلوا ذلك،

عطفك ثناً لغوفي)). قالت ألونا: ((إنك تغلو في تشريفني، فلتفضل بزياري اذا غربت الشمس واثرقت في الافق النجمة شيت، فستجدهي على ايوان وردي اللون، وستصنع بخادمك ما تشاء)). ثم خرجت ومعها الامضاء، وتركت الشیخ يصرعه الحب ويکيفه الشک في قوته، وأنفق سائز اليوم في حمامه، واحسسى شراباً مزاجه من قرفة سيلان وهمار تيدور وترنات، وانتظر وقد کاد يفقد الصیر ان تظهر النجمة شيت في الافق.

وفي أثناء ذلك مضت ألونا الحسناء فلقيت الكاهن الثاني، فأکد لها أن الشمس والقمر وكل ما في السماء من نجوم ليست إلا ناراً موهومة بالقياس الى سحرها . فطلبت اليه العفو نفسه، وطلب اليها ان تؤدي ثمنه، فأظهرت الاذعان وضررت موعداً للكاهن الثاني حين تشرق النجمة الجنيب. ثم مضت الى الكاهن الثالث والى الكاهن الرابع ، ظافرة دائماً بالإمساء، ضاربة موعداً من نجم الى نجم. ثم طلبت الى القضاة ان يلموا بدارها لأمر ذي بال . فلما حضروا أظهرت لهم الاسماء الاربعة. واباهم بأی ثمن باع الكهنة عفوه عن زديج . واقيل كل واحد من الكهنة في موعده. ودهش كل واحد منهم حين رأى زملاءه وبنوع خاص حين رأى القضاة الذين تبینوا خزيهم واصحـاـهـاـ . وكذلك نجا زديج، أما سیتوک فقد فتـهـ مهارة ألونا، فاتخذـهـاـ لهـ زوجـاـ)). (زديج ٤٠٤-٥٠)

وفي ختام هذا البحث ينلھـ ما يدین به فولـتـيرـ للأدب الشرقي في بعث شهرته ولعل ما فيه من نقد وسخرية بالحياة كان خلف عذاب فولـتـيرـ ومعانـهـ وهذا ثـنـ خـلـودـ الأـدـيـبـ . ولا بد دون الشهدـ من إبرـ النـحلـ .

قالـتـ لهـ: ((أـبـهـاـ الـبـكـرـ للـدـبـ الـاعـظـمـ يـاـ اـخـاـ الثـورـ، وـابـنـ عـمـ الـكـلـبـ الـأـكـبـرـ .ـ وـكـانـتـ هـذـهـ القـاـبـ رـئـيـسـ الـكـهـنـةـ لـقـدـ أـقـبـلـ أـلـضـيـ الـيـكـ بـذـاتـ نـفـسـيـ .ـ إـنـيـ لـشـفـقـةـ أـنـ أـكـونـ قـدـ وـقـعـتـ فـيـ خـطـيـةـ عـظـيـمةـ حـينـ لـمـ اـحـرـقـ نـفـسـيـ فـيـ اـثـرـ زـوـجـيـ العـزـيزـ وـعـلـىـ مـاـذـ أـرـدـتـ أـنـ أـبـقـيـ جـسـمـ هـالـكـ قـدـ أـخـذـتـ فـيـ السـنـ!ـ)) قـالـتـ ذـلـكـ وـهـيـ تـخـرـجـ مـنـ كـمـهـ الـحـرـيرـيـ الطـوـلـيـ ذـرـاعـهـاـ الـعـارـيـةـ ذاتـ الصـورـةـ الرـائـعـةـ وـالـبـيـاضـ الـخـلـابـ، قـالـتـ: ((أـنـظـرـ مـاـ أـهـوـنـ هـذـاـ وـمـاـ أـقـلـ خـطـرـهـ!ـ)) وـوـجـدـ زـعـيمـ الـكـهـنـةـ فـيـ دـخـيـلـةـ نـفـسـهـ أـنـ هـذـاـ شـيـءـ عـظـيـمـ الـخـطـرـ، قـالـتـ ذـلـكـ عـيـنـاهـ وـأـكـدـ ذـلـكـ فـمـهـ فـقـدـ أـقـسـمـ أـنـهـ لـمـ يـرـ قـطـ فـيـ حـيـاتـهـ أـجـهـلـ مـنـ هـذـهـ اـنـدـرـاعـ.ـ قـالـتـ الـأـرـمـلـةـ ((وـاحـسـرـتـاهـ لـعـلـ الـدـرـاعـ أـنـ تـكـوـنـ خـيـراـ مـنـ سـائـرـ الـجـسـمـ،ـ وـلـكـنـكـ توـافـقـيـ عـلـىـ أـنـ النـحـرـ لـمـ يـكـنـ خـلـيقـاـ بـعـنـايـقـيـ)).ـ ثـمـ اـظـهـرـتـ اـجـهـلـ ثـدـيـ صـنـعـتـهـ الطـبـيـعـةـ لـوـ قـرـنـ إـلـيـهـ زـرـ مـنـ الـوـرـدـ عـلـىـ تـفـاحـةـ مـنـ الـعـاجـ لـأـذـىـ بـهـاـ،ـ وـلـوـ قـرـنـ إـلـيـهـ الـحـمـلـاـنـ بـعـدـ غـسـلـهـاـ لـظـهـرـتـ بـالـقـيـاسـ إـلـيـهـ صـفـرـاءـ مـشـبـعـةـ بـالـسـمـرـةـ.ـ هـذـاـ السـحـرـ،ـ وـهـذـاـ الـلـذـانـ بـيـزـدـهـيـانـ بـأـجـهـلـ الـأـرـجـوـانـ قـدـ خـالـطـهـ بـيـاضـ الـلـبـنـ النـقـيـ وـأـنـفـهـاـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ كـبـرـ جـلـ لـبـانـ،ـ وـشـفـاـهـاـ الـلـذـانـ كـانـتـاـ كـطـرـيـ خـارـةـ مـنـ مـرـجـانـ تـضـمـرـ اـجـهـلـ مـاـ فـيـ بـحـرـ الـعـرـبـ مـنـ الـلـآلـيـ))،ـ كـلـ هـذـاـ مجـمـعـاـ أـشـعـرـ الشـیـخـ بـأـنـهـ أـبـنـ عـشـرـینـ فـأـعـلـنـ إـلـيـهـ حـبـهـ مـتـلـعـشـماـ .ـ وـلـاـ رـأـيـهـ أـلـونـاـ مـلـتـهـاـ سـائـلـهـ العـفـوـ عـنـ زـدـيـجـ قـالـ: ((وـاحـسـرـتـاهـ!ـ أـيـهـاـ السـيـدةـ الـحـسـنـاءـ لـوـ اـجـبـتـكـ إـلـيـ ماـ تـطـلـبـيـنـ لـمـ أـغـنـيـ عـفـوـيـ عـنـهـ شـيـاءـ)).ـ فـقـدـ يـجـبـ أـنـ يـمـضـيـ هـذـاـ عـفـوـ ثـلـاثـةـ آخـرـونـ مـنـ الزـمـلـاءـ)).ـ قـالـتـ أـلـونـاـ: ((فـامـضـ أـنـتـ)).ـ قـالـ الـكـاهـنـ: ((مـعـ السـرـورـ بـشـرـطـ أـنـ يـكـونـ

الهوامش

٢. قصص الانبياء للإمام أبي الفدا، اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق وتعليق عصام الدين الصباطي. دار المجر للتراث، القاهرة ط ١ - ١٩٨٠.
٣. كتاب الاذكياء لابن الجوزي، دار الآفاق، بيروت ١٩٧٩.

(١) كان يعيش في بابل لذلك الوقت رجل يسمى أرنو وكان يداوى الفاجع وينقيه بتمائم تعلق في العنق.

(٢) قصص العرب ١٢٤/١ (عن مجمع الأمثال ١٥/١) والمسعودي: مروج الذهب ١١٣/٢ تحر. محبي الدين عبد الحميد ط ٢ قاهرة ١٣٧٧ - ١٩٥٨ (وهي اقدم رواية للقصة) ثراث الوراق ص ١٧٤ والاذكياء ص ٩٢ - ٩١ وبلغ الأدب ٣/٦٤.

اطرائج

٤. أرض الغilan (ثلاث مسرحيات عراقية). د. داود سلوم، نشر مكتبة الأندلس، بيروت ١٩٧٠.
٥. زديج أو القضاء: فولتير. ترجمة طه حسين القاهرة. (نشر في مجلة الكاتب المصري، العدد ٢٣ /أغسطس آب) ١٩٤٧.
٦. زهر الربع: السيد نعمة الله الجزائري ط ٥ طهران ١٤٢٧ هـ.
٧. غرائب النساء. سيد صديق عبد الفتاح . مكتبة الشرق الجديد بغداد ١٩٨٤.

(٣) حديث موسى بن عمران النبي والحضر حديث صحيح اخر جه البخاري

(٤) مسلم (الفضائل ١٧٤)، والترمذى (٣١٤٩)، وابن حبان (٦٦٧٨ الإحسان) من حديث عبد الله بن عباس.

(٥) تعریض في هذا الوصف كله بعض ما في نشید الاناشید.

ملاحظة: اورد المترجم هذا التعليق وارجعه الى التوراة ولم يدرك المترجم كل هذا الأثر العربي في هذا الكتاب. فقد رأى المترجم الشعرا في عين فولتير ولم ير الخشبة في عينه.

المصادر واطرائج:

اطصادر:

١. ألف ليلة وليلة ، بيروت د. ت.

٨. مقالات في الادب المقارن التطبيقي د. داود سلوم . دار الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ١٩٨٤.
٩. النظارات : لمصطفى المفلطي. دار نهضة لبنان للنشر، بيروت . د. ت.

أبو سعيد السجستاني: عالم في الفلك والهندسة

أحمد محمد جواد الحكيم

أهل سجستان ينسبون هكذا، وإن سجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة وأصلها سكستان لأنها بلدة الجند^(١). أما تواریخ میلاده ووفاته فهي الأخرى متباعدة، منهم من ذكر تاريخ وفاته دون ذكر لتاریخ میلاده، وفي هذا النطاق هناك ثلاثة روايات حول وفاته. الأولى هي أن وفاة السجستاني في ٤١٥ هـ وذلك حسب ما ذكره عصر فروخ^(٢) وعادل أنسوبا^(٣) وعلي عبد الله الدفاع^(٤) وكذلك ذكر التاريخ ذاته في كتاب "الرسائل المتفرقة في الهيئة للمنقبدين ومعاصري البيروني" الذي طبع في حيدر آباد الهند عام ١٩٤٨م في بداية رسالته في الشكل القطاع^(٥). بيد أنهم لم يحددوا تاريخ میلاده غير أن أحمد سليم سعیدان^(٦) يحدده في ٣٤٠ هـ إضافة إلى تاريخ وفاته نفسه المذكور أعلاه. والرواية الثانية هي أن السجستاني توفي عام ٤١٦ هـ - ١٠٢٥م حسب كارادي فو^(٧) وكينيدي^(٨) (kennedy) الذي يذكر تاريخ میلاده أيضاً عام ٩٥٠م. والرواية الثالثة هي أنه توفي عام ٤٧٧ هـ حسب البغدادي^(٩) حاجي خلیفة^(١٠) والزرکی^(١١) وکحالة^(١٢) الذي يذكر أنه السنجری والسجزی، دون ذكر لتاریخ میلاده. كما أن الطهرانی^(١٣) في الذريعة لا يؤكد تاريخ وفاة السجستاني في عام ٤٧٧ هـ كما جاء في هدية العارفين فيقول إنه كان حياً

لانعرف عن حياته الكثير، كتاریخ میلاده وأماكن إقامته ورحلاته، كذلك لانعلم من هم أساتذته، فضلاً أن تاريخ وفاته لم يتتفق عليه، لأن كتب التاریخ والفالرس المشهورة لم تذكر عنه إلا النذر البسيط. لذلك فإنه لم يتمتع بالشهرة الواسعة، مع أنه خلف لنا مؤلفات هامة في الفلك والنجوم والهندسة، لكنها لم تدرس لحد الآن دراسة كافية، فمعظمها لا يزال مغموراً في مختلف مكتبات العالم.

اسمها ونسبتها وحياتها:

هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل، أما نسبة فقد ذكر بصورة مختلفة كالسجستاني والسجزي، وحرف أحياناً إلى السنجري أو السنجاري أو السنجري. كل ذلك نسبة إلى سجستان التي ولد فيها. وسجستان هذه تقع شرق إيران بينها وبين أفغانستان. وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن سجستان أوسيستان (من سكستانة أرض السكاي)، وتسمى أيضاً تيمروز "الظهر" وهي بلاد الجنوب أي جنوب خراسان^(١٤). أما سجز فيقول ياقوت الحموي عنها اسم لسجستان البلد المعروف في أطراف خراسان والنسبة إليها سجزي وقد نسب إليها خلق كثير من الأئمة والرواة والأدباء وأكثر

الفارسية) بأسماء آخر...^(١٧).

أما عن سيرة حياته، فلم نحصل عنها الحد الآن أي معلومات هامة وكل ما نعرفه أنه عمل في شيراز التي كانت تُعد من أكبر المراكز العلمية في إيران. زمن عض الدولة أبو شجاع فناخسرو (٣٢٤ - ٣٧٢ هـ) أعظم ملوك البوهين وأكثرهم تشجيعاً للعلم، وكان السجستاني من أشهر مصممي الآلات. كما كان يطلق أيضاً عليه أبو سعيد المنجم. ووصل إلينا كثير من مؤلفاته وإن لم يكتب عنه من القدماء أحد كما يقول بروكلمان. كما أنه أهدى بعض مؤلفاته كتاب تركيب الأفلاك: إلى عض الدولة كما هي العادة في ذلك الزمان.

اجازاته وأدعاياته:

يقول عمر فروخ عن السجستاني إنه من ذوي المكانة الرفيعة في تاريخ علم الفلك "ويذكر عادل أنبويا أيضاً... يقر رجال العلم بفضلته فلم يغفلوا أن يدعوه في عداد الفاكين الذين حضروا الرصيد العضدي بشيراز في سنة ٥٣٥ هـ. ويشهد على عنائه بالعلوم الرياضية مجموعة ثمينة من المخطوطات كتبها بخط يده بشيراز في ٥٣٥ هـ وقد ثبتت في وجه الحدثان على مر الأجيال وتتجدها اليوم درة فريدة في المكتبة الوطنية في باريس في مجموعة ٢٤٥٧". كما أن فوبكه أول من اطلع على المجموعة في القرن التاسع عشر وأفاد بأن الأوراق من ١٠ إلى ١٩٢ هي بخط ناسخ واحد. ويعدم هذا الرأي ويثبته مقابل صور الصفحات المأخوذة عن المخطوط. كما أن أعمال السجستاني التي عددها ٣٧ عملاً حسب ماذكرها بروكلمان و ٧٢ عملاً حسب ماذكرها

في سنتي ٣٥٨ - ٥٣٦ والمقصود هنا أنه لا يمكن أن يستمر بهذا العمر الطويل. ولا بد أن نشير هنا أن بروكلمان لم يحدد ميلاده ووفاته وإنما حدد عصره فيقول: لقد تحدد عصر أبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي (الذي حرف إلى السنجاري في مخطوطة باريس رقم ٦٦٨٦) عن طريق مخطوطة باريس ٢٤٥٧ التي نقلت من مخطوطة كتبها بخطه في عام ٥٣٥ هـ / ٩٦٩، وربما كان شاباً آنذاك كما تحدد ذلك بطريقة المؤلف "في تحصيل إيقاع النسبة المؤلفة الثانية عشر في الشكل القطاع المسطّح بدرجة واحدة وكيفية الأصل الذي تولد منه هذه الأوجة" الذي ألفه سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م^(١٨).

وفي هذا السياق هناك من يعتقد بوجود عالمين مختلفين لذا يرى موريس شريل في موسوعته علماء الرياضيات أن هناك عالمين مختلفين أحدهما أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي المتوفى في عام ٤٧٧ هـ، والآخر أبو سعيد بن محمد بن عبد الجليل الجزي وذكره تحت عنوان أبو سعيد السجستاني المتوفى في ٤١٥ هـ - ١٠٢٤ م^(١٩).

وبعد هذا الإسهاب في ميلاده ووفاته فإننا نرى أن هناك عالماً واحداً باسم أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي أو السجستاني الذي عاش في المدة بين ٣٤٠ - ٤١٥ هـ يؤكد ذلك قوله البشرونى (٣٦٢ - ٤٠) عن السجزي أنه معاصر له وذلك في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث يقول "سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي المهندس يحكى عن قدماء سجستان يسمون هذه الشهور (الشهور

صعبه آنذاك غير أنها ساعدت على ظهور ما يطلق عليه الان الهندسة الجبرية، ولذا يكون السجستاني قد أكد براهينه بلغة الهندسة الجبرية بساذذات. ومن المعلوم أن البحث في النظائر الهندسية للمنطابقات الجبرية ليس بهذه السهولة. وفي هذا السياق تعرفت أوروبا على هذه المنطابقات في النصف الأول من القرن السادس عشر بفضل عالم الرياضيات الألماني الجنسية التشيكي الأصل، ك. رودولف، الذي قسم الكرة على ثمانية أقسام لهذا الغرض. وعند مقارنة طريقته بطريقة السجستاني يمكن بسهولة ملاحظة رفع المستوى عند الأخير. بل الأكثر من هذا أن تقسيم رودولف للكرة كان معروفاً لدى السجستاني وتحدث عنه في الفقرة الثالثة من مقالته "في مساحة الأكبر بالأكبر".

اسهامه في تثليث الزاوية وتبسيط الدائرة:

إن تثليث الزاوية وتبسيط الدائرة واستخراج خطين بين خطين زاد في انتباه المهندسين للقطع المخروطية والداعوي المهمة الناتجة عن استعمالاتها. وقد كان موضوع تثليث الزاوية لا يزال يجذب محبي هندسة إقليدس من طلبة المدارس، إذ يخيل إليهم أن باستطاعتهم تقسيم الزاوية بالمسطرة والفرجار على ثلاثة أقسام متساوية مثلاً قسمها إقليدس على قسمين متساويين، ولكن اهتمام رياضي الإسلام بهذا الأمر لم يكن مجرد المتعة الهندسية فحسب فقد فرض الموضوع نفسه على أفكارهم في أكثر من مناسبة: فرض نفسه كلما حاولوا حل معادلة تكعيبية، وفرض نفسه في تطويرهم لعلم المثلثات غير أن تثليث الزاوية استعصى على الحل فكان لابد من اتباع طرق غير طرق إقليدس،

زهير حمدان^(١٨) في موسوعته أعلام الحضارة العربية الإسلامية تمثل المكانة الرئيسة في النشاط العلمي وتتوزع غالبيتها في الهندسة والفلك والنجوم وعمل الإسطرلاب وصناعته.

ويمكن تحديد المحاور الهمامة في أبحاثه بما يأتي: العمل بطريقة الهندسة الجبرية، إشتهره بدراسة قطوع المخروط وتقاطعها مع الدوائر وتثليث الزاوية وتبسيط الدائرة دراسة قطاعات المخروط المسمى Equilateral Hyperbola إضافة إلى أرائه حول الخطين اللذين يقتربان ولا يلتقيان.

وقد نشر كارل شوي (carls choy) في عام ١٩٢٦ في مجلة إيسيس (Isis) بحوث السجستاني في تثليث الزاوية وفي إنشاء المسبع المنتظم^(١٩)، الأمر الذي يزيد في أهمية أعماله.

الهندسة الجبرية:

تحتوي رسالة السجستاني "في مساحة الأكبر بالأكبر" المحفوظة في مكتبة باريس الوطنية رقم ٤٥٧ على أفكار هامة في الهندسة. وقد قام الطاجيكي المسلم رجب صفاروف من الكلية الشرقية في لينينغراد (سابقاً) بدراسة هذه المقالة. نذكر الفقرة الثانية منها: كل كرة يقع على قطرها كرتان متتاليان ومماسستان للكرة العظمى على الكرتين متساوياً كلتا كرتان مجسمات متساويات يحيط بكل واحد منها قطر الكرة العظمى وقطر الكرتين". ومن هنا فإن أدلة السجستاني توصلنا في النهاية إلى معادلة جبرية هي مكعب مقدار ذي حددين وقد تكون هذه المعادلة بسيطة وأولية لأن لكنها كانت

المسبع في الدائرة وقسمة الزاوية المستقيمة بثلاث أقسام متساوية" نسختها الخطية في استنبول والقاهرة. ولابد أن نشير أنه في منتصف القرن الرابع الهجري نهض أربعة من جلة المهندسين يتبارون في تسبيع الدائرة وهم: أبو الجود محمد بن الليث وأبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي وأبو سهل ويجن بن رستم القوهي وأبو حامد أحمد بن حمد بن الحسين الصاغاني كما أسلهم معهم بنجاح أبو العلاء بن سهل. ومما يذكر أن عادل أنبوبا قام بدراسة رسائلهم في هذا الشأن ونشرها في مجلة تاريخ العلوم العربية عام ١٩٧٧.

رسالة في الشكل القطاع:

نشرت هذه الرسالة في حيدر آباد عام ١٩٤٨ نسخة منها في دمشق. وقد قام برغرن (berggren) من جامعة simman fraser في كندا بدراسة هذه الرسالة ونشرت في مجلة تاريخ العلوم

العربية في معهد التراث بحلب عام ١٩٨١ مع ملخص باللغة العربية^(١) وتحتوي هذه الرسالة على معالجة لنظرية القطاع في الهندسة حسب نظرية بطليموس وتحتوي هذه على انتقى عشرة قضية هندسية. وإن الجديد في رسالته هو الشرح المفصل لطريقة بطليموس في حل كل واحدة من هذه القضايا لنظرية القطاع الكروي ويبدل السجزي الأوتار التي استعملها بطليموس بالجيوب. في حين كان بطليموس فاكياً مهتماً بإعطاء الفلكيين الآخرين أداة لعملهم، نرى أن السجزي يعطي المعالجة الرياضية المتقدمة بكامل الموضوع أهمية كبيرة ووفق طريقة

من أجل ذلك فكروا بالقطع المخروطية ووجدوا الحل عن طريق القطع الزائد. ومن أول الذين اهتم بذلك هو السجستاني حيث له رسالة في هذا الأمر وهي "رسالة في قسمة الزاوية المستقيمة الخطين بثلاثة أقسام متساوية"، ومنها نسخة في ليدن والقاهرة.

وقد استخدم في تثليث الزاوية تقاطع الدائرة والقطع الزائد. ولابد أن نشير بأن التثليث كان من القضايا التي يتبارى بها المهندسون في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وبدء الخامس كما يقول عادل أنبوبا ويمضي بالقول فكتب القسوهي في التثليث والصاغاني والسجزي. وللسجزي رسالة ثانية جامعة لا يقدر ثمنها (ليدن) وهي مهادة إلى شيخ جليل سقط اسمه في النسخ وقد جمع فيها السجزي طرقاً كثيرة لمن سبقه ومن عاصره منهم ثابت بن قره والقوهي وأبو الحسن الشمسي والصاغاني والبيروني، أضاف إليها إبتكاراته العديدة.

ومن الأمور الهامة التي اشتغل بها السجستاني هي تسبيع الدائرة. إي إنشاء مسبع متساوي الأضلاع داخل دائرة باستعمال المسطرة والبركار وذلك بتقاطع خطوط مستقيمة ودوائر. وهي من القضايا المستعصية التي ورثها العرب عن اليونانين، وهي قضية مستحيلة غير أنه لم يكن في وسع القدامى أن يبرهنو على استحالتها لقصور العلم في أيامهم. ويقول عادل أنبوبا إن أول من أقدم على عمل المسبع بشئ من النجاح هو أبو الجود ابن الليث وذلك قبل ٣٥٨ هـ بمدة يسيرة وقد لاح له أنه توصل إلى التسبيع بأربع مقدمات من أصول إقليدس ذكرها السجزي نقاًلاً عن رسالة "كتاب عمل

حتى القرن الثامن عشر الميلادي وكانت إحدى المشاكل التي شغلت ديكارت، وحتى يجيب السجستاني عن هذا السؤال وضع تصنيفاً للمفاهيم الرياضية يفيد بأن هناك: ما يمكن أن نتصوره عن طريق المبادئ الفلسفية دون الحاجة إلى برهان، وما يمكن أن نتصوره مع بداية البرهان، وما لا يمكن تصوّره إلا عندما يتم البرهان عليه، وما لا يتصور وإن تم البرهان عليه مثل القضية السابقة.

وعند الدخول في تفاصيل تصنيف كهذا فإنه يمكن إيجاد مناقشة عميقة وهامة تأخذ الكثير من أمثلة رياضيات هذا العصر كمسألة الالهامية. كما أن السجستاني رسّالة في هذا الشأن "عن صلة القطع الزائد بخطوطه المقاربة من الكتاب الخامس للمخروطات" تُسخّته الخطية في ليدن، تُسخّنة الخطية في ليدن. وأخيراً على الرغم من أن معرفة أصول الرياضيات التي خلفها العلماء العرب وال المسلمين في العصر الوسيط مستحيلة قبل معرفة النصوص التي خلفوها معرفة كاملة وجيدة، وكثيراً ما يتحول السؤال عن هذه الأصول إلى سؤال عن الأصلية الذي لا يمكن حسمه إن يكن لأسباب نظرية ففي الأقل يكون معرفتنا بتاريخ الرياضيات عند العرب مازالت جزئية^(١) وفي هذا السياق يتمتع عالمنا السجستاني بالأمانة العلمية على الرغم من التشكيك الذي جاءه من بعض معاصريه أثناء واقعة تسبيع الدائرة. لكن ذلك يمكن دحضه من بعض الشواهد، كما يذكرها عادل أنوبا، التي يمكن إنجازها؛ إنه قام بكتابه رسائل بعض معاصريه بخط يده ولا يدعى لنفسه ابتداع بعض النتائج الرياضية بل ينسبها لاصحابها، ودفاعه عن أرخميدس عندما تعرض لهجوم من قبل بعض

موحدة بشكل أساس وذلك من أجل تشكيل نظام رياضي في علم المثلثات. وتم نسخ هذه الرسالة في الموصل في محرم سنة ٦٣٢هـ، وما يزيد في أهميتها أن البيروني قد علق عليها، فيذكر علي عبد الله الدفع، أنه من المؤلفات العلمية التي علق عليها البيروني والتي كان لها التأثير الكبير في ابتكاراته الرياضية هي رسالة في الشكل القطاع للعلامة أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي وعادة ما يورد البيروني اسم السجزي مقرنا بلقب العلامة^(٢).
الخطان اللذان يقربان ولا يلتقيان:

لقد أشرنا إلى أن خصائص القطع الزائد تستعمل في تثليث الزاوية، غير أن القطع الزائد نفسه يستحق دراسة بسبب أنه يقارب خطين مستقيمين ولا يلاقيهما مهما امتد، ذلك هو خط الاقتراب وهو أحد مواضع كتاب أبو لونيوس (قطوع المخروطية) الذي ترجمه العرب في زمن المأمون باسم المخروطات وعالج السجستاني معالجة رائعة. ويقول رشدي راشد^(٣) إن مسألة الخطين الذين يقربان ولا يلتقيان ، أثارت مشكلة فلسفية كانت من نتائجها إبداع نظرية لتصنيف القضايا الرياضية. في تلك العصور السابقة لم تكن متوفرة وسائل التحليل: من مفاهيم الحد والدالة المتصلة إلخ. فقد قام السجستاني من خلال تأمله في هذه المسألة بطرح المشكلة الفلسفية التالية: ما هي علاقة الفهم أو التصور بالبرهان..؟ هل هناك برهان على كل ما يمكن أن نتصوره؟ وهل يمكن أن نتصور كل ما يمكن برهانه؟ كانت هذه إحدى المشاكل الأساسية في تاريخ الفلسفة

معاصري السجستانى. وبعد كل ذلك فإن السجستانى ترك جهوداً جديرة بالتنقيب، حيث تبوأ في عصره، مكانة علمية تجعله حرياً بالدرس.

الهوامش

- (١٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام ، بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٨٦ ، المجلد الأول، ص ٢١٣ .
- (١٣) حالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠ ، ج ٢، ص ١١٥ .
- (١٤) الطهراني، آقا بزرگ، الذريعة، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٣ ، ط ٢١ ، ج ٢١ ، ص ٢٥٩ .
- (١٥) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار وأخرون، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ ، القسم الثاني ٣٤ ، ص ١٨٥ .
- (١٦) شربل، موريس
- (١٧) شربل، موريس، موسوعة علماء الرياضيات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ .
- (١٨) البيروني، أبو الريحان، الآثار الباقية عن الفروس الخالية، بيروت دار صادر، ١٩٧٥ ، ص ٤٢ .
- (١٩) حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٩٥ ، ص ١١٩ .
- (٢٠) طوقان، قدرى حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفالك، ط ٢ ، القاهرة، جامعة الدول العربية، ١٩٥٤ ، ص ٢٤٢ .
- (٢١) الدفاع، علي عبد الله، مصدر سابق، ٤١٨ .
- (٢٢) لقاء مع رشدي راشد، أجرته مجلة الصقر، المجلد الثاني، العدد ١٢ ، ص ٣٩ .
- (٢٣) راشد، رشدي، في الرياضيات وفلسفتها عند العرب، ترجمة وتقديم يمنى طريف الخولي، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٤ ، ص ٥٥ .
- (٢٤) المغربي، السموعد، الباهر في الجبر، تحقيق صلاح أحمد ورشدي راشد، دمشق وزارة التعليم العالي، ١٩٧٢ ، ص ١ .
- (١) الشنطاوي، أحمد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠ ، المجلد الحادي عشر، ص ٢٨٢ .
- (٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .
- (٣) فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٩٥ ، ص ١٧٢ .
- (٤) انبوبا، عادل، سببعة الدائرة، مجلة تاريخ العلوم العربية، المجلد الأول، العدد الثاني، حلب معهد التراث العلمي، ١٩٧٧ ، ص ٨٢ .
- (٥) الدفاع، علي عبد الله، العلوم البحتة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٠٨٣ ، ص ٤١٨ .
- (٦) الرسائل المتفرقة في الهيئة للمتقدمين ومعاصري البيلوروني، حيدر آباد، الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٨ .
- (٧) سعيدان، أحمد سليم، تثليث الزاوية في العصور الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثامن والعشرون، ج ١ ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٠ .
- (٨) أرنولد، توماس، تراث الإسلام، ترجمة جرجس فتح الله، الموصل، المطبعة العصرية، ١٩٥٤ ، ص ٥٨٦ .
- (٩) kennedy,E.s studies in the Islamic Exact sciences,Beirut,American university of Beirut,1983,p 310
- (١٠) البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بغداد، مكتبة المثلث، ١٩٥١ ، المجلد الأول، ص ٨٠ .
- (١١) خليفة، حاجي، كشف الظنون، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢ ، المجلد الأول، ص ١٨ .

أصولة البلاط النقيلي عند ابن رشد وبعض من أسباب نكباته

عبدالنعيم جابر

في ذلك أمراً يشوبه كثیر من الغموض والتخریجات منها القائم على نصوص لابن رشد مفسرة خطأ لبيانها عقابه ويتم عزله عن مركز القوة والتأثير والاستشارة. ومنها ما كان إجتهاداً قائماً على نصوص مؤلفة أو مستندة لابن رشد حول الأنظمة السياسية وكيفية نشأة الدساتير وأنواع الحكم ودعوة ابن رشد إلى اتجاهات تبادل النظم السياسية القائمة آنذاك، أو وجود دعوات تُنصف المرأة وأخرى تدعوا إلى (تكافر الفرض) بالتعبير المعاصر أو أساليب من العدل غير مألوفة في تلك الأزمنة^(١).

لقد أثار العبيدي جدلاً كبيراً عند ترجمته لكتاب تلخيص السياسة لابن رشد وهو كتاب (أفلاطون) المصطلح عليه (الجمهورية) فان ابن رشد لخص ذلك الكتاب وشرحه واستخرج نصوصاً منه تعامل مع واقع الحال العربي والإسلامي آنذاك وأبان فيه وجهات نظر سابقة لعصرها في الحكم والسياسة وأنواع المدن، وأنواع السياسات فيها، والمرأة وحقوقها والثروة وشروطها ورغبة الناس في العدالة ويضم الكتاب سلسلة من الأفكار التي كيفها ابن رشد حتى صارت رؤية نقدية تحليلية لطبيعة عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية^(٢).

فالدكتور العبيدي عذر نكبة نكبة سياسية لأنه أي ابن رشد قد أضاف واستخرج أبعاداً إنسانية وكانت تلك الاستنتاجات دعوة لصيانة حریات الناس وحقوقهم وهذا ما يصادم حكم الموحدين آنذاك وسياساتهم التي كانت تقوم على الجهد والشرف وحكم القلة

كان ابن رشد (٥٩٥ - ٥٥٢ هـ) ظاهرة فكرية نادرة شغلت معاصريه ودارسيه كثيراً. لقد فكر كثيراً وكتب كثيراً وحضر وشرح وأوضح وأضاف (أبدع) أموراً مهمة في الفكر الفلسفى الوسيط حتى إنك لتشك هل هذا المتكلم هو ارسطو أم ابن رشد؟ فقد كان ظاهرة غير قابلة للفارق. لقد كان ابن رشد من المؤثرين بأرسطو طول حياته، وقد تناول معظم كتبه بالدرس والتحليل والإبانة وهذا أمر غير خاف عن أصحاب المعرفة وهو يداع لا يخلو من أصلحة. فالاستيعاب أهم ركائز القوة الذهنية، ومثال للفكر المستير وقوة البصيرة العقلية النافذة إلى أعماق النصوص، وهو أسلوب الحكماء وال فلاسفة على مر العصور... .

وابن رشد شغل دارسيه وغيرهم من العاملين في حقل المعرفة كثيراً وقد ذهب كثيراً منهم في تفسير نكبة من قبل المنصور الموحد (حاكم دولة الموحدين) مذهب شقي. وقد وقعت هذه النكبة عام ٥٩٣ هـ بنيه إلى (اليسانه) ومنع الناس من الاتصال به، واهيج العامة عليه حتى قيلت بعض قصائد في ذمه وهجوه^(٣). وقد أخرج مرات مجروراً من المسجد هو وابنه وقد منع من أداء الصلاة فيه. ليس ذلك بسبب كفر صريح أو تجديف على معتقد، أو إشهار زندقة وغير ذلك من الأمور التي تستحق هذا العقاب وهذا التشهير. وقد خاض في تفسير نكبة مؤرخو عصره وما بعده وكتاب محدثون كثيرون^(٤) من أصحاب النظر والفكير التحليلي عليهم يغترون على أسباب وجيهة مرضية لهذه النكبة وصار الجدل حولها والأراء المتباينة

سيّاً كافياً للكبة. ومن الأسباب الأخرى التي أوردها المراكشي قوله: (أن قوماً من ينادى ابن رشد من أهل قرطبة ويدعون معه الكفاءة في البيت والشرف للسلف سعوا به عند أبي يوسف المنصور ووجدوا إلى ذلك طريقاً كان ذلك سنة ٩٥٣ هـ) بأن أخذوا بعض مؤلفاته فوجدوا فيها بخطه حاكياً عن بعض قديماء الفلسفه بعد كلام طويل (إن الراحلة الكوكب هي أحد الآلهة) فأوقفوا أبي يوسف المنصور على هذه الكلمة، فأرسل الخليفة في طلبه وأوقفه على هذه الأقوال فأنكر ابن رشد ذلك فقال له الموحدي: لعن الله كاتب هذا الخط وأمر الحاضرين بعلمه، ثم أمر بإخراجِه على حالِ سينية وإبعاده إلى منطقة من قرطبة تسمى (أليسانه) وإبعاد من يتكلّم في شيء من هذه العلوم وأمر بإخراج كتب الفلسفة كلها إلا ما كان من الطب والحساب والفلك^(٢).

وقد كان موقف الفقهاء والمتكلّمين من الفلسفة والفلسفه عموماً خاصة من ابن رشد وجماعته سلياً على الدوام في بلاد الاندلس وذلك سعة عامه سجلت لهم ضد كل اتجاه تبويي عقلاً^(٣)

وذكر كاتب حديث عن أسباب نكبة ابن رشد (ان ابن رشد أقام علاقة مع أبي يحيى الموحدي وهو أخ للمنصور الموحدي عند مرض الأخير مرضًا شديدًا كاد أن يؤدي به إلى الموت فاغتاض الموحدي من هذا التقارب)^(٤)

اما العبيدي فقد أوضح (إضافة إلى رأيه السابق حول تكيف ابن رشد جمهوريه إفلاطون وباعادها من الصبغة المثالية (الطباویة) إلى صبغ واقعية تختتم فيها نقد الأنظمة السياسية السائدة والسابقة ليكون ذلك دافعاً قوياً لا يغادر صدر الموحدي عليه رأيا آخر مفسراً به أسباب النكبة وردتها إلى بعد سياسي ديني وخطاب منهجمي مانصه (فقد تقدم جماعة للمنصور الموحدي - ذكر ذلك النصاري - بنصوص من كتاباته توحى بأنها نصوص خطيرة ولا يمكن السكوت عنها وكان ذلك عند تجهيز الموحدي للجيش الذي سيقوده للقتال ضد الأنصارى الأسان سنة ٩٥٣ هـ) وقد تم هذا التقاديم هذه

وغير ذلك من التروع إلى الاستئثار بالسلطة. لقد ضمَّ الكتاب المشروح بين دفتيه (فلسفة / وسياسة / وتربية / مدينة فاضلة / ناقصة وحكماً إجتماعياً / وحكماءً استبدادياً وتعليلات وشروحات وإضافات كثيرة)^(٥) بحيث شكل هاجساً مؤلماً للحاكمين في عصره خاصة المنصور الموحدي وقد اشار العبيدي إشارة واضحة بقوله (إن سبب نكبة ابن رشد هي نصوص لكتاب تلخيص السياسة، حاول فيه ابن رشد أن يكيف إفلاطون في جمهوريته المثالية، ونظريته الطباویة إلى الواقع العربي الملحوظ وإن يستخرج من أنظمة إفلاطون السياسية المتعددة خاتماً لها في التاريخ العربي الإسلامي)، وبيان أسباب قيام الحكومات وتبدلها من حال إلى حال. بمعنى أنه كيف إفلاطون للإسلام نظاماً سياسياً مثاليًّا، فاضلاً، واستخرج فلسفة للتاريخ تتطبق على الواقع أي إنَّه جرَّد إفلاطون من ميتافيزيقيا السياسة وكيفه إلى علم السياسة بمنطق برهاني بعيداً عن كل جدل أو سفسطة أو قوية إنه خطاب قطع فيه ابن رشد كل علاقة مع السياسة المثالية الطباویة وبنى خطاباً سياسياً مرتبطاً بالعلم والبرهان والواقع، واستطاع أن ينقد من خلال شرحه لإفلاطون في جمهوريته كل الأنظمة السياسية القائمة في عصره (الموحدون) ومن كان قبلهم (المرابطون)، والمنصور ابن أبي عامر، ومعاوية بن أبي سفيان وأن ينتصر للدولة الفاضلة (حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)^(٦) وإن يربط من خلال أقوال إفلاطون بين العدالة والشريعة وإن يحارب الظلم والعدوان والشر والذلة وينتصر للحق والقوة والنظام والخير والفضيلة^(٧)

ويعد كلام العبيدي هذا ردًّا على كثير من المؤرخين الذين تناولوا أسباب النكبة فإن ما ذكره المراكشي (نالت أبا الوليد ابن رشد مهنة شديدة وكانت لها سببان جلي وخفي، فاما سببها الخفي وهو اكبر أسبابها فإن ابن رشد أخذ في شرح كتاب الحياة لأرسطو طاليس فهذبه وبسط أغراضه وزاد فيه ما رأاه لائقاً به، فقال في هذا الكتاب عند ذكر (الزرافة) وكيف تتوالد وبأي أرضٍ تنشأ فقال: وقد رأيتها عند ملك البربر يقصد هنا يعقوب الموحدي ويعد المراكشي ذلك

وطيب ومرتله تطبق الآفاق، وشهرته قد غطت هيبة الحكم، وحسب أهل قرطبة أن الدور الاجتماعي والفكري لابن رشد كان ساطعاً ومؤثراً وأنه شخصية منهجية في فكرها وجدتها واستقامتها وسلوكها الحسن الملائم، فاستحق النكبة بحكم النهج النفسي لحكام ذلك الزمان لأنهم يريدون من العلماء وال فلاسفة والمفكرين حلية يتحلون بها فإن صارت بها نفوسهم وثقلت على أجسامهم أزاحوها ولبسوا غيرها.

فنكبة ابن رشد أكبر من تأويل نص أو أكثر من التي أرادها إنقاوماً منه، إنما تصادم مع منهجية (الحاكم الإقليمي) الذي يريد كل شيء ضئلاً أم كبير، والحكم مطلق فهو لا يقبل مشاركة. حتى الفكر يكون حكراً للحاكم آنذاك فترى منهم من يقول الشعر وبجمعه وأخر يعني بالكتب ويتفاخر بجمعها وثالث يجيد صناعة التعبير وأخر يستعرض المجلدات والتغافل الفكرية و يجعلون لكتباتهم خزنة وأمناء ومحظيين وقد فعل ابن العميد ذلك وعند الدولة كذلك وغيرهم كثير. فمن يكون ابن رشد هذا الذي يتزع الأضواء وقفوا له النفوس وتصفي لقوله أشد الإصغاء إن ذلك لا يُرضي أبداً. فالنكبة تفسر بهذا المنهج التحليلي (السيكولوجي) وإنما يشرح هذا المفكر والقريب منه جداً فإن ابن رشد من خاصة الموحدي. فإن فاته شيء مما ألف ابن رشد فهو يكون الموحدي على درجة من الغفلة والسهول والانصراف عن عصره وهومه؟ وهو أمر مستبعد.

ان الذي حدث بين الموحدي وابن رشد أكبر مما قيل وكتب عنه إنما يُرضي أبداً.

إن ابن رشد ولد للموحدي إحباطاً شديداً، لقد خطف الأضواء من الموحدي، وكان يُشعره بالمحاصرة والمضايقة الفعلية، وكان ابن رشد ياجماع المؤرخين عنه من ذوي السلوك المنضبط القوي لكن يُشعر الحاكم بهذه ((الميزة)) وهذه (الملائكة) فكون ذلك (احصاراً في الواقع) فتحت الإزاحة لابن رشد من قبل الموحدي ولم تكن هذه الإزاحة عشوائية بل أخذت حجماً وأسياضاً آمنها المؤرخون آنذاك

النصوص بحدود هذه السنة مما اضطر الموحدي أن يتقارب اليهم ويستميلهم إليه ضد ابن رشد في محاولة جمع شمل العامة من الناس للقتال ضد الأعداء وإن عملية التقارب هذه لا بد أنها تجري على حساب فئة معينة يعتقد (الحاكم) أنها تسب له الاحراج أمام الفقهاء فبحضرة هذه الفتنة أمر لا مفر منه !!)^(١)

ولكن مع قيمة هذا الرأي وقوته يمكننا أن نتساءل. أيجوز لقائد سياسي يعرف ابن رشد معرفة حميمة وجيدة ويعرفه ملازمًا لبيته من عهد أبيه (والد المنصور الموحدي) ترى كيف يدفع هذا الحاكم بهذه الحماقة نتيجة لتأويل نص أو نصين أو أكثر؟ والموحدي نفسه مدرك لفساد سريرة هؤلاء مع ابن رشد وقد سبق ذلك سعيهم باللوشاية به عنده ويعرف كم هم مستاؤون من مكانة ابن رشد عند الخليفة. وكيف يكون هذا التأويل من قبل الفقهاء سبباً لإيذاء ابن رشد هذا الأذى الكبير؟ لم يثبت الموحدي من ذلك أو يهسي هيئة من ذوي الاختصاص من أصحاب العلم الفلسفى؟ وكيف يجوز للموحدى أن يجعل مستشاره وفيلسوف قرطبة لعة بيد المؤرخين والمغامرين وطالبي الجاه والمال أن يفعلوا هذا الفعل المباغت والمستكري ضد ابن رشد؟ لم يقرأ الموحدى كتب ابن رشد؟ لم يكن قريبًا مما يوْلَفْتْ

ويشرح هذا المفكر والقريب منه جداً؟ فإن رشد من خاصة الموحدى. فإن فاته شيء مما ألف ابن رشد فهو يكون الموحدى على الخلاص منه. إن هذا الفيلسوف الكبير قد ضاقت به أنفاس الموحدى فقد حاصر ابن رشد الموحدى حصاراً نفسياً وعلمياً كبيراً وجعل الموحدى خارج دائرة الضوء مع حكمه وسلطانه وحكام ذلك الزمان لا يقبلون ذلك أبداً، وابن رشد فيلسوف وفقيه وعالم

ان الذي حدث بين الموحدى وابن رشد أكبر مما قيل وكتب عنه إنما يُرضي أبداً.

إنما يُرضي أبداً.

إهارغبة الموحدى الصادقة والأمنية في نكبة ابن رشد. إن ابن رشد كان مقلقاً للموحدى. فالموحدى راغب أشد الرغبة في إزاحة ابن رشد ونكبته. فمثله مثل جامع الأدللة الدامغة ومحرريها رغبة في الخلاص منه. إن هذا الفيلسوف الكبير قد ضاقت به أنفاس الموحدى فقد حاصر ابن رشد الموحدى حصاراً نفسياً وعلمياً كبيراً وجعل الموحدى خارج دائرة الضوء مع حكمه وسلطانه وحكام ذلك الزمان لا يقبلون ذلك أبداً، وابن رشد فيلسوف وفقيه وعالم

لابن رشد ما حدث.

أما موضوع البحث النفسي عند ابن رشد، فقد سعى النفس (مبدأ الوظائف وهي التعذيب / الحس / الفكر مع تمايزها في التسلسل والتدرجية فمادة النفس الفكرية غير النفس الحيوانية ومادة النفس الحيوانية غير النفس النباتية. وقد ثار أسللة كثيرة وهي وجيهة. ما النفس؟ ما معناها؟ كيف نتوصل إلى فهمها وإدراك خصائصها؟ هل هي فرضية يمكن البرهنة عليها؟ أم هي حالة سبقت ضمن المنطلقات الفلسفية لعصور الإغريق واقتبسها منهم فلاسفة العرب المسلمين وعالجوا موضوعها معالجات غير كاملة؟ ما الوسائل التي نتوسل بها للوصول إلى معرفتها؟ وما هي كيفية بنائها؟ أي القوى المشاركة في خلقها وتكونيتها؟ هل هي شيء محدد ملموس؟ هل نستدل عليها من نتائج معينة. ما هو مفهوم النفس البشرية في علم النفس الحديث؟ هل من روابط أو صلات بين منطلقات فهم النفس عند الفلاسفة القدماء مع ما يفهمه علم النفس خاصة علم التحليل النفسي وعلم النفس التحليلي، ومدارس علم النفس المعاصرة؟ أين موقع النفس من الكائنات؟

وحقيقة الأمر أن من المستحيل الإجابة عن هذه الأسئلة أو جزء منها في مقالة محدودة في منهجها وتناولها لموضوع النفس عند ابن رشد لأن ذلك ما لا يقوى عليه أي باحث لتشابك الموضوعات والمساحة الزمنية الممتدة منذ فجر التفكير الفلسفـي وتوالـلهـ مع أحدـ التـ نـ ظـ يـاتـ الـ نـ فـ سـيـةـ الـ مـ عـ اـ صـ رـ اـ . إنه أمر في غاية الصعوبة وأعقد درجات الاشتباك فضلاً عن اختلاف مناهج التأول والمدارس وتطور النظم الذهنية عند البشرية في مرات عصورها السابقة إلى يومنا هذا.

فالنفس كما نظر إليها في العصر الوسيط وعند ابن رشد خاصة وقد تسائل الأهواي قائلاً و كان محقاً (هل خطأ علم النفس الحديث خطوات واسعة ليصبح علم النفس الأرسطي وما أخذته ابن رشد عنه في ذمة التاريخ؟^(١٠)).

والجواب عن هذا السؤال يسير وواضح. يُجيب الأهواي (إن

ولم يمارسوا شيئاً من تحليلها لأسباب غير معلومة عندهم.

ال العامة (عموم الناس) لا تكره الفلسفـةـ ولا تندمج بالفلسفـةـ ولكن الناس ينظرون إلى الفلسفـةـ قديماً و حاضراً بأهم طاقـاتـ عـقـلـيةـ مـهـبـيةـ لا يمكنـ الجـرـأـةـ عـلـيـهـمـ أوـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ أـسـرـارـهـمـ ولكنـ حـسـينـ تـسـعـدـىـ العـامـةـ عـلـىـ الـفـيـلـيـسـوـفـ يـنـشـطـ تـرـاـكـمـ الإـبـاطـ السـيـاسـيـ والـاجـتمـاعـيـ عـنـهـمـ وـيـتـحـولـونـ إـلـىـ سـلـوكـ جـمـاعـيـ ضـاغـطـ نـتـيـجـةـ (الـتـعـاهـيـ)^(١١) الـذـيـ يـنـشـأـ عـنـ جـهـوـرـ النـاسـ خـاصـةـ فـيـ أـنـظـمـةـ الـعـصـورـ الـوـسـطـيـ وـمـاـ يـشـبـهـهـاـ مـنـ الـأـنـظـمـةـ الـمـطـلـقـةـ فـالـعـامـةـ عـنـدـ إـجـهـازـهـاـ عـلـىـ الـفـيـلـيـسـوـفـ تـعـبـرـ عـنـ سـلـسلـةـ مـنـ الإـبـاطـاتـ فـإـذـاـ عـرـضـ الـفـيـلـيـسـوـفـ لـنـكـبةـ هـاجـمـتـ الـعـامـةـ ضـدـ مـتـذـرـعـةـ أـوـ مـوجـهـةـ بـالـحـرـصـ عـلـىـ الـدـينـ وـاـصـولـهـ مـنـ (ـالتـخـرـيبـ)ـ وـالـضـيـاعـ.ـ وـالـعـامـةـ تـفـرـ مـنـ الـفـمـوـضـ وـتـسـتـهـوـيـهـاـ الـمـأـلـوـفـاتـ وـالـقـادـةـ الـدـيـنـيـوـنـ أـكـثـرـ تـأـثـيـرـاـ فـيـ النـاسـ مـنـ غـيرـهـمـ.ـ فـإـذـاـ تـزـعـمـ الـفـقـهـاءـ حـمـلةـ ضـدـ شـخـصـ مـاـ فـلـاـ بـدـ مـنـ نـجـاحـهـاـ خـاصـةـ أـنـ هـنـاكـ وـشـائـعـ عـاطـفـيـةـ كـثـيرـةـ بـيـنـ النـاسـ وـقـادـهـمـ الـدـيـنـيـوـنـ.ـ لـأـنـ هـؤـلـاءـ الـقـادـةـ يـمـارـسـوـنـ نـوـعـاـ مـنـ إـيـضـاـ الـأـبـعادـ الـدـيـنـيـوـيةـ وـالـأـخـرـوـيـةـ.ـ فـالـقـادـةـ الـدـيـنـيـوـنـ يـمـارـسـوـنـ سـلـطـانـاـ مـبـهـماـ عـلـىـ الـأـفـرـادـ وـالـجـمـاعـاتـ.ـ لـذـلـكـ فـيـانـ حـمـلـاـتـ بـازـاحـةـ الـفـلـاسـفـةـ وـاصـحـابـ الـنـظـرـ عـلـىـ الـفـلـاسـفـةـ (ـالـخـاصـ)ـ كـانـتـ مـشـمـرةـ وـفـعـالـةـ عـلـىـ مـدـىـ الـعـصـورـ السـابـقـةـ وـذـلـكـ وـاـضـحـ فـيـ مـعـظـمـ الـدـيـانـاتـ أـمـاـ الـفـلـاسـفـةـ فـكـانـ نـصـيـبـهـمـ مـنـ الـأـذـىـ كـبـيرـاـ.ـ فـهـمـ مـهـبـيـوـنـ وـلـكـهـمـ سـاخـرـيـوـنـ لـأـنـ فـكـارـهـمـ وـمـثـلـهـمـ لـاـ تـخـاطـبـ سـجـانـ الـدـيـنـيـيـ فـيـ الـفـلـاسـفـةـ.ـ فـإـذـاـ تـعـدـ عـدـدـيـنـ أـقـمـ الـبـرهـانـ الـعـقـليـ وـالـرـؤـيـةـ الـنـقـدـيـةـ،ـ وـهـيـ أـمـورـ تـكـلـفـ عـامـةـ النـاسـ مـنـ الـمـوـافـقـ مـاـ لـاـ تـعـقـيـقـ وـكـذـلـكـ لـاـ تـرـضـيـ حـاـكـمـ الـإـشـتـارـ.ـ آنـذـاكـ رـبـحـةـ إـسـنـادـ النـاسـ)ـ فـيـحـدـثـ صـرـاعـ خـفـيـ ثـمـ يـنـموـ مـتـفـاقـمـاـ لـأـنـ (ـهـيـةـ الـفـلـاسـفـةـ تـفـطـيـ كـثـيرـاـ مـنـ الـحـكـامـ وـالـسـلـاطـيـنـ أـسـيـانـاـ.ـ فـتـنـمـ بـذـورـ مشـاعـرـ عـدـوـانـيـةـ مـحـكـمـةـ بـاـخـتـلـافـاتـ (ـعـرـقـيـةـ)ـ أـوـ فـكـرـيـةـ أـوـ اـجـهـادـاتـ مـتـبـاـيـنـةـ خـاصـةـ عـنـدـمـاـ يـكـونـ هـذـاـ الـفـيـلـيـسـوـفـ قـرـيـباـ مـنـ (ـالـسـلـطـانـ)ـ أـوـ فـيـ حـاشـيـتـهـ فـيـنـشـأـ مـاـ يـسـمـىـ (ـتـضـخـمـ الذـاتـ)ـ ثـمـ تـنـمـ الـازـاحـةـ وـإـسـنـادـ مـصـادـرـ الـإـلـاقـ وـالـمـضـيـقـةـ وـذـلـكـ يـتـحـاجـ إـلـىـ ذـرـائعـ وـأـدـلـةـ وـقـدـ حـدـثـ

التغذى، وهذا يعود إلى قوة الحس في الحيوان وهي اللمس.
أما النفس العاقلة (قوة التفكير) وهي خاصة بالبشرية فالكائنات البشرية عندها فعالية البدن والحيوان (إضافة إلى قوة الفكر) بعض الحيوانات لا تملك إلا الاستدلال وهو شيء يشبه التفكير.

وينظر أرسطو إلى النفس على أنها مكان للصور ولا يصدق ذلك بكليتها بل يصدق على النفس العاقلة أي على الصور بالقوية، لأن العقل عندما يعقل معقولاً شديداً فإنه يكون أكثر قدرة على نقل المقولات الضعيفة^(٢٣) وإن قوة الحس لا توجد مستقلة عن البدن على حين أن العقل مفارق له.

وقد ذكر أرسطو العلاقة بين قوى النفس الثلاثة (النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس العاقلة) بآثاره جملة من الأسئلة منها:
هل كل قوية من هذه القوى هي نفس؟ أم جزء من النفس فحسب؟ وإذا كانت جزءاً فهل يكون ذلك بحيث لا يفارق إلا في العقل؟ وليست هذه القوى منفصلة الواحدة عن الأخرى بل تؤلف كلاً واحداً به تفكير ونحوه وتحريك ونفعه ونفعها^(٢٤).

والنفس أو بعض أجزائها إن كانت مركبة من أجزاء لا يمكن أن تكون مفارقة للجسم وأجزاء النفس الأخرى لا تفارق أيضاً وقد توصل أرسطو إلى فكرة مفادها أن (لامعنى خلود النفس بعد فساد الجسم وفاته) (فليست النفس إذن مفارقة للجسم)^(٢٥).

وقد اعتقد أرسطو أن النفس العاقلة أو ما يسمى (بالقدرة النظرية) هي الجزء الوحيد من النفس الخالدة وهنا يظهر أن نوعاً من النفس يخالف لما عرضه، وإن هذه القدرة النظرية أو جزء منها هي التي تفارق الجسم كما يفترق الأزلي عن الفاسد^(٢٦).

ويعتقد أرسطو أن العقل الفعال وهو أسمى جزء من أجزاء النفس الإنسانية خالدة لأنه ليس فعلاً لأي جزء من أجزاء الجسم ولا يستطيع أن يقول بأن هذا العقل يعقل تارة ولا يعقل تارة أخرى وعندما يفارق فقط يصبح مختلفاً عما كان بالجواهر (الطاقة) الكامنة عند الإنسان، وعندئذ يكون خالداً وأزلياً وهو غير مفعول لأن العقل المنفعل فاسد وبدون العقل الفعال لا نعقل^(٢٧).

العلم الحديث على الإطلاق مختلف في فهمه وموضوعه عن العلم القديم، فالعلم الحديث يعني بالظواهر ولا يبحث في البواطن، ويبدأ بالمشاهدات ليتعمق منها إلى القوانين العامة. أما العلم القديم فكان يطلب جوهر الأشياء وحقيقةها الأولى وهو مطلب عسير المنال بعيد عن حدود العقل البشري^(٢٨) حيث فسر القدماء جميعهم سلوك الكائن الحي والإنسان بوجه خاص بقولهم: النفس عملة الحركة والإحساس بالمعونة^(٢٩).

وإن معنى النفس عند فلاسفه الإغريق مختلف عمّا نقصده منه اليوم، فهو عندهم يدل على ما يعني به الآن — إلى حد ما — الوعي أو الشعور. وكانتوا يقصدون بالنفس في لغتهم الشائعة (الحياة) أو (مبدأ الحياة). ويذكر الأهواي أن جوهر النفس عند الفقيه القاضي (أبو الوليد) ابن رشد (أن الغرض في هذا القول أن ثبت من أقاريل المفسرين في علم النفس ما نرى أنه أشد مطابقة لما تبين في العلم الطبيعي، وأن يقى بفرض أرسطو ومثل ذلك فلنقتصر بما تبين في هذا العلم ما يجري محり الأصل الموضوع لفهم جوهر النفس فنقول: إنه قد تبين في الأولى من السماع أن جميع الأجسام الكائنة الفاسدة مركبة من هيولى وصورة^(٣٠).

أما أرسطو فقد نظر إلى النفس بأ أنها عملة الحياة ومبدأ الجسم الحي وقسمها على ثلاثة مراتب ووضع لكل مرتبة قوة خاصة من قوى النفس ومنها:

النفس النباتية (القدرة الغذائية)، وهي قوة متداخلة مع قوة النفس والنفس النباتية والغذائية هي أول قوى النفس وأعمها وها توحد الحياة جميع الكائنات الحية. وهذا مبدأ لحفظ الكائن الحي الذي فيه هذه القوة، والغذاء يهيء لهذه القوة عملها. لذا فإن الكائن الذي يحرم الغذاء لا يمكن أن يعيش.

أما النفس الحيوانية (القدرة الحساسة في نظر أرسطو). فهي خاصة بكائنات أرقى من النباتات (باليوبيات) خاصة وهي تملك القوة الغذائية وقوة الحس، والإحساس هو أساس تكوين الحيوان، وينذهب إلى أن جميع الحيوانات عندها الإحساس بالغذاء، لأن اللمس حاسة

المتخيلة ٥— النفس الناطقة ثم التروعية وهي لاحقة بالمخيلة والناطقة والأخيرة أي الناطقة تكون من نفس قوى: قوة البصر / السمع / الشم / الذوق / اللمس وهذه متباعدة في أفعالها.

فقد أوضح ابن رشد بان التقدم الميولي يقصد به النفس الغاذية والنفس الغاذية هي القوة الغاذية متداخلة مع النفس النباتية فالنار محركة بالقوة إذا لم تحضرها المادة الملائمة للإحراق، فالقوة الغاذية هي من جنس القوى الفاعلة. لأن الغذاء صنفان: أحدهما الذي بالفعل عند إستحالته إلى جوهر والثاني الذي بالقوة يصير بالاستكمال من قبل المحرك الذي بالفعل^(٢)

والقوة صنفان قريبة وبعيدة، فالقوة البعيدة في الغذاء المحرك لها ضرورة، وأما القوة القريبة مثل ما نقول في الحبز (لأنه غذاء بالقوة) فالمحرك لها هي النفس الغاذية ولذلك هي ضرورة أي قوة فاعلة أما مفهوم الحرارة الغريزية فقد أوضح ابن رشد أنها هي الحرارة الملائمة لل فعل فالنفس إنما تفعل كما يظهر من أمرها عضو من أعضاء المتغذى والأعضاء مركبة من الأسطقفات والمركب من الأسطقفات إنما يصير واحداً على ما تبين من المزاج والمزاج يكون بالحرارة والحرارة هي الآلة لهذا الفعل، والحرارة ليست هي النفس كما قال جالينوس وغيره. فإن فعل الحرارة ليس بمرتب ولا محدود ولا تفعل نحو غاية مقصودة كما يظهر ذلك من أفعال النفس ولا يصح أن يُنسب الترتيب إلى الحرارة إلا بالعرض على ما كان يرى القدماء^(٣) فالحرارة موضوع ترتيب قريب للنفس تتزلف منها منزلة (الميولي) وذلك شيء بالواجب عرض لكل محرك ليس بجسم وهو في جسم فإذا حرّك جسماً آخر أعني إنه إنما يكون تحريكه له من جهة ما هو موجود في جسم هو صورة فيه ك الحال في النفس الغاذية. فالمولت في تعبيرات ابن رشد النفسية هو اختلال في فعل هذه القوة لأن القوة الغاذية تولد من الغذاء فهي تميّي الأعضاء في جميع أجزائها واقتدارها على نسبة واحدة. فإن فعل التسمية تميّز فعل الحفظ فالتسمية قوة فاعلة فهي بمكان (نفس)^(٤).

أما السبب الغائي الذي وجدت من أجله هذه القوة فإنه توجد لها

أما ابن رشد فقد عدَّ النفس وجوهها هي كمال أولي للجسم وهي صورة لجسم طبيعي آلي حيث أن كل جسم مركب من مادة وصورة ويشمل ذلك التركيب (النفس والبدن)^(٥).

ونظر ابن رشد إلى حد النفس بما استكمال أولي لجسم طبيعي آلي والانفعالات جمعها استكمالات التي هي كمال أولي للجسم وهي عنده أو يفارق كذلك بالمكان؟.

ومن إجابت عن تلك الأسئلة قوله: (إن النفس مبدأ الوظائف التي ذكرناها، وهي قوى التغذى والحس والتفكير، وهذا يصح في فهم أرسطو للنفس أن هذه الفوؤس الثلاثة متمايزة الواحدة عن الأخرى، وأن أدنى مرتبة فيها من هذه الفوؤس هي مادة لما فوقها)^(٦) فمادة النفس (الفكرية) (العقلية) النفس الحيوانية ومادة النفس الحيوانية هي النفس النباتية، وبعبارة أخرى إن النفس الغاذية (الغذائية تشبه الجسم الطبيعي الحي بالقدرة والنفس الحساسة (الحيوانية) هي فعل جسم حي حساس بالقدرة والنفس العاقلة هي فعل جسم حي حساس عاقل بالقدرة، وإن صلة هذه الفوؤس الواحدة بالأخرى لصلة الشرط بالشرط فلا وجود للنفس الحساسة بدون الغذائية، ولا وجود للنفس العاقلة بدون الحساسة فما يحيانا ببيان مضاف إليه الإحساس والإنسان حيواناً مضاف إليه التفكير)^(٧).

وقد أثار أرسطو أسئلة أخرى (مانفس البات؟ وما نفس الحيوان؟ وما نفس الإنسان؟ وبأية علة تفسر هذا الترتيب في الأنفس؟). وقد اجاب بوضوح عن اعتماد الفوؤس بعضها على بعض. إذ بدون النفس الغاذية لا توجد نفس حساسة على حين أنه في البات توجد النفس الغاذية مفارقة للحساسية على حين أن اللمس يوجد بدون الحواس الأخرى)^(٨).

فالنفس الإنسانية وحدة وظيفية ذات تابين في التكوين والأسس والنظمات. فلا يجوز أن تتحدث عن وجود نفوس ثلاثة في الإنسان بل عن نفس واحدة لها قوى ثلاثة (القدرة الغاذية والقدرة الحساسة والقدرة العاقلة خمسة أصناف وتظهر من أفعالها وهي ١— التقدم (الميولي) ٢— النفس النباتية ٣— النفس الحساسة ٤— النفس

أكثر ضرورة في وجود الحيوان من سائر قوى الحس ثم تأتي بعدها قوة الذوق فهي لحس من نوع ما وهي قسوة يختار بها الحيوان الملايم من الغذاء من غير الملايم، والشئ قسوة يتعملها الحيوان في الاستدلال على الغذاء كحال في التسلل والنمل وبالمجملة بهذه القوى الثلاثة هي القوى الضرورية لوجود الحيوان من غيرها^(٣). أما قوتا السمع والإبصار فهما في الحيوان من أجل الأفضل لا من أجل الضرورة. فحيوان مثل الخلد لا ضرورة للبصر عنده والأمور المحسوسة منها ما هو خاص بخاصية واحدة ومنها مشتركة في أكثر من حاسة واحدة؛ فالخاصية مثل الألوان للبصر والأصوات للسمع والطعام للذوق والرائحة للشم والحرارة والبرودة لللمس وأما المشتركة لأكثر من خاصة واحدة فالحركة والسكنون والعدد والشكل والمقدار..

أما الحركة والعدد فيدركهما جميع الحواس الخمس وذلك بين من أمرهما. أما الشكل والمقدار فمشتركان للبصر واللمس وحدهما والغلط إنما يقع أكثر ذلك للحواس في هذه المختويات كما يُخيّل للسائل في النهر أن الشطوط تحرك، أما المحسوسات بالعرض مثل الإحساس بأن هذا وهذا فهو زيد وهذا عمرو^(٤).

أما الإحساسات المشتركة فقوية البصر تقبل معاني الألوان مجردة من الهيولي. فالمحسوسات المناسبة للحواس كاللمس والذوق وبعضها غير ملائمة ولا مماثلة كالبصر والسمع والشم. وكانت المحسوسات هي الحركة للحواس والمحرجة لها من القوة إلى (ال فعل) والحرك إذا كان قريباً فإنما يحركه بان عباس الحرك، وإن كان بعيداً فانما يحركه بتوسيط جسم آخر إما واحداً وأما أكثر من واحد، فهو يحرك الذي يليه ثم يحرك ذلك الآخر الذي يليه إلى أن يتنهى التحرك^(٥).

أما مفهوم الإبصار عند ابن رشد فالإبصار جسم يقبل اللون من شأنه فالة الإدراك هي العين الغالب على أجزاءها الماء والمواء فهي لا تبصر في الظلام لأنها غير مشعة وهي مشعة عند حضور الضوء، فالإضاءة من الكلمات التي ليست منقسمة بانقسام الجسم ولا حاصلة في زمان فالألوان موجودة بالفعل بالظلام أو بالنور وبالقوة

العظم الذي يخصها (المقدار) وحين بلوغ المقدار الذي له بالطبع كفت هذه القوة عن فعلها.

وما قبل في نفس الغاذية إن آلتها الحرارة الغريزية فقد ينسب لهذه النفس المووضع (الاضمحلال) فهذه الحركة محدودة مرتبة وإذا عرضت تعرض في كل نقطة وجزء محسوس من أجزاء (المضمحل) على سواء، وليس مثل هذا الاضمحلال ما يمكن أن يُنسب إلى ما من خارج فحسب^(٦) وهي قوة الحرارة الغريزية تفعل من الغذاء ماشاءت أن يتكون عنه مثل الشخص الذي يوجد هذه القوة.

والقوة النامية أو الغاذية (نفس آلتها الحرارة الطبيعية ومنها القوة التناسلية تفعل بالقوة شخصاً من نوعه شخصاً بالفعل، والقوى الثلاثة الغاذية (كالمهولى لهاتين القوتين النامية والتناسلية فالغاذية دوهماً وهم فوقها. فالقوة المولدة (التناسلية) هي قام القوة النامية وعند مفارقتها الغاذية تعني الموت^(٧).

أما كيف نظر ابن رشد للقوة الحساسة في النفس البشرية. فقد عدّها القوة المنفعلة فهي توجد مرة بالقوة ومرة بالفعل. وهي قوة منها قريب وبعيد أما بعيد كالقوة التي في (الجبن) على أن يحس وينفع والقريبة كقوة النائم والمغمض عليه على أن يحس. إن خروج القوة إلى الفعل تغير أو تابع لتغير، وإن كل تغير له مغير ومحرك يعطي التحرك شيء ما في جوهره أما القوة البعيدة التي تكون في الجبن تحرّك لها هو ضرورة غير التحرك للقوة البعيدة. فالتحرّك للقوة القريبة هو المحسوسات بالفعل^(٨).

فالقوة الحسية عند ابن رشد تستكمل معنى الأمور المحسوسة ووجود المحسوسات ناتج عن إدراك القوى المبصرة ومعنى ذلك استكمال هذه المحسوسات في معناها مجردة من هيولاها.

إن مفهوم النفس الحساسة عند ابن رشد يعتمد على مجموعة قوى منها اللمس وهو أقدم هذه القوى وجوداً بالزمان، وهي قد توجد بدون الحواس الأخرى كما هو في الأسفنج البحري وفي الكائنات متوضّطة الوجود بين النبات والحيوان، لأن قسوة اللمس

والتشكل بها وأن تبقى الحركة فيه وقد كفَ الحركَ ويُقْسِي ذلك
الشكل الحادث فيها فيه زماناً كالحال التي تعرض للماء عندما يلقي
فيه الحجر فإن هذه الحال بعينها تعرض للهواء من القرع^(٧٧)

فالجسام الصلدة إن تلاقت بسطوحها لم يتكامن بعضها عن بعض فيطفو الهواء عنها بشدة ولذلك ما كان منها أغعرض كان صوته أعظم لأنه تلقى من الهواء أكثر. أما الأشكال المخوفة فيندفع الهواء من جوانبها مراراً كثيرة فيحدث هنالك الصوت ومنها حدوث (الصدى) وهو انعكاس الهواء عن الجسم الذي يلقاءه حافظاً ذلك الشكل الذي به عن القرع حتى يحرك الهواء المرتبط بالأذنين الذي هو الآلة الفريبة للسماع كما يقول أرسطو - مرة ثانية ومرة لهذا الهواء^(٣).

فما من قرع إلا يحدث عنه انعكاس ما ولو لا ذلك لم يسمع
الإنسان صوت نفسه كما إنه لا يحدث رؤية إلا عن إنعكاس الشعاع
ولولا ذلك لم يصر في الظل.

والتصوير عند الإنسان والحيوان ناتج عن قرع آلات التنفس
المواه الذي به يكون التنفس. إنما لا نقدر أن نصوت ونتنفس في آنٍ
واحد أو معاً^(٣٤)

أما رأي ابن رشد في حاسة الشم فقد ذكر فيها (بأنها قوّة من شأنها أن تقبل معايير الأمور المشمومة وهي (الروائح) وهي فضول الطعام فتقول رائحة حلوة ورائحة طيبة، وهذه الحاسة في الإنسان أضعف بكثير عنها في الحيوان كالنسر والنحل وبعض الحيوانات القوية الشم.

فالخاتمة هذه تكون بواسطة (الأسطقرين) الخادمين للحاسين
المقدمتين أعني الماء والهواء، فالحيتان قد يظهر من أمرها أنها تشم،
فالرائحة تشبه السطح لللون ولذلك يستدلُّ كثير من الرائحة على
الطعم وذلك ظاهرٌ بالاستقراء^(٢٠):

والطعم هو اختلاط الجوهر اليابس بالجوهر الوطب بدرجة من النضج، فإذا تمُّ الاختلاط الناضج تمت الرائحة، فالرائحة إنما توجد للأجسام من جهة ما هي ممتازة، بدل ناتجة عن ممتازات ما؛ وليس

الحركة للإصرار على جهة ما نقول في العالم إنه معلم بالقوة إذا لم يكن له معلم، فالألوان موجودة في الظلام بالقوة الحقيقة حتى يكون الضوء هو المدرك لها من القوة إلى الفعل) ^(٣٤).

فاللون هو اختلاط الجسم المشف بالفعل وهو النار مع الجسم فاللون ضوء ما وهو يستكمل ضرورة على نحو ما بالضوء الذي هو من الخارج... ويظهر ذلك إنه حين النظر إلى اللون الواحد يعنيه في الظل والشمس وعند مرور السحاب عليها وانكسافها رأيناها باللون مختلفة في الريادة والقصاص وذلك ما يدل على أنها تستكمل بالضوء الآتي من الخارج استكمالاً ما ولذلك قيل إن الضوء هو الفاعل للإبصار (٢٣).

إننا نرى ابن رشد كثيراً ما يعلل ويخاور ويناقشُ المدرّكات
الحسبية والآليات الإحساس وهذا من الأدلة الساطعة على جدلية
عقلية فهو لا يفتر يناقش ويعمل وبين الأسباب مجتهداً على وفق ما
آل إليه عصره وعلومه فهو من أصحاب الأصالة في البحث. فمرة
شارخ وأخرى ناقد وثالثة معلم وهذه ميزة جدلية امتاز بها عن غيره
حتى عرف منهجه من أبرز المناهج تناولاً للمقولات الفلسفية آنذاك
وقد كان شديد الخذر من الغموض وقد عرف أن الغموض يتعب
الذهن ويغيب المعنى ويشق الخواطر بكلام فيه كثير من التهويات
والمقولات غير الدقيقة فقد ذكر قسائلاً: (وإن فسح الله في العمر،
وجلا هذا الكرب فستتكلم في هذه الأشياء بقول أبين وأوضح
وأشد استفهاماً من هذا كله. لكن القدر الذي كتبناه في هذه
الأشياء هو الضروري في الكمال الإنساني وبه يحصل أول مراتب
الإنسان) (١).

وقد تناول ابن رشد قوة السمع وفسرها بأنها قوة تستكمل معاني الآثار الحادثة في الهواء الناتجة عن مقارعة الأجسام المسممة أصواتاً وشرط المقارعة حتى يظهر الصوت أن يكون الجسمان صلدين فإذا أدنينا جسماً في غاية الصلابة من جسم آخر مثله في الصلابة برفق ومهل لم يحدث ذلك صوتاً؛ فالجهة التي تخدم الإبصار (الإشاف) والجهة التي تخدم السمع هي (سرعة قبول الأجسام) للحركة

واما حاستا الشم والسمع فهما يدركان محسوسا هما وقد انفصال عن موئنهما ^(١) اقول لم يدرك لها هذا المحسوس

المشترك ^(٢) اما قول ابن رشد في حاستها ^(٣) فال فهي قوة تستكمل بها معاني الامور الملموسة كما قيلت ^(٤) بحسب الكون والفساد، واللمومات هي الحرارة والبرودة والرطوبة والجفونة وأما الأخرى فهي الصلابة أو اللين وهذه القوة تدرك أكثر من تضاد واحد خلاف ما عليه الأمر في البصر والسمع، فهو تدرك الشيء وكثيره مقتربنا بكيفية أخرى كالحرارة التي تفترن بها الجفونة والرطوبة ^(٥)

ونستنتج مما سبق من وصف لقوى الحواس عند ابن رشد أن النفس عنده هي جميع وظائف الأعضاء والحواس هي ركائز النفس البشرية وقواعدها التي تبني عليها.

فالنفس وحده قاعدة قائمة على وحدة الإحساس المشترك بين هذه القوى الخمس والنفس جامع مشترك لهذه القوى.

في الحس ندرك التغاير بين المحسوسين الخاصة والقوة التي تقضي بها على أن هذين المحسوسين متغيران هي ضرورة قوة واحدة ثم تباين هذه القوة من شخص إلى آخر بوجود المخالفة التي أحسست بها أنا والقوة التي أحسست بها أنت ^(٦) وقد شبه ابن رشد هذه القوة المشتركة بمركز الدائرة، فإن الخطوط كثيرة بالاطراف التي تتبع إلى الحيط. وهذه الحركات التي تكون عن هذه المحسوسات هي من جهة المحسوسات والآلات كثيرة وهي من جهة أنها تشيء إلى قوية واحدة ^(٧) وقد عبر ارسسطو وغيره عن هذه القوة المشتركة وهي القائدة إلى تفهم جوهر الشيء بدل الشيء، وكان هذا النوع من التعليم يدخل في التعليم البرهاني في الأشياء التي يصعب على الذهن أن يتصورها أولاً فإذا ما فتوخذ أولاً في تفهمها بدل جوهر الشيء تلك الأشياء على جهة الوطنية إلى أن ينتقل الذهن من محاكي الشيء إلى الشيء بعينه لأن المقصود من ذلك تصور الشيء بما يحاكيه فحسب ^(٨).

ويتفق ابن رشد وجود حاستة سادسة. متعللاً لو كانت هذه

ذلك يشبه الصوت واللون فإن لكل واحد منها وجوداً في (هيولاه مادة الأولى) ^(٩).

وحاسة الشم تحمل المسمومات من الجوهر المواتي المناسب له حتى توصله حاسة الشم كما يظهر ذلك بالحس من أمر كثير من ذرات الروائح. فذرات الروائح تشم عندما تفرك باليد، أو تلقي بال النار، أو عندما يتولد منها بعض من أبخرة الأمر الذي يساعد على الشم. وذرات الطعم حتى تكون مسمومة تحتاج بالفعل إلى الحرارة التي من خارج (المسلك وغيره) وبعضها لا يكتفي بذلك حتى يلقي في النار كالعود الهندي وبعضها لا يشم إلا بحرارة النهار للطاقة جوهره أو بحرارة الليل في (الخبر) وقد فصل ذلك في كتاب (الحس والمحسوسات) أما الهواء فهو وسط ناقل للروائح بدليل أن الروائح تأتي مع اتجاهها ^(١٠).

أما حاسة الذوق فقد وصفها ابن رشد بأنها (قوة تدرك بها معاني الطعم، وهي تشبه حاسة اللمس فهي تدرك محسوسها بوضعه على الآلة الحساسة فهي تعمل بواسطة رطوبة المسان التي فيه. خاصة تدفق الأشياء اليابسة فإذا فسدت الرطوبة في فمه فقد ينحرف التذوق نحو خراج ما وتصبح الطعم غير كنهها، فالرطوبة هي أحد مقومات التذوق، والرطوبة تأتي من (الغاغن) عن طريق مسلكين تفضي إلى أصل اللسان. وهذه حاسة (التذوق) تدرك محسوساتها بمتوسط الرطوبة وقد صرّح بذلك (أبو بكر في كتابه في النفس) ^(١١). والمتوسط أحد أمرين إما أن يكون هو الحرك للمحسوس لآلية الحاسة كلون المحسوس غير مماس لها ك الحال في المحسوسات الثلاث التي هي الألوان والأصوات والروائح. وإما أن تكون الضرورة الداعية إلى المتوسط لا في هذا وحده، بل في أن يكون وجود الصور المحسوسة فيه بضربيه بمتوسط بين وجودها الميولي المحسوس وجودها في النفس ك الحال في الألوان التي تقبل بضربيه بمتوسط بين وجودها الميولي وجودها في النفس فحاسة البصر والذوق يدركان محسوسا هما في موضوعهما الأولي إشتراكا في إدراك الشكل والمقدار.

فقط كتصورنا (الغول) وما أشبه ذلك من الأمور التي ليس لها وجود خارج النفس، وإنما تفعلها هذه القوة وهذه القوّة خاصة بالانسان^(١).

وهذا موضوع يحتاج إلى إيضاحات عن التخيل خاصة في الكتب النفسية الحديثة. فالتخيل في علم النفس الحديث هو عملية عقلية عليا لا تقوم على الظن والتورّم. فمادام المحسوسات والمستلمات من الخيط. والتخيل هو ايجاد صور أو أشكال أو رؤى ذهنية تتم في حالة اليقظة وقام الوعي بها عند الإنسان وفي منتهى السلامة الذهنية والعقلية والجسدية وهذا ما يفعله المبدعون أو ما هو حادث عندهم من (التخيل) وقد مارسته أصحاب الآراء العلمية الشريعة والمخترعون العظام أي أن (التخيل) هو المسؤول عن خلق صور ومصممات وتنظيمات ذهنية قائمة على أساسات مستلزمة أصلًا من البيئة، ولكن عملية إعادة صياغة هذه المستلمات وتركيبها وترتيبها والمزاوجة بين عناصر هذه المواد المستلمة كل ذلك جاء عن طريق التخيل وبواسطته. فالتخيل أو جد أبنية ذهنية مستحدثة؛ فهو لا يوجد أشياء من العدم ولا يقوم على العدم، وهو ليس (الهاماً) بالمصطلحات القديمة ولا يأتي من خارج محيط الإنسان البسيط والذهني، فالإنسان مستودع الطاقات الحيوية وقوته في دماغه، وتخيلاته موجودة في دماغه فالتخيل ليس منقطعاً أو متوفهاً بل هو حقيقة فكرية قائمة في أساسيات البناء (المخي) للإنسان، وهو وسيلة دفاعية تطويرية وتطورية بيد الإنسان وعناصره ومادته الخام جاءته أصلًا من محطيه، ولكن قوة التخيل هي التي تقود إلى إحداث هذه التركيبات الجديدة أو الصور المغايرة للمألوف أو التنظيمات المستحدثة (المخترعات) ذلك ملك للإنسان والإنسان وحده...^(٢).

ويتكلم ابن رشد على التخيل وكأنه (وهم) فهو يقول: قد يكون التخيل من غير تصديق: مثل تخيلنا أشياء لم نعلم بعد صدقها من كذبها. وهذه القوة ليست عقلًا لأن العقل خاص بالمعقولات. وبالحظ عند ابن رشد كان المعقولات هي المأثورات وهذا لا يستقيم

الخاصة موجودة لكن لها محسوس نتحمسه. إن المحسوسات الخاصة هي الحواس الحسّن (وحدها). وذلك لأن المحسوسات إما أن تكون الواناً أو أصواتاً أو رواح أو ملموسات أو ما يتبع هذه ويدرك ذلك بتوسطها وهي المحسوسات المشتركة. وإذا كان هذا بينما بنفسه ولم يكن لها محسوس آخر فليس لها قوة حسّنة.

ولو كانت لها حاسة لكن لها آلة ومتطلبات أخرى. فالآلة الواحدة محسوس واحد، فإذا وجدت الحاسة السادسة فهي تستلزم آلة خاصة بها أو متوسط لها. ويعني ابن رشد بالمتطلبات الماء والهواء. فالآلة إما أن تكون مركبة من ماء كالعين وهواء كالحال في الأذنين أو ممزوجة على غاية الاعتدال من الأسطقطانات الأربع)^(٣).

وقد تناول ابن رشد (التخيل) والتخيل في علم النفس المعاصر هو أحد العمليات العقلية العليا من تفكير وإدراك وذاكرة... فقد تساءل ابن رشد عن التخيل هل هو من القوة التي توجد تارة قوة وتارة فعلاً؟ وإن كان الأمر كذلك فهي ذات هيولي... فما هي هذه الهيولي؟ وأي مرتبة مرتبتها؟ وما الموضوع لهذا الاستعداد؟ وأيضاً فيما المحرّك لها والمخرج لها من القوة إلى الفعل وبحسب ابن رشد عن هذه التساؤلات: إن هذه القوة يعني قوة التخيل.. مغایرة للقدرة الحسية ويشهد ذلك عن قرب. ذلك أفهمها وإن اتفقاً في أنها يدرك كان المحسوس فهما يختلفان في أن هذه القوة تحكم على المحسوسات بعد غيرهما؛ ولذلك كانت أتم فعلاً عند سكون الحواس كالحال في اليوم، وأما في حال الإحساس فإن هذه القوة يكاد لا يظهر لها وجود، وإن ظهر فيفترق ما يفترق من الحس. وهي لا توجد لكثير من الحيوان الدود والذباب وذوات الأصداف لأننا نرى أن هذه الحيوانات لا تتحرك إلا بحضور المحسوسات، وهذه لا يوجد لها تخيل أصلًا وإن وجد فغير مفارق للمحسوس. وقد تفارق أيضًا هذه القوة (التخيل) قوة الحس ولا سيما في محسوساتها الخاصة ولذلك نسمي المحسوسات الكاذبة تخيلًا^(٤).

وهذه القوة تُركب أمور لم نحس بها بعد بل أحمسناها مفردة

المحسوسات بسرعة لم يكن أن يحسها والحس المشترك يساعد في القوة على التمسك بآثار المحسوسات وحفظها فالتخيل هو في وجود هذه الآثار المتبقية في النفس فيكون لها في هيولى التخيل وجود أكثر روحانية لرم أن تخيل معاً أشياء كثيرة مبلغ عددها كمبلغ عدد الأمور التي أحسناها^(٢٣).

والآثار الباقية هي القوة الحركية لخاصة التخيل وعند الاحتياج تستحضر هذه الآثار. وغمارس التخيل خاصة عند غيبة هذه المحسوسات فإن حضرت هذه المحسوسات ضعفت قوة التخيل^(٢٤).

فهذه القوة المتخيلة هي من جنس الحس وهي أكثر روحانية إذا كان الحرك لها شخصياً. والقابل إنما يقبل شبيه ما يعطيه الحرك والمحرك إنما يعطي شبيه ما في جوهره. وأما المحرك الذي يوجد عنه الكلي فهو أرفع رتبة من هذا^(٢٥).

وبعد ذلك انتقل ابن رشد بعد فراغه من قوة التخيل وأثر المحسوسات فيه وكيفية إنشائه واعطائه درجة روحية... انتقل مفسراً القوة الناطقة الخاصة بالإنسان فقد شخص اعتماد هذه القوة على وجود الشيء، ثم تفهم جوهره وما هيته التي بها قوام الشيء، ثم معرفة الأمور التي قوامها بذلك الشيء، وهي اللواحق الذاتية. والأعراض فحص الشيء بعينه دلالة اليقين بوجوده. والقوة الناطقة هي قوة إدراك المعاني مجرد من الهيولى وتركيب بعضها إلى بعض واستنباط بعضها من بعض، حتى تلتزم من ذلك صنائع كثيرة نافعة في وجوده^(٢٦).

ثم ينتقل ابن رشد للكلمات الإنسانية المطلقة فهو يقول في القوة العملية هي القوة المشتركة لجميع البشر التي لا يخلو إنسان منها بل يتفاوتون فيها بالأقل والأكثر^(٢٧).

أما القوة الثانية وهي النظرية فيظهر من أمرها أنها إلهية بختة وأنما إنما توجد في بعض الناس وهم المقصودون بالعناية أولاً في هذا النوع. فالمقولات العملية سواء كانت مقولات مهن أم غيرها حادثة فيما موجودة أولاً بالقوة وثانياً بالفعل فامرها بين وتحصل بالتجربة، والتجربة تكون بالإحساس أولاً والتخيل ثانياً، وهذه المقولات

مع منطق الفكر النطقي الفلسفى والعقلى فالعقل والعلوم النظرية معظمها مشغول بالبحث الميتافيزيقى. وما الدرس والفكر التأملى والميتافيزيقى إلا ركيزة من ركائز (التخيل) والانتقالات نحو عالم أخرى، ومحاولة إبرidiادها ذهرياً. وذلك ينبع من تساولات الإنسان ومحاولاته (التخيل) جاهداً للتعرف على أسرار الكون وأصله وجوده وهابته. وذلك أمر شغل الفلسفة حقباً طويلاً من الزمن. ويستطرد ابن رشد موضحاً الفرق بين التصور المنطقي والتصور الخيالى وإن كان كلاماً يجتمع في أن لساننا نصدق بها أو نكذب إنما التخيلات أن نتصورها من حيث هي شخصية وهولانية ولذلك لا يمكن أن تخيل ألواناً إلا مع (عظم) - هكذا الكلمة وإن كان سيظهر من أمرها أنها أرفع رتب المعانى الشخصية^(٢٨) وأما التصور العقلى فهو تجريد المعنى الكلى من الهيولى لا من حيث له نسبة هولانية في جوهره إن كان لا بد فعلى أن ذلك لاحق من لواحق الكلى أعني تعدد بعده الأشخاص وإن توجد له نسبة هولانية وسيظهر هذا على التمام عند القول في القوة الناطقة^(٢٩).

أما التخيل فلا يوجد أبداً إلا مع قوة الحس وقد يوجد الحس دون التخيل. إن الاستعداد لقبول المحسوسات وقبول التخيلات راجع إلى النفس الغاذية. فالنفس الغاذية وجودها أسبق من كل قوى المحسوسات الأخرى. وقوة التخيل لا يعود إنفعالها إلى المحسوس بالفعل من خارج النفس بل من الآثار الحاصلة عن المحسوسات في القوة الحسية ولذا فهذه القوة أي (التخيل) أكثر روحانية^(٣٠).

إن الحرك في قوة التخيل هو المحسوسات بالفعل ولا تستكمل وجودها إلا بالحسوس وذلك بعد غيابتها بحيث يمكننا أن تخيل الشيء بالذات وعلى كنهه بعد أن نحسه أما المحسوسات بالفعل فخارج النفس. فقوة الحس تدرك المحسوسات وهي حاضرة وتتمسك بها بعد غيابتها، وأما أن يكون الحرك لهذه القوة ليس المحسوسات التي خارج النفس بل الآثار الباقية منها في الحس المشترك. فإنه يظهر أنه تبقى آثارها في الحس المشترك بعد غيابتها ولا سيما المحسوسات القسوية ولذلك متى انصرف عنها إلى مادونها من

رشد. وإن رؤيته لهذا الأمر تامة فهو يقول في هذا الموضوع (فقوة الحس أو لا التخييل ثانياً والتروع ثالثاً. وقد عني هنا - بالتخيل الإدراك. إن قوة التروع تابعة لهما أي لقوة الحس وقوه التخييل كتابع اللواحق للأشياء وقد يحدث ذلك عند الحيوان بدون تخيل بل يتم التروع على أساس من محسوس) (٣٣).

فالمحيوان هنا نزع بعد ظهور المحسوس، كون هذا المحسوس
مشروعًا باستشارة خبرة الحيوان. الحيوان لا ينزع إلا نتيجة لغير
محسوس) مقترب بتبليغ حاجة الأمان والغذاء.

فالزوع عند ابن رشد يستكمل قوة التخييل فهو قوة تُسبّب إلى التخييل ضرورة نسبتها إلى النفس الناطقة. والزوع هو أخصُّ أسباب الحركة. فهي السبب الأخص لتحريرك الحيوان مكانياً وبها يرع الحيوان إلى الملايم وينفر من المؤذي. فإذا كان الزوع إلى الملايم سمي شوقاً، وإن كان إلى الانتقام سمي غضباً، وإن كان عن رؤية سمي إثنياناً أو إرادة. فالحيوان يتحرك عن الحسن فقط فهو لا يتحرك إلا بحضور المحسوس. فالتخيل كائن ضمن تحسس المحسوس.

لقد أسمهم ابن رشد في ميادين النفس النظرية إسهامات جليلة
وبيّن عالم الحواس والآلاماً ومنطلقاًها وتعليل حدوثها ثم استجتمع هذا
السلاح المطري واستجماماً ممتازاً واستخدمه في تفسير ظواهر عصره
السياسية والاجتماعية شارحاً وملخصاً ومضيفاً على أمن القواعد
الفكرية التي استعن بها في مجالات الفحص الطيفي، متخصصاً
الوقائع معلملاً لشروطها واسبابها متبناً بما يقع فيها. وذلك من
دلائل رحاحة عقله ونشاط قواه الذهنية. فقد سبر أغوار عصره
بمقاييس نادرة (مبذعة). فهو باحث عن الأسباب النفسية الدافعية
لكثير من السلوكيات. فلم يكن غافلاً أو متفرجاً أو مؤيداً لما يحدث
(بوصولية ذليلة) كما حدث عند كثير من رجالات عصره على شئ
مشاربهم ومستويات علمهم.

فقد كان ابن رشد داعياً مثل علياً وروح إنسانية عزّ نظيرها فهو جديٌ بالاحتفاء والتقدير والدرس. فقد بين (خواص بعض الرجال) والخواصية تحتل الجوانب النفسية من الشخصية مبيناً أن بعض

مضطربة في وجودها الى الحسن والتخيل؛ فهي ضرورة حادثة بحدوثها
و fasida يفسد التخيلاً^(٢١)

اما التصور فهو بالعقل وهو تجريد الصورة من المهيولى فإذا تجردت الصورة من المهيولى ارتفعت عنها الكثرة الشخصية ولا يلزم عن ارتفاع الكثرة الشخصية المهيولانية ارتفاع الكثرة أصلًا فإنه يمكن أن تبقى هنالك كثرة بوجه ما. إن القوة النفسية التي فينا غير هيولانية إلا أنه لم يتبيّن أن هذا الحكم هو المعقولات الكلية بل لعله لقوّة أخرى تتخلّ من هذه المعقولات مؤللة الصورة^(٣).

أما رأي ابن رشد في القوة (البروعية) وهي إحدى نتائج الإدراك في المصطلح الحديث – فإنه يرى فيها (يأها) قوة غير القوى التي سلفت، وألها مبادلة بوجودها لتلك القوى، وهي ليست التخييل ولا الحساسة، لأننا نتخيل ولا نروع ولا نستطيع التروع دون هاتين القوتين. فالتخيل قوة متقدمة على التروع وهذا يعني (بالتخيل – الإدراك)، لأن التروع يتم بعد الإدراك في فهم علم النفس الحديث وينفي ابن رشد حدوث التروع إلا بعد تراتبية المحسوس – التخيل – التروع. وهذه عناصر أساسية في السلوك منه – إدراك – تروع ثم يستطرد ابن رشد قائلاً: إن التروع تابع إلى تصور عقلي محض، ذلك لأن إدراك المنهيات هو الاستعانة بالخبرة الحسية السابقة عن نوع المنهي ليتم التروع الذي هو سلوك عملي. فما الذي يقصده هنا ابن رشد بالتصور العقلي المحض؟ ما التصور العقلي المحض عنده؟ مامكوناته؟ ما هي القواعد التي بني عليها، فالتصور شأنه شأن التخيل لا يتم إلا بمستلزمات حسية ولكن التصور هو إعادة تشكيل الخبرة المستلمة وفق تصميمات مستحدثة. فالتخيل والتصور كلاهما يستمد قوته وفاعليته من عدد كبير من المنهيات؛ والمنهجات هي المحسوسات وكل محسوس مثير وسلسلة الاستجابات تعتمد على عدد من المثيرات.

وهنا تم التصورات، وإعادة ترتيب مكوناتها السابقة والمخزونة في الذاكرة؛ لذا أعدَّ التذكر من العمليات العقلية العليا وأحد عناصر القوة العقلة. وهذا المنطق، وهذه الأنماط تراها واضحة عند ابن

كل شخص في المدينة يرى أنه حرر إذ أن الشخص عندما يؤمن ضرورياته يلتفت إلى إثارة رغباته^(٢٣).

ويربط ابن رشد ظاهرة العدوان برغبة الاستحواذ عند المعتدي بشهوة أو رغبة في مال أو سلطة أي بالحصول على المأرب الخاصة فيرغب (بالغيبة) متمثلة في الحصول على الثروة أو اللذة وطلبهما بالجملة، فالعدواني المستبد غاية منفعة الشخصية (أناني) ولا يريد النفع لعلوم الناس، وشأنه مع الآخرين شأن السيد مع عبده حين يقدم لهم الاستمرار المنقوص في الحياة^(٢٤).

ويخلل ابن رشد القوى النفسية وأثرها في السلوك (فالقوة الغضبية هي تلك القوة التي تحب الجد والشرف (الحكم)، وإذا ما فرطت تكون مستبدة، والرغبة في اللذة والمال من أسبابها القوة الشهوية، وإن الاختلاف بين المدن والناس يعود إلى الاختلاف في ميل النفوس والدافع لهذه الميل يكون فطرياً^(٢٥).

إذا كانت قوى النفس منفصلة بعضها عن بعض، فإن القوة الشهوية لا وجود لها بسبب تحكم القوة العاملة فيكون اجتماع البشر اجتماعاً حراً، أما إذا وجدت قوى النفس بسبب القوة الغضبية فيكون اجتماع الناس قائماً على الجد والشرف وهو اجتماع (الأطرون)^(٢٦).

إن ما يورده ابن رشد في كتاب (تلخيص السياسة) يمثل رؤيته وفلسفته في الحياة النفسية والاجتماعية والسياسية في عصره ومع أن الكتاب أصلاً هو (كتاب الجمهورية) لإفلاطون، فإن ذلك لا يعني أن هذه الأفكار والاتجاهات والتحليلات هي ملك لإفلاطون وحده، بل إن ابن رشد قد تناول الجمهورية هذه بكتابه تلخيص السياسة متفقاً ومحلاً ونافذاً ومبدعاً ومضيفاً وشارحاً وهذه أمور اضفت على الكتاب الأصل مضموناً وفكراً ورزاً، أي أنه أنزل الكتاب من (طوباويته) وعليائه ومثالبيته المفرطة إلى واقعية الحياة وحركتها وصيرورة الأشياء فيها، وذاك من أروع ما تكون الإنجازات، فإن رشد ليس متعلقاً تابعاً بل ناقد أصيل وقد جعل من كتاب إفلاطون كتاباً جديداً وليس هنا مجال لمبحث ذلك.

الرجال محكمون بدساتير متعلقة بخواصهم التي تسوقهم دائماً إلى اللذات^(٢٧).

وقد يرى ابن رشد أثر اللذة في السلوك النفسي (إن صح التعبير) إذ أوضح نوع الحكم المحكوم بطلب اللذة وقرن ذلك السلوك وكأنه سلوك فهري بطلب اللذة واللذة وحدها^(٢٨).

وقد عالج ابن رشد السلوك (المادي) (الترقي) الذي يحمل دلالة نفسية قاتلاً: (إن بعضهم يتخذ الشم من الملابس المنسوج من الحرير والموسي، ويجلسون على الأرائك مصنوعة من ذهب، ظانين بذلك الكمال والعلم وهم يساقون بقوة نفسية تخيلية باستجلاب المادحين معتقدين الخلود بعد الموت)^(٢٩).

وقد أبهر ابن رشد في فحص نظام الشخصية، وهذا ما يشكل عنده القسم (التطبيقي) من فكره الفلسفى (السيكولوجي) معتمداً على الملاحظة المنظمة والفحص الدقيق لما يراقبه ويشاهده من بعض مظاهر السلوك وأصفاً بعض أشخاص عصره من حكام وأمراء قاتلاً: (لمنهم من يهتم بالشراء والمال وجده والاستكثار من كل ما هو ضروري في مقابل الشح والتقصير على أنفسهم بأي شيء)^(٣٠) وقد وصف الرياسات فمنها (رياسة بالطبع وآخر بالتواضع ورياسة الطبع يكمل بها الشخص إلى إكمال ما ينقصه مثل الماكول والملبس والمسكون وكل ما يسمح بالاستكثار في ذلك)^(٣١).

وقد أوضح ابن رشد إتجاهات البشر وتزوعهم النفسي الذي هو تصدق لمدر كاهم ونوعية هذه المدركات؛ فقد وصف رغبات الناس وتباهيها في المدينة الجماعية موضحاً: (أناس يرغبون في الجد والشرف (الحكم) وأناس يرغبون في امتلاك المال، وأناس يرغبون في التسلط والاستبداد ولربما نجد فيهم من يمتلك سائر هذه الحصول)^(٣٢).

فابن رشد يعتمد على الملاحظة في تفسير السلوك الاجتماعي وأنواع السلوك المختلفة ويحاول تحري الدوافع النفسية التي ينتهي منها السلوك البشري ونراه متفقاً مع (ماسلو)^(٣٣) عالم النفس الحديث في كيفية تلبية الحاجات الضرورية (قاتلاً: مانصة: (مادام

فانقال الفرد من قيم معينة الى اخرى يأتي عند ابن رشد من تأثير الانفراد بعضهم من بعض (المجموعة الضاغطة) بتعبر علم الاجتماع الحديث. فامتصاص الاتجاهات السلوكية المنسنة نفسياً للفسي الفاضلة من — ايثار وتبسط ورغبة المساراة بين الانفراد أي يتحول الفرد من هذه القسم الفاضلة الى اخرى غير فاضلة يعني ذلك ان الانفراد مالوا عن سلوك اصحاب المدينة الفاضلة وتحولوا الى سلوك دولة المجد والشرف (الحكم) وقد حدث ذلك في زمن العرب في بداية الرسالة الإسلامية عندما تحولوا في أدوار حكمهم اللاحقة بعد العصر الراشدي حيث تحول الحكم الى حكم المجد والشرف اي القوة والسلطان وغير ذلك من خصائص الحاكم. فتحول الفرد بتأثير العوامل الضاغطة عليه وفيه الى نقطة الوسط بين القوتين حيث يسلم الحكم في داخله للعصر الوسطى الممثل بالزواج الحاد المشاغب فيصير نرقاً ذا حدة واطماع^(٧٤)

فابن رشد يعدد سوء التربية مصدرًا كبيراً من مصادر الاستبداد وظهور الرغبات القوية في الاستحواذ على المال والأكل والمنكح والقيم في نظر ابن رشد تبني بناءً متيماً حتى تكون مثل ما يسمى بعلم التحليل النفسي (الآنا الأعلى) أو الضمير الذي يسهل ضبط الإنسان وردعه من دواخله وتيسير الآنا الذي هو جزء من الجهاز النفسي عند (فرويد) لتلبية بعض الدوافع من دون الحاق الأذى بالذات والعمل على إنحرافها^(٧٥)

لقد عالج ابن رشد نظرية نشوء الانحراف النفسي عند الفرد وعد ذلك تدريباً اجتماعياً ناقصاً وقيماً مقصورة من الوسط المختلط. وهذه القيم المنحرفة اجتماعياً تُحب للفرد فيقبل عليها ويعارضها فتصبح سلوكاً قاهراً عنده، يصعب على الفرد التنازل عنها، فقد ذكر في ص ٢١٧ قائلاً: فهذا الشخص يتحول دونما شك الى كل ما هو مفروط في تلك الرغبات وبحماس أكبر من حماس وسطه خاصةً عندما لا يجد شخصاً يراقبه أو طريراً يأخذنه نحو الطرف المقابل ويجره على قمع وكمّ تلك الرغبات بل وجدر حالاً يربون له كل شيء يرغب فيه ويعکونه من إشباع كل رغباته من دون سيطرة عليها

ويوضح ابن رشد القوة الشهوية وتحكمها في النفس قائلاً فالاجتماع البشري يكون قائماً على المال والغنى، وهو اجتماع قائم على طلب اللذة. إما بالسيطرة على قوى النفس التي مرجعها الى القوة الناطقة، ويكون الاجتماع بها فاضلاً ويقصد بالقوة الناطقة القدرة على الحاكمة والنقد (وقيادة الذهن)^(٧٦).

إن جوهر النفوس عند ابن رشد قائم في قواها مما هو في ميوها، وإن التحلل الذي يصيب المدن والأنظمة عند ابن رشد يرجع إلى غلبة القوة الغضبية والشهوية وقوتها في الأفراد فيتخلصون عن آدابهم التربوية السابقة، فيهملون واجباتهم ويكون سلوكهم ناقصاً فتهاوى كفاءتهم وتموت نوازع الخبر فيهم والشخص الذي تقوم سعادته على حب المجد والشرف تتفقد الحماية الكافية إلى حد منع النفس من الاستماع إلى الفضائل؛ لأن في نشأتها إحتلالاً وبعداً عن المدن الفاضلة^(٧٧).

وقد عالج ابن رشد التطبع السلوكي معالجة تتم عن (الأصلحة) خاصة في تكوين القيم النفسية الأولى عند الأفراد. فهو يناقش ظهور الأفراد المستبددين وابتلاعهم في المجتمعات المشغلة وكيفية البناء الهرمي للعدوان عند الفرد قائلاً: (وعندما يرى والد هذا الشاب أن شخصاً ما يضربه أو يؤذيه فإنه يطلب من ابنه عندما يكبر أن يأخذ له حقه من الذين ضربوه أو أذوه وضرب ذلك الشخص مرتين بدلاً من واحدة. وبما جملة يجب أن يكون في كل أفعاله وفي تحمله وشجاعته رجالاً بخلاف والده وكون الأمر كذلك سيجعله ذا مكانة بين أهل مدینته بحيث يظن أن كل من يسكت عن حقه إنما هو أحمق وجيان وذليل وبليد)^(٧٨).

ويستمر ابن رشد في تفسير السلوك البشري وغوه ذاكراً: (وفي مثل أمر هذا الشاب فسوف تنازعه الفطرة الفاضلة التي رباه عليها والدته أي النفس العاقلة مع الطبيعة الشهوية والغضبية التي لا يتوقف رفقاء السوء في مدینته عن غرس الرذائل فيه الامر الذي يتجدد عنه تحوله الى شيء ما وسط بين الانحراف في حب الرغبات وحب الفضيلة وسوف يدفع نفسه باتجاه القوة الوسطى اي حب الشرف).^(٧٩)

إفلاطون أن هذا الشخص بلا شك يكون في حاجة للفقدان كثيرة، وإن رغباته الشهوية ستتجبره على بذل أكثر مما في إستطاعته (خاصة الرغبة في النكاح) التي تفرد إلى سائر الرغبات الأخرى^(٤).

ونفس المستبد عند ابن رشد (هي النفس الحالفة بالعبودية والمحردة من الحرية حيث قواه الأدنى هي التي تسود فيها)، وقد سبق (فرويد) في تفسير ضغط (الهو - الغرائز)، وعند ضعف الضوابط التربوية الكبيرة، ومحنة الأنابين العالمين أو القوتين النفسيتين (الهو والأنا الأعلى) يكون الانحراف وتحدى الاصابة بأنواع الانفصامات المختلفة^(٥). بينما قواه العاقلة ويقصد ابن رشد بالقوى العاقلة (الضمير الأخلاقي والقيم الاجتماعية الفاضلة هي المغلوبة عند المحرفين نفسياً فتكون المدينة الجاهلة المستبدة ملتبة بالحزن والأسى والتعاسة وتكون أيضاً فقيرة وكذلك النفوس المستبدة فقيرة ويقصد هنا إنما مفتقرة للقيم الأخلاقية.

ملاحظة:

رفقة مع ابن رشد ملتبة بالقصصي خطوة خطوة. لقد كان ناقداً ومعللاً ومحلاً. كثيراً في منهجه، وعميقاً في فحصه، أثرى نصوص إفلاطون، وأرسطو. فخصبها بأرضية الواقع، وكان واقعاً شديداً في العقید، وتناول النفس البشرية رائداً ومنقباً عن عللها وأعراضها، فتخطى أدوات عصره فكان حرّ الفكر مبدعاً.

وبذلك يجعلونه مثل أحد ذكور التحل الكبيرة في خلية التحل^(٦). وعند الإفراط في الرغبات غير الضرورية مثل السكر من الخمر ودهن العطور وما شابه ذلك. وإنما كل المتع الموجودة في مثل هذه المجتمعات لرفقاء المرح واللهة عندها تقادرة وتزول تماماً منه كل القيم الفاضلة ويستبدل بعقله رغباته ولا يغير إهتماماً قليلاً كان أم كثيراً للقوى العاقلة فيه فتصبح حاله حال الرجل المضطرب وتشبه طباعة طابع الناس المضطربين والسكارى ويكون أمثال هؤلاء الرجال (المختلي العقول) يرغبون فضلاً عن السيطرة على الناس العاديين - بالسيطرة على كل شيء^(٧).

ويزداد الفجور في حياة هذا النوع من أصحاب التربية الناقصة فيكررون من إشاع ملذاتهم وكل ما يقوى فيهم حب الشهوة واللهة النكاح وتكون هذه اللذة هي المحكمة فيه والمسيطرة على القوى النفسية الأخرى مثلما يوجه الملاحة السفينة^(٨).

وفي منظور علم النفس الحديث (يعني ذلك اختلالاً نفسياً شبيهاً بالفصامات المؤقتة) إن غياب القيم الرادعة، وإطلاق القواعد (الغربيزية) (الهو) وإلهام ضغط الفضيلة على النفس يعني غياب الإدراك الاجتماعي، والتحول من كل قيمة ضابطة فيصبح السلوك بدائيَاً والحياة لا تعاش إلاً بفم وبطن وحالات أخرى. وهذا أمر في غاية الانحراف النفسي. لقد أوضح ابن رشد من خلال

الهوامش

- ٤) المصدر نفسه ص ٢٣ .
- ٥) انظر كتاب تلخيص السياسة/ ترجمة د. حسن العبيدي وفاطمة الذبيبي دار الطبيعة بيروت ١٩٩٨ .
- ٦) انظر الموقف الثقافي في العدد ١٦ ص ٢٢ - ٢٣ نحو رؤية جديدة لتفسير نكتة ابن رشد.
- ٧) المصدر نفسه ص ٢٢ - ٢٣ .
- ١) انظر المراكشي وابن الأبار، والأنصاري وابن أبي أصيبيعة ملحق في كتاب ابن رشد والرشدية/ إرنست رينان/ القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢- د. حسن العبيدي/ تلخيص السياسة. د. الجابري/ المثقفون ومحمد عمارة وغيرهم.
- ٣) د. حسن العبيدي/ الموقف الثقافي عدد ١٦ ص ٢٢ - ٢٣ .

- ١١) الموقف الثقافي العدد ١٦ ص ٢٢ - ٢٣ نحو رؤية جديدة لتفسير نكبة ابن رشد.
- ١٢) إندماج لأشعوري مع قوة الحكم فالناس ينفذون الهجوم وكأنهم مأمورون بذلك / ميالين إليه بكل جوارحهم (الاندماج بالسلطة/ بالقوة، بالفعل).
- ١٣) رسائل ابن رشد/ كتاب النفس/ ت أحمد فؤاد الأهوازي/ القاهرة ١٩٥٠ ص ١٩.
- ١٤) المصدر نفسه ص ٢٠.
- ١٥) المصدر نفسه ص ٢٠.
- ١٦) محمد جلوب فرحان/ النفس الإنسانية/ جامعة الموصل / ١٩٨٦ ص ١٢٠.
- ١٧) المصدر نفسه ص ١٢١ وما بعدها.
- ١٨) المصدر نفسه ص ١٢٢.
- ١٩) المصدر نفسه ص ١٢٢.
- ٢٠) المصدر نفسه ص ١٢٢.
- ٢١) ابن رشد/ كتاب النفس/ دائرة المعارف ١٩٤٧ ص ١٩٤٧ وما بعدها (ضمن كتاب رسائل ابن رشد).
- ٢٢) محمد جلوب فرحان/ النفس الإنسانية/ كلية الموصيل علوم رزق) ابن رشد/ النفس/ ص ٥٥.
- ٢٣) المصدر نفسه ص ١٢١ وما بعدها.
- ٢٤) المصدر نفسه ص ١٢١ وما بعدها.
- ٢٥) ابن رشد/ كتاب النفس ص ١٢.
- ٢٦) المصدر نفسه ص ١٣.
- ٢٧) ابن رشد/ كتاب النفس/ ص ١٥.
- ٢٨) المصدر نفسه ص ١٥.
- ٢٩) المصدر نفسه ص ١٦.
- ٣٠) كتاب النفس/ ابن رشد/ ص ١٧.
- ٣١) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- ٣٢) المصدر نفسه ص ٢٤.
- ٣٣) المصدر نفسه ص ٢٥.
- ٣٤) المصدر نفسه ص ٢٩.
- ٣٥) المصدر نفسه ص ٣٠ وما بعدها.
- ٣٦) كتاب النفس/ ص ٣٩.
- ٣٧) المصدر نفسه ص ٣٠.
- ٣٨) المصدر نفسه ص ٣٢.
- ٣٩) ابن رشد، النفس، ص ٣٣.
- ٤٠) المصدر نفسه ص ٣٤.
- ٤١) المصدر نفسه ص ٣٤.
- ٤٢) المصدر نفسه ص ٣٥.
- ٤٣) رسائل ابن رشد/ النفس/ دائرة المعارف/ ١٩٤٧ / القاهرة ص ٣٦.
- ٤٤) المصدر نفسه ص ٣٨.
- ٤٥) المصدر نفسه ص ٤٠.
- ٤٦) ابن رشد/ كتاب النفس/ ص ٤٩.
- ٤٧) المصدر نفسه ص ٥٠.
- ٤٨) المصدر نفسه ص ٥١.
- ٤٩) رسائل ابن رشد (كتاب النفس) دائرة المعارف/ القاهرة ١٩٤٧ ص ٥٢.
- ٥٠) د. عبد الستار ابراهيم/ آفاق جديدة في الابداع/ وكالة المطبوعات/ الكويت ص ٤٩ وما بعدها من صفحات.
- ٥١) ابن رشد/ النفس/ ص ٥٥.
- ٥٢) ابن رشد/ النفس/ ص ٥٥.
- ٥٣) المصدر نفسه ص ٥٦.
- ٥٤) المصدر نفسه ص ٥٧.
- ٥٥) المصدر نفسه ص ٥٧.
- ٥٦) ابن رشد/ النفس/ ص ٥٩.
- ٥٧) المصدر نفسه ص ٥٩.
- ٥٨) المصدر نفسه ص ٥٩.
- ٥٩) المصدر نفسه ص ٦٤.
- ٦٠) المصدر نفسه ص ٦٤.
- ٦١) ابن رشد/ النفس، ص ٦٥.
- ٦٢) المصدر نفسه ص ٧٥.

- مراجع البحث**
- ١- ابن رشد والرشدية، ارنست رينان/ ترجمة عادل زعبيتر/ القاهرة ١٩٥٧.
- ٢- رسائل ابن رشد /كتاب النفس/ ط١/ دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٧.
- ٣- المعجب في أخبار المغرب/ نشرة محمد سعيد العريان/ القاهرة ١٩٤٩.
- ٤- محمد عابد الجابري/ المثقفون في الحضارة العربية/ بيروت ١٩٩٥.
- ٥- ابن رشد/ كتاب النفس/ ت/ د. أحمد فؤاد الأهوازي القاهرة ١٩٥٠.
- ٦- محمد جلوب فرحان/ النفس الإنسانية/ جامعة الموصل ١٩٨٦.
- ٧- تلخيص السياسة/ ترجمة د. حسن مجيد العبيدي وفاطمة الذبيهي/ دار الطليعة/ بيروت ١٩٩٨ ص ١٧٥.
- ٨- المصادر السابقة/ ترجمة د. حسن العبيدي وفاطمة الذبيهي دار الطليعة/ بيروت ١٩٩٨ ص ٨٨.
- ٩- نظريات الشخصية/ ترجمة د. فرج وأخرون/ الهيئة المصرية/ القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧.
- ١٠- نظريات الشخصية/ ترجمة د. فرج وأخرون/ الهيئة المصرية/ القاهرة ١٩٧١ ص ٢١٧.
- ١١- المصادر نفسه ص ١٨٢.
- ١٢- المصادر نفسه ص ١٨٤.
- ١٣- ابن رشد، النفس، ص ٢١٨.
- ١٤- تلخيص السياسة / ترجمة د. حسن العبيدي وفاطمة الذبيهي دار الطليعة/ بيروت ١٩٩٨ ص ١٧٥.
- ١٥- تلخيص السياسة/ ص ١٧٨.
- ١٦- المصادر نفسه ص ١٨٣.
- ١٧- المصادر نفسه ص ١٨٥.
- ١٨- المصادر نفسه ص ١٨٤.
- ١٩- المصادر نفسه ص ١٨٥.
- ٢٠- نظريات الشخصية/ ترجمة د. فرج وأخرون/ الهيئة المصرية/ القاهرة ١٩٧١ ص ٤٢٢.
- ٢١- تلخيص السياسة/ ص ١٨٦.
- ٢٢- المصادر نفسه ص ١٨٩.
- ٢٣- المصادر نفسه ص ١٩٣.
- ٢٤- لقد فسر العريان (بيان الطرن) يعني الغبي وهي لفظة معروفة في اللهجة العراقية وتعني الشخص الذي تستبد به شهواته.
- ٢٥- المصادر نفسه ص ١٩٣.
- ٢٦- المصادر نفسه ص ١٩٧.
- ٢٧- تلخيص السياسة، ص ١٩٧.
- ٢٨- الجملة الأخيرة (الافرات في حب الرغبات وحب الفضيلة) من إضافات ابن رشد /المترجم ص ١٩٧.
- ٢٩- تلخيص السياسة، ص ١٩٨.
- ٣٠- نظريات الشخصية/ ترجمة د. فرج أحمد فرج وأخرون/ القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧ وما بعدها.
- ٣١- المصادر السابقة/ ترجمة د. حسن العبيدي وفاطمة الذبيهي دار الطليعة/ بيروت ١٩٩٨ ص ٨٨.

اطلشد السومري

أ.د. زهير صاحب

الأكاديمية الفنون الجميلة
جامعة بغداد

ال الأرض (دلمون) هي الموطن الطاهر . الأرض (دلمون) هي المُحَلِّ النظيف . في (دلمون) لا ينبع الغراب الأسود . والحداء لا تصرخ صراغ الحداء والأسد لا يفتك . والذئب لا يفترس الحمل . ومن به صداع لا يشكو الصداع . وامرأة (دلمون) العجوز لا تشكو الشيخوخة . والمنشد لا ينتحب ، وفي أطراف المدينة لا ينطق بالرثاء .

وربما يكون قلق الشعب السومري الوجودي ، والصراعات السياسية بين دوليات المدن السومورية وتفاوت مستوى الطبقات الاجتماعية ، هي المحتوى الفكري الكامن ، في مثل هذا النوع ، من الصور الفكرية التأملية وهذا لا يستند (المكان) إلى حقيقته ، إلا بمقدار العلاقة التي يقيمها مع المتخيل أو مع الواقع ذلك أن مجرد الذكرى أيضاً خيال وإعادة خلق . وأيا كان الحال ، فإن ذهبية المشهد السومري ، وحنين ذاكرة الماضي بالعودة إلى الماضي . ربما يكون قد غزل بنية أدبية شعبية ، في المجتمع السومري ، وكانت تتناوله العجائز والشيوخ في الليالي المقمرة ، لقضاء الوقت الطويل ،

أوضح (هاوزر) أن أسطورة العصر الذهبي ، ترجع إلى أزمان سحرية في القدم . ولسننا ندرى حقا ، ما هو التعليل الذي يقدمه علم الاجتماع لظاهرة تمجيل الماضي ، فقد تكون جذور هذه الظاهرة راجعة إلى التضامن القبلي والعائلي . أو إلى محاولة الطبقات المميزة ان تبني امتيازاتها على أساس الوراثة . وأيا كان الأمر ، فإن الشعور بأن ما هو قديم ينبغي ان يكون هو الأفضل ، لا زال من القوة ، بحيث يجعل مؤرخي الفن لا يحجمون عن تزييف التاريخ ، عندما يحاولون إثبات أن أقرب الأساليب الفنية إلى قلوبهم ، هو في الوقت ذاته ، أقدمها عهداً . (هاوزر ، ص ١٣).

وبرغم أن السومريين ، المبدعين (الأوائل) في التاريخ ، قد وضعوا وبشكل أصيل مبادئ الفكر الإنساني الأولى ، وقدموا حلولاً إبداعية لإشكالياته الأساسية التي تؤرقنا حتى هذه اللحظة . فـ صائد़هم الشعرية ، كانت تتغنى بماضي ذهبي عاشه الشعب السومري وقد استهلت إحدى القصائد بوصف دلمون (البحرين حالياً) أنها البلد العظيم الذي ينعم بالسلام والسعادة :

لتوثيق التاريخ بدلالة الفن ، كان لدى السومريين (إثبات) يلخص أسماء الملوك وسني حكمهم . إلا أن المؤسف ، هو أنهم لم يعنوا نهاية عصرهم الذهبي ، الذي افترضنا بدايته تجوزاً ، ربما احزنهم ذلك ، فلو سألت أحدهم ، من الذي أقام الحضارة على أرض الرافدين ؟ لأجاب ، لا أدرى ، هي وجدت هكذا . ومع ذلك وتجوز أيضاً ، يمكننا أن نحدد نهاية الدور السياسي الفاعل لحكام سومر في العام (٢٣٧١ ق.م) ، حين اعتلى سرجون الأكدي عرش الحكم . ومع ذلك فإن التراث الفكري السومري ، بصدق الكم والكيف ، لا توقفه حدود مصطنعة ، إنه أقوى من أن يقف عند حدود ، فهو ملك الإنسانية وإرثها الحضاري ، الذي لا زال حياً

ومتحركاً حتى هذه اللحظة .

تشترط جماليات المكان في الفكر الرافي ، مظاهر محسوسة تشير إلى موقع لها لون عاطفي ، وقد تكون مسامحة أو معادية ، مألفة أو غريبة ، إلا أنها في جميع الأحوال ، خارج نطاق التجربة الفردية . تشعر الجماعة باستمرار بوجود أحداث كونية معينة ، تضفي على المكان دلالات روحية . ومن هنا ، حافظ السومريون وبأمانة مطلقة ، على خارطة توزيع القرى الزراعية الأولى على أرض العراق من الناحية المكانية ، التي أنسوها سابقهم في عصر قبل التدوين . والمثير هنا ، هو أن السومريين ، طوروا وبفاعلية ، نظام التخطيط الحضري والإقليمي للقرية ، إلى نظام المدنية والتمدن . فقد اقتنى ظهور أولى المدن بنشوء العمران الحضري (Urbanization) ولطناً لأنعدو الحقيقة ، إذا أكدنا القول ، إن الحضارة السومدية ، تفردت بأول ظهور لنظام

وإفداع النفس بما هو جميل في أوقات الجدب والأزمات . يكتب اسم سومر بالعلامات (ki-en-gi) والدلالة العلمية للنص ، هي أرض سيد القصب . والمهيمن في دلالة المفظات هنا ، هو الإله (انكي) إله المياه . ومرجعيات الخطاب هي بنية البيئة السومدية ، حيث ولدت الكلمة الأولى متخفيَة بين غابة القصب . ويرى المرحوم طة باقر : "أن أول النصوص الملحمية ، التي ورد فيها اسم السومريين ، كان في القاب ملوك حضارة وادي الرافدين ، وهو لقب (ملك بلاد سومر وأكاد) ... إذ اتخذ هذا اللقب الملك السومري (أوتو - حيكال) الذي طرد الكوتيين، وحرر البلاد منهم" (طه باقر، ١٩٧٣، ص. ٥٨).

تُؤسِّس (التاريخية) منهاجاً بإخضاع الفن لقوانينها ، أنها دعوة إلى دراسة الفن بدلالة التاريخ وليس العكس . وهنا يجب أن يعد العصر الشبيه بالكتابي (الوركاء - جمدة نصر - ٣٥٠٠ ق.م) ليس مقدمة للحضارة السومدية فحسب ، ولكنَّ الوجه التكويني الأول في تطورها ، والذي تبلورت خلاله إسهامات حضارية عظمى ، شاركت في تكوين جسد الحضارة السومدية . ففي هذا العصر العظيم ، اخترعت الكتابة ، وتم تداول الأدب في بنية المجتمع الثقافية ، وظهر تنوع كبير في اجناس الفنون التشكيلية . وال فكرة هو أن هناك حينئما يولد ، استشرمَ السومريون بسرعة الصاروخ نحو الكمال والنضج .

يرى أحد المؤرخين السومريين ، أن كتابة (التاريخ) تعنى حفظ إبداعات الإنسانية من الضياع . وذلك كشف فكري عظيم ، في جدلية كتابة التاريخ . فبالإضافة

الزمن ، ليكون مناسباً لسير العربات السريعة ، ذات العجلات الخشبية ، وقد توزعت بانتظام على جانبها عدد من الحالات السكنية ، حيث نعوذج البيت السومري المشيد (باللبن) ، وتوسطه ساحة فسيحة مكشوفة ، تتوزع حولها غرف السكن . وأجمل أجزاء المدينة السومرية كان ميناؤها ، حيث تجتمع السفن باشرعتها الملونة ، وتتلاقي الثقافات ويهمنا هنا أن حضر قصيدة شعرية سومرية تصف جمالية المدن السومرية وعلى الأخص مدينة (نفر)

انظر تمسك السماء والأرض (المدينة) ، انظر
الجدار الجيد (المدينة) ، انظر (إيدسالاً) نهرها الصافي ،
انظر (كراكرونا) مرفأها الذي ترسو عليه السفن ، انظر
(بولال) بئر مائها العذب ، انظر (الذئب) قناتها النقية ،
انظر (الليل) رجالها الشاب ، انظر (تنليل) عذراءها
الفتية .

وفي ملحمة كالكامش الخالدة ، يرد نص يصف
بشعاعية جميلة ، جمالية دولية المدينة السومرية :
أنظر يا انكيدو سور الوركاء الخارجي ، تجد أفاريزه
تألق كالنحوتات ، أجل يا انكيدو تعال الى اوروك
المحسنة . حيث يلبس الناس أحلى الحال ، وفي كل يوم
تقام الأفراح في ، أيام افها كالعديد .

وفي بلاد سومر نشأت أول أنظمة الديمقراطية في العالم . ففي دويلة المدينة ، كانت السلطة السياسية العليا في يد مجلس عام يشتراك فيه جميع الأحرار البالغين . وفي الأوقات الاعتيادية كانت شؤون الحياة اليومية تصرف بإرشاد مجلس الشيوخ . أما في الأزمات ، فكان يوسع المجلس العام ، بأن يخول أحد أعضائه السلطة

دولية المدينة على أنه أول شكل من أشكال التحكم في التاريخ البشري . فقد نمت فكرة المواطن والمواطنة والولاء الأعظم لدولية المدينة .

و هذه المدن كانت صغيرة إذا قيس ب مدننا اليوم ،
ولم تنقطع الصلة ، بين سكانها والأرض ، بل الأمر
بالعكس ، لأن معظم الأهلين يسترزقون من الدّهْرَـول
المحيطة بهم ، وكلهم يعبدون آلهة تمثل قوى الطبيعة ،
ويساهمون جميعاً في طقوس وشعائر يحيونها عند نقاط
التحول في السنة الزراعية . وعلى هذا المنوال ، انتظمت
حياة الجماعة ، بموجبـاً كـم متوارث من التقاليد
والأعراف ، التي أصبحت بعد نجاح تطبيقـها مقبولة
ومرغوبـاً فيها من قبل الجميع ، كونـها استهدفت النفع
ـ العام .

بلغ محيط مدينة الوركاء عاصمة البطل لكامش
ـ زهاء تسعه كيلومترات، ومساحتها تجاوزت سته
كيلومترات . وعدد سكانها تجاوز مئة ألف نسمة . وقد
نظمت المدينة حضرياً، لتشمل ثلاثة مراكز رئيسية ،
أهمها حارة المعابد في مركز المدينة ، ويلتف حول
مقرباتها الأراضي الزراعية الخصبة ، التي ينبع منها
أعداد كبيرة من القوات المائية الإروائية الضخمة ، أما
القسم الثالث ، فيشمل ميناء المدينة ، حيث تنظم
الفعاليات التجارية. وهي بذلك تشبه التخطيط الحضري
لأي مدينة عراقية لعهد قريب .

ولنا أن نتصور التخطيط الحضري لدولة المدينة السومرية ، حيث تقسم مساحتها ، عدد من الشوارع الفسيحة ، وقد بلغت ارضايتها ورصفت بخليط من الرمل والجص الناعم ، الذى اكتسب صلابته مع مرور

ومن موانئ المدن السومرية اور والوركاء ونفر ، تحركت السفن الشراعية، محملة بالتمور والحنطة ، نحو دلمون (البحرين) ومكان (عمان) حتى الهند لجلب الذهب والنحاس والأحجار الكريمة الملونة مقايضة بما تحمله من بضائع ومواد غذائية . وفي الوقت ذاته ، انطلقت العربات السريعة وقوافل الأفراد نحو أفغانستان وجنوب تركيا وإيران لإحضار ما تتطلبـه المعتقدات الفكرية المرتبطة بما بعد الموت ، وما تحتاج إليه أبنية المعابد وكذلك أعمال الفنون التشكيلية من خامات ومواد ذات بريق سحري ، لعلها تجد حلاً لاشكالـات الفكر السومري الذي أحياء القلق الوجودي . ولعل ظهور بعض الأختام الأسطوانية السومرية في تلك الأماكن الثانية ، يمكن أن يجد تعليـه بهذا النوع من الاتصالـات التجارية .

هو الذي رأى كل شيء ، ففـي ذكرـه يا بلادي ، هو الذي عـرف جميع الأشيـاء وأفادـ من عـبرـها ، وهو الحـكيم العـارـف بكل شيء . مـطلع مـلحـمة كـلـكامـش ، الذي يـشـفر بـصفـته نـظـاماً من نـسـقـ العـلامـاتـ في قـراءـتهـ الأـفـقـيةـ ، عنـ بنـيةـ الفـكـرـ السـومـريـ (الأـبـسـتمـولـوـجـيـ)ـ وـاـهـتمـامـهـ بـالـعـرـفـةـ . شـعـبـ أـوجـدـ نـظـامـ الـكتـابـةـ الـأـيـقـونـيـةـ ، ثـمـ اـخـتـرـلـهاـ إـلـىـ رـمـوزـ مـعـرـفـيـةـ ، وـأـوـصـلـهـ إـلـىـ نـظـامـهـ الصـوتـيـ المـقـطـعـيـ . حـيثـ تـرـتـبـطـ دـلـالـةـ الصـوتـ بـنـيـةـ (ـدـالـ)ـ ، بـمـفـاهـيمـ مـعـرـفـيـةـ ذـهـنـيـةـ فـيـ تـرـكـيبـ مـفـرـدـاتـ الـحـضـارـةـ قـيـمةـ مـدـلـولـ .

شعب سومر أوجـدـ نـظـامـ السـلـمـ الـموـسـيقـيـ ، وـاحـتـفلـ بـتـعـظـيمـ (ـإـلـهـ)ـ فـيـ أـوـلـ مـراـحـلـ الـفـنـسـفـةـ الـمـثـالـيـةـ . إـنسـانـيـةـ الـفـكـرـ السـومـريـ وـضـعـتـ إـلـسـانـ أـعـظـمـ قـيـمةـ فـيـ الـوـجـوـهـ .

المـطـلـقـةـ فـيـصـبـحـ حـاكـمـاـ ، وـكـانـ هـذـاـ يـحـدـثـ فـيـ زـمـنـ مـحـدـدـ بـزـوـالـ الـأـزـمـاتـ (ـجـاكـوبـسـنـ ، صـ ١٤٩ـ)

وـهـينـ عـزمـ كـلـكامـشـ وـصـدـيقـهـ أـنـكـيدـوـ الـقـيـامـ بـسـفـرـهـ الـبـعـيدـ ، لـقـتـلـ (ـخـمـبـابـاـ)ـ حـارـسـ غـابـةـ الـأـرـزـ ، خـاطـبـ مـجـلسـ الشـيـوخـ فـيـ مـدـيـنـةـ الـوـرـكـاءـ قـائـلاـ:

اسـمـعـواـ يـاـ شـيـبـ (ـشـيـوخـ)ـ أـورـوـكـ ذـاتـ الـأـسـوـاقـ ، أـرـيدـ أـنـاـ كـلـكامـشـ أـنـ أـرـىـ مـنـ يـتـحـدـثـونـ عـنـهـ ، ذـلـكـ الذـي مـلـأـ سـمـهـ الـبـلـدـانـ بـالـرـاعـبـ ، عـزـمـتـ عـلـىـ أـنـ أـغـلـبـهـ فـيـ غـابـاتـ الـأـرـزـ ، وـسـأـسـمـعـ الـبـلـادـ بـأـنـبـاءـ اـبـنـ أـورـوـكـ ، فـتـقـولـونـ عـنـيـ : مـاـ أـشـجـعـ سـلـيلـ أـورـوـكـ وـمـاـ أـقـواـهـ .

ثـمـ خـاطـبـ شـيـوخـ أـورـوـكـ كـلـكامـشـ وـقـالـواـهـ :

عـسـىـ أـنـ يـنـصـرـكـ إـلـهـ الـحـامـيـ ، وـعـسـىـ أـنـ يـرـجـعـكـ سـالـمـاـ فـيـ طـرـيقـ عـودـتـكـ إـلـىـ بـلـدـكـ ، وـيـعـدـكـ سـالـمـاـ إـلـىـ مـيـنـاءـ (ـأـورـوـكـ)ـ .

يـوـصـفـ الـاـقـتـصـادـ السـومـريـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ ، بـأـنـهـ كـانـ اـقـتـصـادـاـ زـرـاعـيـاـ . إـلـاـ أـنـهـ كـانـ يـقـومـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ عـلـىـ الصـنـاعـةـ ، ذـلـكـ أـنـ الـقـوـانـينـ التـشـرـيعـيـةـ السـومـرـيـةـ ، كـانـتـ قـدـ قـدـمـتـ وـصـفـاـ للـعـدـيدـ مـنـ الـصـنـاعـاتـ وـالـحـرـفـ الـيـدـوـيـةـ ، كـأـعـمـالـ الصـيـاغـةـ وـالـتـعـيـمـ وـالـطـرـقـ عـلـىـ النـحـاسـ وـإـنـجـازـ الـأـسـلـحـةـ الـحـدـيـدـيـةـ وـالـذـهـبـيـةـ ، وـإـبـدـاعـ الـعـدـيدـ مـنـ الـأـنـيـةـ الـذـهـبـيـةـ بـأـسـالـيـبـ الصـبـ الـمـتـنـوـعـهـ . وـيـؤـيدـ ذـلـكـ مـخـاطـبـةـ عـشـتـارـ كـلـكامـشـ بـعـدـ عـودـتـهـ مـنـتـصـراـ مـنـ مـغـامـرـتـهـ فـيـ غـابـاتـ الـأـرـزـ :

سـتـكـونـ أـنـتـ زـوـجيـ وـأـكـونـ زـوـجـتـكـ ، سـأـعـدـ لـكـ مـرـكـبةـ مـنـ حـجـرـ الـلـازـورـدـ وـالـذـهـبـ ، عـجلـاتـهـ مـنـ الـذـهـبـ وـقـرـونـهـاـ مـنـ الـبـرـونـزـ ، وـسـتـرـبـطـ لـجـرـهـاـ (ـشـيـاطـينـ الـصـاعـقةـ)ـ بـدـلـاـ مـنـ الـبـغـالـ الـضـخـمـةـ .

والجغرافية والتعدين والرياضيات .

وكان مدير المدرسة يدعى (أبا المدرسة) والطالب (بن المدرسة) أما المدرس فهو الأخ الكبير ، وواجبه كتابة الواح جديدة ، كي ينسخها الطلاب ، وتصحيح ما نسخوه ، وسماع ما حفظوه من واجبات الأمس . وتضم المدرسة أعضاء آخرين ، كالمسؤول عن الرسم ، والمسؤول عن السومريات ، ومرافق الحضور ، والمسؤول عن حفظ النظام وغيرهم .

وب Finching الكتابات السومرية ، أن الحرية ضمن حدود القانون ، كانت هي الطريقة المثلثة المتبعة في المجتمع السومري . ومن المحتم أن تبدو الطاعة ، في حضارة ترى الكون كله على صورة دولة ، فضيلة عظمى . لأن الدولة مبنية على (الطاعة) والخضوع للسلطة . فقد كانت الحياة الفاضلة السومرية هي الحياة (المطيبة) ، حيث يقف الفرد في المركز من دوائر متلاحقة من السلطة تنظم حرية عمله ونشاطه . وكانت أقرب وأصغر هذه الدوائر تتتألف من السلطات التي ضمن أسرته : أبيه وأمه ، أخيه الأكبر وأخته الكبرى . وبحوزتنا نشيد يصف عصر أقادماً ، يتميز بكونه عصر الطاعة : يوم يحجم المرء عن السفاهة يباده غيره ، ويكرم الابن أباه ، يوم يبيّن الاحترام جلياً في البلاد ، وييجّل صغير القدر الكبير ، يوم يحترم الأخ الصغير أخيه الأكبر ، ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر ويتمسك (أخيه) بقراراته . ولعل في اكتشاف الكتابة ، وتأسيس أول مدرسة ، ووضع أنظمة التخطيط الحضري والأقليمي ، وعدالة القوانين التشريعية ، وحرية الأفراد ضمن حدود النظام ،

حين دون أعظم مشرعيه : جئت لأخلص الضعيف من القوي ولن ادع أحداً ينام وهو جائع . هذا الإبداع الفكري الأصيل والكشف الإبداعي ، شكل الجوهر في بنائية الفكر في سومر العظيمة لكونه تعبيراً جاداً عن الزمان والمكان ، وهو صورة لروح وثقافة المجتمع ، فانتشرت شرارة الوحي انعكاساً لهذه الفاعلية ، بفعل إدراك فكري ذي بنية اجتماعية وروحية .

إن أول مدرسة في العالم ، كانت قد أسست على أرض سومر في بلاد ما بين النهرين . إذ عرف السومريون الكتابة أول مرة في التاريخ . فقد اكتشف ما يقرب ألف لوح طيني ، يحمل بعضها نصوصاً تمارين مدرسية ، فقد كان التفكير منصبأً في طرق التدريس . وأن عدد الذين مارسوا فن الكتابة حينذاك يزيد عن الآلاف . ومنهم من كان كاتباً من الدرجة الأولى ، والآخرون مساعدين ، ويصنفون على أنهما كتاب حكوميون أو دينيون ، وكان بينهم اقتصاديون وإداريون وموظفو بارزون في الدولة .

واكتشفت (الواح) تحمل تمارين مكتوبة من قبل الطفّال لنفسهم ، وهي جزء من واجباتهم اليومية ، وكانت تترواح بين كتابة المبتدئين والذين أوشكوا على التخرج . وكانت أهداف المدرسة السومرية في البداية ، تقتصر على تعلم اللغة وتدريب موظفين للإدارة والاقتصاد ، يعملون في دوالين الدولة والمعابد . وقد تطورت أهداف المدارس وأصبحت مراكز للعلم والثقافة . وتخرج منها العلماء والباحثون الذين درسوا مختلف فروع المعرفة كاللاهوت وعلم اللغة والنبات والحيوان



أشكال المشهد السومري



أشكال المشهد السومري

وأنسنة الأسطورة والملحمة ، وبنات الديمقراتية الأولى ، وملامح فكرة الحكمة الفاضلة . هي فضيلة العقلية السومرية المبدعة ، التي لا زالت (كونية) لا تحدوها حدود زمانية أو مكانية

الهواءش وأطهاد

١. باقر ، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،
مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٧٣.
٢. جاكوبسن ، ثوركيلد . ارض الرافدين ، في ما
قبل الفلسفة ، تاليف هنري فرانكفورت وآخرون ، ترجمة
جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت ، ١٩٨٠.
٣. هاوزر ، ارنولد . الفن والمجتمع عبر التاريخ ،
ترجمة فؤاد زكريا ، بيروت ، ١٩٨١.

تحقيق النصوص

المترجم: عبد الحسين محمد الفيلي

منذ قرون يحتلون مكان المتخلفين بينما كان الفكر العربي الإسلامي منارة هادية في ميدان العلوم^(١).

وهناك تصوران عن التراث بوجه عام. تصور يتعامل مع التراث كونه كتلة من الأحداث والمفاهيم والقيم مستقلة عن وعينا وعن وجودنا تماماً ويمكن أن تعالج معالجة محاذية تحاول الوصول إلى الكينونة المتعالية لهذه الكتلة التي تشبه المثل الأفلاطونية في تجريده وتعاليها على السواء وذلك تصور موجود بالقوة لا بالفعل كما يقول الفلسفه القدماء. ومن المستحيل علينا أن نتعامل مع التراث على هذا النحو لسبب بسيط مفاده أن التراث موجود بنا وفينا في الوقت نفسه فضلاً عن أن وجوده الموضوعي لا يعني انفصاله المطلق عنا، بل يعني أنه – على الرغم من بسعده التاريخي ما زال يؤثر علينا القدر ذاته الذي نؤثر فيه^(٢).

أما التصور الثاني: فيتعامل مع التراث من منظور الوعي بالحاضر والدرارك للوجود الآني وذلك هو التصور السادس فضلاً عن أنه التصور الممكن عملياً.

إن تراثنا العربي يحمل أدباً وأخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً أفرغه علماؤنا في مؤلفات جليلة فهي صورة جميلة من أدبنا وعلومنا القديمة، مبعث حضارتنا الذي يقضي علينا الواجب أبداً أن نتدوّقه ونتفاوض معه لما فيه من عبرية

عرفت عملية تحقيق النصوص: بأنها الاجتهاد في نشرها وجعلها مطابقة لحقيقةها كما وضعها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى والكتابة وذلك باتباع الطريقة العلمية الخاصة بالتحقيق وهي البحث عن أصول النصوص. وتحقيق النصوص ليس بالعملية السهلة – كما يتوجه بعضهم – بل أنها شاقة ومهمة. إذ أن مسؤولية الذين يختارون نصوص التراث فيحققونها وينشرونها بدرجة مسؤولية الذين يبدعون ويخلقون في حقل التأليف نفسها. ذلك أننا إذا شئنا أن نقدم لأجيالنا الحاضرة والمستقبلة تراثاً يمجد العقل ويوصل فكرنا العقلي المتقدم ويشيع في صفوفنا مناخاً يساعد على ازدهار التفكير العلمي فلا بد لنا من البحث عن البقايا التي تركها الزمن من تراث المدارس الفكرية العربية الإسلامية التي أعلت قدر العقل ورفعت قيمته والتي قدمت ثمرات تفكيره على مدلولات ظواهر النصوص^(٣).

كما أننا إذا شئنا أن نفخر بأمتنا فلابد من أن نقدم لها كنوز الفكر العلمي العربي الإسلامي الذي تلتزمت على يديه الدنيا وفي مقدمتها أوروبا عدة قرون. ففي نشر هذا التراث وإثارة القضايا المرتبطة به من حركتنا الفكرية والثقافية ما يشيع الثقة بالنفس في هذا السباق الذي نبدو فيه اليوم متخلفين موازنة بآ الآخرين. هؤلاء الذين كانوا

على أن هذا لا يعني عدم الثناء على الذين قدموا للعربية جهوداً مشكورة ونبهوا العربي إلى تراثه الذي كان بحاجة إلى بث وإيجاد، ونفض غبار الزمن الطويل عنه. ليظهر بوجهه جديد وثوب عصري فشيب ينسجم وروح العصر والحضارة الجديدة ولا تزال مطبوعات بطرسبرك، وكامبرج ولابيسك، وليدن، وبرلين وغيرها من مدن أوروبا هي النسخ المعمول عليها في الدراسات العلمية الحديثة.

فلقد كان عمل المستشرقين هذا النواة التي بُذرَت في موضعها لتلقى فيما بعد الرعاية الكافية والوسائل الملائمة لحياتها ونمائها ولتصبح بعد ذلك شجرة ذات أصل راسخ وفروع مثمرة وعنهم ومن دراستهم أخذنا بعض كنوز تراثنا الحضري في اللغة والأدب والفلسفة والتصور والآلهيات. ثم بُدأنا ندخل في هذا الميدان مسلحين بالمنهج الحديث من التحقيق.

ولقد بدأ العرب يدخلون في هذا الميدان في مصر منذ الجمعية التي أسسها الشيخ محمد عبد عام ١٨٤٧ - ١٩٠٥، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر لاحياء الكتب العربية وهو الجمعية التي طورت وواصلت جهود رفاعة الطهطاوي المبكرة^(١).

وشيئاً فشيئاً بدأنا نستطيع أن نرى أفكار أسلافنا ونقوم نصوصهم الأصلية لا من خلال رؤية المستشرقين لهؤلاء الأسلاف فنحن مثلًا نستطيع أن نرى ابن رشد من خلال نصوصه هو لا من خلال الدراسة التي قدمها عنه "آرنست رينان" ١٨٢٣ - ١٨٩٢م، في كتابه "ابن رشد والرشدية". وأن نرى الحلاج ٩٢٤ "من نصوصه" هو لا من خلال ما كتبه عنه "ماسنيون" ١٨٨٣ -

أرواح أجدادنا ومنها ننشأ—— الكمال في اللفظ والمعنى ونمشي على آثارهم فتشاء شخصيتنا الجديدة وهو إلى هذا من خير ما نكشف به مقاييس الاختلاف في أمتنا ومعايير عاداتها ومدنيتها.

والأخلاص الحقيقي للسلف هو المحافظة على آثارهم الحضارية لا لكونها شيئاً جاماً ميتاً، ولكن لأنها كانت حية. وقد قيل: إن النهر حين يجري نحو البحر فإنهما يعبر عن أخلاقه الحقيقي لمنبعه. وقد أكدت مؤسسات الدولة ضرورة الاهتمام بالتراث ونشر نصوصه وتقدم الدراسات حول النصوص والاطلاق من هذه النصوص إلى أعمال فنية وأدبية معاصرة^(٢).

ولا بد من عملية الاختيار لهذه النصوص لتقديمها إلى الأجيال الحاضرة والمستقبلة لأن إعادة نشر كل آثار الأولين عملية ضخمة لا يفكر فيها أحد. وأن في آثار هذا التراث الكثير من النصوص الضارة والعائقية التي لا ضرورة لإحيائها. بل التأكيد على الجوانب المشرقة منها التي يجب احياؤها وبعثها من جديد.

هلن بدأ تحقيق النصوص العربية
لا خلاف في أن عملية تحقيق النصوص العربية بدأت تأخذ شكلاً متميزاً في أوائل القرن التاسع عشر على أيدي المستشرقين. فهم الذين بدأوا بتحقيق هذه النصوص ونشرها وربما كان ذلك خدمةً لمصالحهم الاستعمارية وتشويهاً للتاريخ الشامي واندفاعاً وراء أغراض رسمتها السياسات الأوروبية لنسخ كثیر من الحقائق العلمية في معتقداتنا وفقيه ديننا وتاريخنا العربي والإسلامي ونعني بهم أولئك الذين يميلون بآرائهم إلى جعل العالم العربي تابعاً لا متبعاً ومقداً لا مبدعاً^(٣).

يصنفون كتبهم أول الأمر على شكلٍ ثم يزيدون فيها أو ينقصون^(١). فتأريخ دمشق لابن عساكر له نسختان جديدة في ثمانين مجلدة، وقديمة في سبع وخمسين مجلدات وفيات الأعيان نسختان أيضاً. وكتاب الياقوت لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب ظهر بست صور أمضى في تاليفها ما بين سنة ٣٢٦ - ٣٣١ هجرية "وفي كل مرة يقرأه يزيد شيئاً ثم أملأ على الناس حين عرض آخر مرة كما جاءت به نسخته الموثقة، قال أبو عمر محمد ابن عبد الواحد: هذه هي التي تفرد بها أبو إسحاق الطبرى آخر عرضة اسمعها بعده. فمن روى عنى في هذه النسخة في هذه العرضة حرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب علىّ وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس وإن اسمعها حرفاً حرفاً وهذه وأمثالها تسمى بالنسخة الأم.

ومثال ما قاله المسعودي في آخر كتابه "التنبي والأشراف"^(٢) قد كان سلف لنا قبل تحرير هذه النسخة نسخة على الشطر منها وذلك في سنة ٣٤٤ ثم زدنا فيه ما رأينا زيارته وكمال الفائد به فالمعمول من هذا الكتاب على هذه النسخة دون المقدمة.

أقرب النسخة إلى النسخة الأصلية

تلي نسخة المؤلف من الوثائق النسخة عن الأدلة المطبوعة عليها. والضبط يكون إما بإملاء المصنف لها على طلبه وإما بقراءته إليها عليهم أو بقراءتهم إليها عليه. وباثبات القراءة في أولها أو آخرها بتحرير جملة يذكر فيها القارئ للكتاب ومن معه إن لم يكن فرد ويصدق المؤلف بذلك كتابةً ويصادق على السند: وسلسلة الأخذ هذه تحظى بمقدار قليل من الذكر من

١٩٦٢م وإن كنا لا نزال بعيدين عن بلوغ ما هو ضرورة لتحقيق كل أهدافنا وذلك لعدم اكمال النصوص المحققة والمنشورة بيننا لهؤلاء الأعلام الشامخين.

وفي العصور الوسطى وبداية النهضة الأوربية رأت أوروبا تراثها اليوناني من خلال المفكرين العرب^(٣) وخاصة ابن رشد وابن سينا والفارابي والرازي والخوارزمي والحسن بن الهيثم. وعندما رسمت أقدامها على أرض نهضتها رجعت إلى المصادر الأصلية لتراث اليونان واستعانت برأوية العرب لهذا التراث عملاً مساعدًا. واستمرت إضافات العرب الفكرية وشروحهم وإبداعاتهم حول هذا التراث. وهذه هي المهمة المطروحة على نهضتنا العربية وهي المهمة التي لا يمكن انجازها بدون التخطيط والتنفيذ العلميين في ميدان إحياء التراث العربي الإسلامي . فأحد المقاييس الدالة على نضج شخصية الأمة الحضارية أن تحول رؤية الآخرين لتراثها إلى عامل مساعد في التقويم والدراسة بعد أن كانت المصدر الوحيد أو الأساس في تقويم هذا التراث واستلهامه^(٤).

أصول النصوص

إن أوثق النصوص وأفضلها وأكثرها دقة النص الذي يحمل عنوان الكتاب واضحاً عليه اسم المؤلف أو كان قد كتبه بنفسه سالماً من الخرم والنقسان أو أملأه أو أشار بكتابته على الصورة التي أرادها أو أجازها. وشرط الصحة أن يثبت في النسخة ما يؤكد علمه واطلاعه بذلك. وإلا وجب حشد جميع النسخ الممكن جمعها بأعيانها أو بتصاويرها أو بنسخها المقابلة المعارضة. واتخاذ أصح النسخ وأتمها متأنياً لنشر الكتاب، لأن الكثير من العلماء

أمال واحدة، وإن اختلفها في صورٍ ثلاثة هو من صنع التلاميذ والرواية^(١).

ولا يعتمد على الطبعات التي تخرج للتجارة في التحقيق لأنها قد لا ترافق بمحقق أمين موثوق به. أما النسخ المصوربة بوضوح فتؤدي ما يوحيه أصلها فإن كانت صورة للنسخة الام فتعود في حكمها وإن كانت للنسخة التالية فتصير بحكمها أيضاً.

أما المسودات فمسودة المؤلف تعد الأصل إن ورد ما يؤكد عدم اخراجه غيرها. جاء في "ارشاد الساري" شرح صحيح البخاري" للمقسطلاني: أن يحيى بن محمد الكرماني.. صنع أيضاً شرحاً للبخاري سماه "مجمع البحرين وجواهر الحبرين" قال: وقد رأيته وهو في ثمانية أجزاء كبيرة بخطه مسودة"^(٢).

ومبادئ المؤلف بخطه هي الأصل إن وجدت وإن وجد معها مسودة فهذه تعد الأصل الثاني ويستعان بها على تصحيح القراءة فقط.

وإذا عثر الباحث على أصل لكتاب بخط المؤلف أو على نسخة مضبوطة منه فلا يقطع بذلك凡 من المؤلفين من ألف كتابه مرتين أو ثلاثة كما هو معلوم في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ. فقد صنفه مرتين. وذكر أن الثانية أصح وأجدد. وكتاب "الجمهرة" لابن دريد قال عنه ابن النديم^(٣) مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملأه بفارس وأملأه ببغداد من حفظه فلما اختلف الاملاء زاد ونقص

وإذا لم يظفر طالب التحقيق بنسخة المؤلف، ولا بالمنسوبة المضبوطة عليها خطأ أو قراءة يبحث عن نسخة كتبت في عصر المؤلف وعليها سمات

الكتب الأدبية في حين أنها تحظى بنصيب وافر من الذكر في الكتب الدينية واللغوية.

وهناك نوع من النصوص يدعى بالنسخة الأم ادعاء لا يقر عليه، وهي الأصول القديمة التي يضمنها الكاتب في كتابه عفواً أو عن طريق العمد، فلا ينفت إليها ولا يطمأن. وذلك واضح في كتاب "المغازي" للواقدي، ففي الجزء الثالث منه ما يقارب المائة صفحة أخذت من نصوص أخرى.

ومن النصوص المضمنة ما جاء في خزانة الأدب للبغدادي. فقد ضمن خزانته كثيراً من الكتب الصغيرة النادرة مثل كتاب "فرحة الأديب" لأبي محمد الأسود الأعرابي وكتاب "النصوص" لأبي سعيد السكري كما تضمنت أيضاً قدرأ من كتب النحو وكتب الشواهد النحوية، وكتاب "الأشباه والنظائر" للسيوطى الذي جمع فيه نصوصاً كثيرة لمشاهير النحوة أمثال سيبويه والمازني والمبرد وابن السراج والزجاجي

وابن جنى وأبي علي الفارسي وغيرهم. وهذا النوع من الكتب يستعن به في تحقيق النص ولا يخرج به المحقق كتاباً مستقلاً أبداً. والأقدمون كانوا يلزمون أنفسهم حيث يقولون "انتهى بنصه" فتكون مسؤوليتهم خطيرة لكونهم حملوا أنفسهم أمانة النقل. أما الافتاء والزيادة والإدخال مع عدم الإشارة إلى ما أخذ وأضيف على النص الأصلي فيعد خطراً فادحاً على التحقيق.

وخير مثال على تعرض النصوص لزيادة والنقصان ما جاء في كتاب "كشف الظنون" لحاجي خليفة وفي كتاب "الخزانة" للبغدادي من أن للزجاجي أمالٍ ثلاثة: كبرى ووسطى وصغرى، غير أن الحقيقة لا توجد سوى

عن الفئة الأخرى اختلافاً فردياً أو جماعياً. فإن كان الاختلاف فردياً أو جماعياً فإنه يكتفى بالاشارة إلى اختلاف نسخة واحدة من كل فئة.

جمع الأصول

من العمليات الشاقة المحفوفة بالمزاج عمليّة جمع الأصول. فمن الصعب على المحقق أن يقف على جميع النصوص التي تخص تحقيق نسخة بذاتها. ولكن ذلك لا يمنع من متابعة الفهارس في المكتبات العامة والخاصة. مثل فهارس دار الكتب المصرية في القاهرة وفهارس مكتبة المتحف العراقي وفهرس مخطوطات الأوقاف ببغداد وفهارس كتب المتحف البريطاني، وفهارس دار الكتب الوطنية بباريس، وفهارس دار الكتب الوطنية بألمانيا. وفهارس كتب الأسكوريال باسبانيا وفهارس كتب الوقف باسطنبول وغيرها من الفهارس المنتشرة في العالم.

كما لا يفوّت المحقق الرجوع إلى تاريخ الأدب العربي "لبروكمان" وذيله. وتاريخ أدب اللغة العربية لجري زيدان فيما يدعان من أميز المراجع التي تعود إلى المخطوطات ومعرفة مواضعها. وأخيراً سؤال الخبراء بالمخطوطات يعين هو الآخر على العثور على جديد يضيّقه المحقق وتطمئن إليه نفسه، وهذا ما حدث لي عند تحقيقي لكتاب "الأصول لابن السراج" إذ عثرت على نسخة له في المغرب وأخرى في تركيا بعد أن أكملت تحقيق النسخة التي صورتها من مكتبة المتحف البريطاني والتي لا تكون أكثر من ربع الكتاب.

ويجب أن لا ينخدع المحقق بالتاريخ المثبت على النسخة الخطية فقد تكون موضوعاً باليهام من متعمد

بشهادات الرواة الثقات فإن لم يكن على النسخة سماع قدمها يشفع لها في أن تكون مختاراً والأ فهو مضطرك إلى الاعتماد على نسخة متأخرة وحيدة فنشرها بحالها ويُشير إلى أوهام التصحيح الوارد فيها كما فعل "عباس إقبال" في نشرة "طبقات الشعراء" لابن المعتن إذ استعان بمختصره على نشره أول مرة.

وإذا تعارضت نسختان أحدهما قديمة كثيرة التصحيف والنقصان والأخرى حديثة صحيحة سليمة من العيب المشار إليه فلا اعتماد على الحديثة وهي التي ينبغي أن تنشر لأن المراد مطابقتها لحقيقة كما وضعتها المؤلف. وإذا ضئلاً سلامـة الغـالية لم تغـيرـنا حـدـاثـة الوـسـيـلة.^(١٤)

ووجود النسخة الحديثة مردـه إلى أحدـ أمرـين: إما أن تكون منسـوخـة على نـسـخـة قـديـمة صـحـيـحة ولكنـها تـلـفتـ بأـحـدـ أـسـيـابـ التـلـفـ. وإما أن تكون مكتـوبـة بـقـلـمـ مـحـقـقـ

أـصلـحـ أـخـطـاءـها وـقـوـمـ أـوـدـهاـ فيـ اـشـاءـ اـسـتـسـاخـهـ لـهـ. وإذا عـثـرـ علىـ نـسـخـ يـعـوزـهاـ سـلـسلـةـ النـسـبـ فـتـرـتـيـبـهاـ يـرـجـعـ إـلـىـ حـذـاقـةـ الـمـحـقـقـ وـخـبـرـتـهـ وـالـمـأـخـوذـ بـهـ أـنـ تـقـدـمـ النـسـخـةـ الـتـيـ تـحـمـلـ تـارـيـخـاـ مـتـقـدـماـ وـتـلـيـهـ الـتـيـ تـحـمـلـ خـطـوـطـ الـعـلـمـاءـ وـتـهـمـيـشـاتـهـمـ. وـرـبـماـ يـنـقـلـ أـحـدـ النـاسـخـينـ التـارـيـخـ المـثـبـتـ فـيـ نـهـاـيـةـ النـسـخـةـ غـيرـ مـنـتـبـهـ لـلـفـارـقـ الـزـمـنـيـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ النـاسـخـ الـأـوـلـ فـيـتـصـورـ الـفـاحـصـ أـنـهـ نـسـخـةـ قـدـيـمةـ. فـعـلـيـ الـمـحـقـقـ الـثـبـتـ أـنـ يـقـفـ مـعـ الـخـطـ وـالـحـبـرـ وـقـفـةـ طـوـيـلـةـ. لـأـنـ لـكـلـ عـصـرـ خـطاـ وـحـبـراـ مـعـيـنـيـنـ. وـأـنـ بـيـنـ اـسـمـ النـاسـخـ الـأـوـلـ وـاسـمـ النـاسـخـ الثـانـيـ وـهـوـ يـحـقـقـ فـيـ تـارـيـخـ الـمـخـطـوـطـةـ وـإـذـ اـتـعـدـتـ النـسـخـ فـيـجـبـ تـصـنـيـفـهـاـ إـلـىـ فـنـاتـ مـتـشـابـهـةـ ثـمـ يـشـارـ إـلـىـ اـخـلـافـ كـلـ فـنـةـ

يُعمل فكره لكي يظفر بنصوص من هذا الكتاب ضمنت في كتاب آخر وأن يُلمّ بأسلوب المؤلف وأسماء ما ألف من الكتب ليصل إلى عنوان الكتاب الحقيقي.

ويقال مثل هذا في تحقيق اسم المؤلف فيطلب الانتباه والحذر. فقد يجد المحقق اسم مؤلف على غلاف المخطوطة. ولكن الواقع أنه ليس له يد في تاليفه ولا علم له به وأحياناً لا يجد اسم المؤلف فيهتدى إليه بمراجعة فهارس المكتبات أو كتب المؤلفين وكتب الترجم مثل معجم ياقوت. وربما تومئ المصطلحات في الكتاب إلى أنها من عصر المؤلف. وقد تتعرض أسماء المؤلفين إلى التحرير والتصحيف. فالنصري قد يصحف بالبصري والحسن بالحسين فعلى المحقق ملاحظة المادة العلمية فقد يجد بعضاً من الكتاب مضمنة في كتب أخرى فعندها يستطيع أن يقطع باسم الكتاب ونسبته لصاحبه.

أما تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه فهي مهمة صعبة أيضاً وليس أدلة على ذلك مما أثير من شكوك حول كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي. وكيف أن الخليل وضع منهجه فقط والعلماء الذين جاءوا من بعده هم الذين حشوه ومنهم تلميذه الليث بن رافع بن نصر ابن سيار^(١).

واستدل على خطأ نسبته للخليل ما وجد في سنته أن مؤلفه يروي عن الأصمسي وابن الأعرابي وهما من الجيل التالي للخليل. فهل يعقل أن يروي متقدماً عن متاخر. ولا بد من الإشارة إلى كتاب "تنبيه الملوك والمكائد" الذي ينسب إلى الجاحظ خطأ، إذ إن القاريء يجد في أبوابه باب "نكت من مكائد كافور الأخشيدى"

بقصد الرواج والتغطية ومثل هذا يقال بتاكل المخطوطة وأثار العث فيها ليكون دليلاً على صحتها كما يفعل تجار المخطوطات، من ذلك مارواه الققطي أن ابن سينا صنع ثلاثة كتب: أحدها على طريقة ابن العميد، والثاني على طريقة الصاحب، والثالث على طريقة الصابى وأمر بتجليدها وأخلاق جلدها التجوز لذلك على أبي المنصور الجبان^(٢). ولا ننسى خاتمة الكتاب وعنوانه. فقد نجد اسم الناسخ وتاريخ النسخ وسلسل النسخة وما يحمله من إجازات وتمليكات وقراءات وتعليقات.

الحقيقة / غایله و منهجه

غاية التحقيق هو تقديم المخطوط^(٣) صحيحاً كما وضعه مؤلفه دون شرحه ودون ملء الحواشى بالشروط والزيادات. من شرح للافاظ وترجمات للأعلام ونقل من كتب مطبوعة وتعليق على ما قاله المؤلف. كل ذلك بصورة واسعة مملة. قد تشغل القارئ عن النص نفسه.

ويقتضي عمل التحقيق صحة عنوان الكتاب واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه. والعثور على نسخة المؤلف ييسر لنا الأمر على أن يكون هناك خير لقراءتها فقد تكون النقط مهمة وأشارات كتابية ليس بمقدورنا فهمها إلا بمران ومارسة عالم في الفن الذي وضع على نمطه الكتاب وعلى أن يكون من ذوي التمرس بالخط القديم.

وتحقيق العنوان ليس سهلاً إذ أن بعض المخطوطات تكون خالية من العنوان إما لفقدان الورقة الأولى وإما لطمس فيه. أو ان العنوان المثبت يخالف الحقيقة بداعي التزييف أو جهل من وقعت النسخة بيده فأثبتعليها عنواناً لا يطابق الحقيقة. فحري بالمحقق أن

القصد من تحقيق النص، كما تقدم، هو ابرازه صحيحاً كما وضعه المؤلف لا ملؤه بالشروح والزيادات والنقول من كتب مطبوعة تشغل القارئ عن النص ويضيع في أمور جانبية.

وفي الوقت الحالي بدأ المحققون يصححون الخطأ في المتن ويشيرون إلى ذلك في الحاشية وهذا معناه عدم التقيد بالنص وبنقله بسامانة. لأن الواجب أن يصحح الخطأ في الحاشية إلا إذا مسّت القرآن الكريم فإن الصحيح يثبت في المتن. فالآلية الكريمة مثلاً "حتى إذا أتوا على وادي النمل" ^(١) جاءت في كتاب الحيوان للجاحظ معرفة هكذا "فَلَمَّا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ" وجاء في الكتاب المذكور أيضاً قوله تعالى "عَلَى أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقٌّ" ^(٢) جاء محرفاً "عَلَى أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقٌّ" فارسل معي بنى إسرائيل ^(٣) جاء محرفاً "عَلَى أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقٌّ" ^(٤).

صفات لابد أن تتوافق في المحقق

ينبغي للمحقق في علم من العلوم أو فن من الفنون أو ضرب من الأدب أن يكون عالماً به وعارفاً بمصطلحاته ومطلاً على أنواع الكتابة وأطوارها في معرض التاريخ وخبراً بالكافر ^(٥) وأنواعه فضلاً عن المعرفة باللغة عموماً. كذلك يحتاج إلى مران وخبرة خاصة بالمخطوطات القديمة التي يكثر فيها تداخل الحروف بعضها ببعض ولا تطرد فيها النقط والإعجام. أو المخطوطات التي كتبت بخط أندلسي أو مغربي.

وشيء مهم جداً هو الإهاطة بالموضوع الذي يعالج المخطوط ليتمكن من فهم النص ويتجنب الخطأ وذلك بقراءة كتب كثيرة تعالج الموضوع نفسه ليكون على

الذي عاش ما بين سنة ٢٩٢ - ٣٥٧ " وهذا التاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرين السنين وكذلك كتاب "توجيه إعراب أبيات ملحة الإعراب" الذي ينسب خطأ للرماني أيضاً وهو لأبي الحسن الفارقي.. ومثله يحدث في كثير من عناوين الكتب القديمة.

الحواشى

بعد المستشرقون صنع الحواشى فنا خاصاً يتطلب مهارة وعلماً لأن تحقيق النص أمانة مقدسة توجّب الإنصاف وتلزم المحقق ألا يداري ولا يحابي وأن يقطع بالحقيقة ويجزم بها بعد أن يثبت منها. وقد يسأل المحققون طرقاً مختلفة في ثبات الحواشى. فمنهم من يجعل فيها اختلاف النسخ ويفرد للتعليقات ملتحق في آخر الكتاب وعلى هذا كثير من المستشرقين الفرنسيين ^(٦). وفريق ثان يجعل في الحواشى اختلاف النسخ. ثم التعليقات يفصل بينهما خط وعلى هذا بعض المستشرقين الألمان وفريق ثالث يخلط بينهما. وفريق رابع لا يثبت إلا النص ويجعل اختلاف الروايات مع التعليقات في آخر الكتاب. ومن المحققين من يغالى في الشرح والتعليق والتفسير ويبدو هذا واضحاً في الكتب التي حققت في جمهورية مصر العربية.

والأفضل في هذا المجال أن تقتصر الحواشى على اختلاف النسخ وذكر مصادر النص المذكورة أو التي يهتم بها المحقق. لأن ذكرها هو توكيده لصحة النص. ثم تذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والشواهد بعد أن يشار إلى مصدرها في الدواوين إذا أمكن واختلاف روایاتها في كتب الأدب. أما الأعلام المشهورون فلا داعي لأن يترجم لهم في الحاشية لأن

القرآن الكريم فرأى حمزة الزيات القارئ يوماً وأبوه يسمع: ألم ذلك الكتاب لازيت فيه^(٢٠)، فقال أبوه: دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال^(٢١) ونتيجة للتصحيف والتحريف ظهر المؤلف والمختلف حيث اندفع العلماء يؤلفون التأليف في أسماء القبائل كما فعل محمد بن حبيب الزيات المتوفى "٢١٥" هـ وفي أسماء القراء كما فعل الحسن بن بشر الأدمي المتوفى "٣٠٧" هـ وكذلك في أسماء الرجال.

الأمانة العلمية في التحقيق

إن الأمانة العلمية تتطلب مراعاة ماجاء في النسخة الأم مراعاة تامة والتقييد بها. والخروج على ذلك لا يسمح به ولا يخدم العلم حتى لو تعلل بتحسين الأسلوب أو العبارة وليس من واجب المحقق التبديل والتغيير في متن المخطوطة أبداً. وربما يجنب بعض المحققين إلى حذف بعض ما يحذف في المخطوطة لكونه غير ذي فائدة كما يحسب. ويذهب الآخرون إلى إضافة فقر وآراء قد يرون فيها فائدة كما يتصورون وهذا خطأ وجنه عن أداء الأمانة كاملة. فالنسخة الأم يجب أن تتحقق كاملة ويركز إليها دون أن تمس بمتغير وتبديل أو زيادة أو حذف. ويجوز للمحقق إذا أتى بايضاح أو تعليق أن يضعه بين قوسين وأن يشير في الحاشية موضحاً ذلك فهو حين يجد مثلاً "بني الاسلام خمس" فلا ضير من إضافة "على" وإذا وجد حرفاً أو كلمة مكررة فلا بأس من حذفها

مكملاً للتحقيق

إذا أكمل المخطوط تحقيقاً وأصبح جاهزاً للطبع فلا بد أن تراعى بعض أمور ذات فائدة كبيرة.

بينة من التصحيفات عموماً وبتصحيف الكلمات خصوصاً كتصحيف الكلمات المتشابهة في الخط المختلفة في التلفظ لاختلاف إعجامها فمن ذلك:
 ١- بـث الخبر. ونـثـة ونـثـاه. فـهـذـهـ الـكـلـمـاتـ فيـ مـعـانـيـهـاـ بعضـ الـأـخـلـافـ معـ تـقـارـيـبـهـاـ فيـ الـمـعـنـىـ الـعـامـ وـ الـصـوـرـةـ فيـنـبـغـيـ لـمـحـقـقـ تـمـيـزـ بـعـضـهـاـ عـنـ بـعـضـ،ـ وـكـذـكـ:
 ٢- فـرـعـ،ـ وـقـرـعـ.
 ٣- وـشـعـثـ،ـ وـشـعـبـ،ـ وـعـصـبـ،ـ وـغـضـبـ.
 ٤- وـغـصـنـ،ـ وـغـصـنـ،ـ وـمـقـارـفـ،ـ وـمـقـارـبـةـ.

ولا بد من الاهتمام بالإعجم، لأن الكثير من الكتب العتيقة القديمة الزمان ماليس فيه إعجم أصلاً. وقد مضى زمان طويل على الخلافة العباسية كانت تمنع فيه إعجم كتبها والكتب المرسل بها إليها كما ذكر أبو الحسين هلال بن الصابي في "رسوم دار الخلافة"^(٢٢) المحفوظة نسخته الخطية في دار الكتب، "الجامع الأزهر" قال الدكتور مصطفى جواد والسبب في ذلك، انهن كانوا يعدون الاعجم من عادات الأعجم والسبب الآخر هو أن من الكتاب من كانوا يتکاسلون عن إعجم ما يستوجبه اعتماداً على فهم القاريء، ولما كان اهمال الحروف مدعاه إلى الوهم والغلط وجب التأني في إعجم الحروف خوفاً من أن يكون طلب الإصلاح سبباً للوقوع في خطأ آخر^(٢٣). ومن أوهام الإعجم الفاحشة هذا النص "روى شيخي عن يحيى عن سفيان الثوري" كتب هكذا "روى شختي عن نجتى عن شفتان اليلوري" ناهيك عن التصحيف والتحريف الناتجين عن سوء القراءة أو الفهم، والتصحيف أو التحريف قديم في تاريخه ولم يسلم من الوقع فيه إلا القليل من أئمة اللغة والحديث، وفي

والطوائف والقبائل والفرق. وأغلب الفهارس تكون على حسب حروف المعجم أي حروف الألف باء على ترتيبها المعهود. ومن المحققين من يفتئن افتئاناً في وضع الفهارس كما فعل الأب أنس تاس الكرملي في الجزء الثامن من "كتاب الأكيليل في أخبار اليمن" للحسن بن أحمد الحمداني. فقد طبع الكتاب بمطبعة السريان الكاثوليك ببغداد سنة ١٩٣١م ووضع له فهرس أولها للفصول وثانيها لقواعد العربية، وثالثها للمعمرين. والرابع للشعراء والخامس لقوافي. والسادس للمحدثين والرواية. والسابع لل عمران. والثامن للسدود. والتاسع للمدافن والقبور. والعشر للجبال. والحادي عشر للحصون والقلاع. والثاني عشر للقصور والثالث عشر للألفاظ الغريبة. والرابع عشر للتأليف والمطبوعات. والخامس عشر للألفاظ الخاصة بالمؤلف وسماته مفاتيح المغلق. والسادس عشر للأمثال والأقوال المأثورة والسابع عشر للمواضيع على اختلاف أنواعها. والثامن عشر لأسماء الرجال. وقد استغرقت هذه الفهارس "١٥٧" صفحة مطبوعة بالحروف الصغيرة مع أن نص الكتاب متنان وست وتسعة وعشرون صفحة بالحروف الكبيرة. قال المرحوم مصطفى جواد^(٢٠). معلقاً على ذلك: الفهارس المألوفة هي فهرس أعلام الناس وهم الرجال والنساء والقبائل والطوائف. وفهرس الأمكنة وفيها المدن والبلدان والقرى. وتلحق بها الأنهر والبحار والجبال. وفهرس العمران وفيها تنبيةات على دقائق الفوائد الواردة في الكتاب. وفهرس الشعر إن كان الكتاب أدبياً وفهرس الكتب الواردة في

١- الغنية بتقديم النص ووصف مخطوطاته وذلك بتعريف المؤلف بدراسة ضافية^(٢١) عنه وعن أسرته ونشأته وثقافته وعلاقته بأهل عصره والإهاطة بعصره سياسياً واجتماعياً وثقافياً للتعرف على بيئته ومقدار تأثيره بها والحياة التي عاشها وأثر الأحوال السياسية والاجتماعية في فكره وعواطفه، مع التعريف بالكتاب وموضوعه ومقدار حجمه العلمي بالنسبة إلى الكتب المماثلة له في الحقبة نفسها.

٢- الغنية بالطبعات حين يكون الكتاب مجهزاً للطبع فلا بد من التأكيد من الخط فيجب أن يكون واضحاً قد كملت فيه الحواشي والفقر مع اكتمال علامات الترقيم التي تفصل بين الجمل أو تدل على تعجب أو استفهام أو علامات تنسيص حيث يوضع بينها ما اقتبس من آيات قرانية أو أحاديث نبوية أو جمل من كتاب آخر أو شعر. ومن ذلك الأقواس مع عنابة بالتنقيط علمًا بأن لكل عالم طريقته في ذلك. وقد سار المحدثون على تنظيم الحواشي في أسفل الصفحة بحرف يختلف عن خط الكتاب بعد وضعها على جانب المخطوطة كما كان يصنعه الأقدمون أو تنظم في آخر الكتاب، وطريقة تنظيم الحواشي في أسفل الصفحة أسهل للقارئ وأكثر فائدة^(٢٢).

٣- الفهارس^(٢٣): إن القارئ ليشعر بصعوبة الرجوع إلى الكتب القديمة للوقوف على ما ضمته بين صفحاتها من مواد. وأصبحنا بحاجة ملحة إلى الوقت والاستفادة منه. وهذه الحاجة دفعت المحققين إلى الإتيان بالفهارس التي تشير إلى موقع الباب والفصل وأجزائه برقم الصفحة. وكذلك فهارس لأسماء الناس والأمكنة والأجيال

تحدث. والعيب كل العيب أن ينتبه المحقق آخر الأمر إلى الخطأ ولا يصححه.

وبعد فإن تحقيق النصوص عملية فنية ودقيقة –

محفوفة بالمخاطر تحتاج إلى صبر ومتانة، وإلى علم وسعة اطلاع ومعرفة بمعظم المخطوطات وليس صححها أن التحقيق عمل آلي ليس فيه جهد يذكر. فنشر كتاب قديم كما يريد مؤلفه أو قريب منه أمر في غاية الصعوبة. وقد انتبه الغربيون المستشرقون إلى هذه الناحية وبذلوا جهوداً مضنية في سبيل إخراج الكثير من كتب التراث العربي والإسلامي وكان الكثير من هؤلاء في غاية الدقة والأمانة العلمية خلד التاريخ اسماءهم بعض النظر عن غایاتهم في ذلك.

نص الكتاب لأنها مراجع المؤلف تأييداً أو تفنيداً. ثم فهارس لكل كتاب كما يستوجبه موضوعه. والاجتهد جائز في مثل هذا الأمر.

٤- الاستدراك والتذليل^(٣): مهما كان المحقق منتبهاً ومتهيباً من نقص قد يكون في تحقيقه فإنه لا محالة سيجد نفسه أمام نقص فقد يحدث في مخطوط من المخطوطات استدراك من النساخ ومن العلماء الفارئين له أو المقابلين بين نسخه العتيقة ونسخته الجديدة. وقد تكون الاستدراكات متخفية بالبلي أو الالصاق أو القطع. فينبغي للمحقق أن ينتبه لذلك حق الانتباه ولا يفرط في شيء منه. وقد يلجأ إلى استدراك الخطأ وتذليل تصحيحة في آخر الكتاب. ففيه مجال ليُصحح الخطأ وسد كل خلة

الهوامش

- ١- نظرة جديدة إلى التراث: ١٢
 - ٢- نظرة جديدة إلى التراث: ١٦
 - ٣- مفهوم الشعر - المقدمة. د. جابر عصفور
 - ٤- نظرة جديدة: ١٢
 - ٥- التحقيق العلمي وأثره في احياء التراث د. رشيد العبيدي / ٢٠
 - ٦- نظرة جديدة إلى التراث: ٣٠
 - ٧- نظرة جديدة إلى التراث: ٣٠
 - ٨- نظرة جديدة إلى التراث: ٩
 - ٩- الفهرست: ١١٣
 - ١٠- التنبيه والأشراف ص / ٣٤٧
 - ١١- أنظر مقدمة أمالى الزجاجى ص: ١٦
 - ١٢- القسطنطيني ٤١/١
 - ١٣- الفهرست: ٩٦
 - ١٤- انظر محاضرات د. مصطفى جواد على كلية الدراسات العليا عام ١٩٦٣
 - ١٥- أخبار العلماء: ١٧٥ ومحاضرات ألقاها الاستاذ نوري الالوسي على طلبة الصف الرابع كلية التربية عام ١٩٧٦
 - ١٦- انظر قواعد تحقيق المخطوطات - صلاح المنجد: ١٠
 - ١٧- مجلة المجمع المصري العدد ١٠١ ص: ٨ والكتاب حقق الآن من قبل د. مهدي المخزومي د. ابراهيم السامرائي
- ١- انظر قواعد تحقيق المخطوطات - المنجد: ١٦
- ٢- النمل: ١٨
- ٣- الاعراف: ١٠٥
- ٤- انظر كتاب الحيوان ٤/٤ - ١٥٩ - ١٦٠
- ٥- محاضرات للدكتور مصطفى جواد عام ١٩٦٣
- ٦- محاضرات للاستاذ نوري الالوسي عام ١٩٧٦
- ٧- انظر محاضرات الدكتور مصطفى عام ١٩٦٣
- ٨- المصدر السابق نفسه
- ٩- البقرة: ٣. والآية... ذلك الكتاب لاري فيه
- ١٠- العسكري: ٢١
- ١١- انظر براجستر اسر: ١١٦
- ١٢- انظر براجستر اسر: ١١٤، وعبد السلام هارون: ١١٦
- ١٣- محاضرات للاستاذ د. نوري الالوسي عام ١٩٧٦
- ١٤- انظر الباحث الحديث لأحمد شاكر: ١٥١
- ١٥- انظر براجستر اسر: ١١٦
- ١٦- انظر براجستر اسر: ١١٦
- ١٧- محاضرات القاهما عام ١٩١٣ على طلاب الدراسات العليا
- ١٨- انظر: براجستر اسر: ١١٦. وعبد السلام هارون ٧٢، ٩٧.

* مُشاشه القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي

اطنوفى سنة ١٤٨٩هـ

. القسم الأول .

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد حسين آل ياسين

كلية الأدب . جامعة بغداد

يفرض علىَّ أن أتوجه بالشكر إلى رئاسة جامعة بغداد وعمادة كلية الآداب وريادة قسم اللغة العربية فيها، على مالمسته من حسن الظن ووفرة النفع، ياتحة هذه الفسحة التي قلما تباح في زمن مشحون بالحركة ومُتقل بالعمل.

وكلَّي أملَّ أن يستقبل العلماء من الأساتذة والباحثين هذه النشرة بالرضا والنقد لأسعين بما على ما عقدت العزم عليه من العودة إلى الكتاب، حين يتسم الحظُّ فاقف على نسخة أخرى منه

ويُعزِّل الوقوفُ عليها كاملاً مع ما بذلك في سبيل ذلك من المخاولة.

فيإن أكُن قدَّمتُ بهذا الكتاب ما يخدم القرآن العظيم والعربية الكريمة، ويسعدُني مكتبتهما نقها طال انتظارها لسديه، فذلك مأرجوة وأقناه، وإنَّ فهو جهدُ المقلَّ، الذي لم يدخلُ بين يدي بمحنة وسعافٍ وقهقحة طائفته.

وآخر دعوانا أنَّ الحمدُ لله رب العالمين، فهو الموفق للصواب والمسدَّد للخير، وإله نعمَ المولى ونعمَّ التصر.

المؤلف:

د. عصبة:

ائسمتُ الحقيقة الممدةُ بين ولادة الكسائي سنة ١١٩هـ ووفاته سنة ١٤٨٩هـ بتنوع الأحداث وكثيرها، فقد شهدت في الجانب

حمدَ الله على ما منَّ وأنعمَ، وصلَّى الله على محمد سيد المرسلين، وآلَ الطيبين الطاهرين، وصحبه المايمين المتوجهين وسلم. أمَّا بعدُ: فشاءت إرادةُ الله تعالى أن تحفظ — فيما تحفظ من كنوز تراثنا الأصيل — كتاب (مشاشه القرآن) للكسائي، وأن تصونه من عوادي الدهر، وأن لا يضيع كما ضاع الجمُّ الغفيرُ من آثار أسلامنا الحالدين، بسبب تداعي المهمة، وغياب الحرص، واستمرار التمزق والتشتُّت.

وشاءت هذه الإرادة أن يكون لي شرفُ نفض الغبار عنِّيه، وإخراجه سفراً نفيساً من الظلمات إلى النور، بدراساته وتحقيقه، مشاركةً في خدمة القرآن دستور الأمة وهذاها على درب خلاصها اللالحب، ووفاءً لأهل اللغة التي تشرفت بالقرآن، الذين أقساموا من أنفسهم منارات مشعةً ترشد أجيال الدارسين إلى آفاقها الرحبة.

ولا أريد هذه المقدمة أن تسبق الدراسة والنص إلى القاريء، فتكلَّمة على المؤلف والكتاب وقيمهما العلمية، وفيهما ما يغطيه عن كلَّ كلام مقتضبٍ، هو في أحسن فروضه إيجازٌ لما سجَّدَه مفصلاً فيهما.

وكان التفرغ العلمي في السنة الدراسية ١٩٩٢/١٩٩١ فرصة ثمينةً لانصراف إلى درس هذا الكتاب والانكباب على تحقيقه، مما

* سبق للكتاب أنْ حقَّقه ونشره في طرابلس الغرب أواسط التسعينيات الدكتور صبيح حمود التميمي، وآثرنا نشره لسيين: أولهما الدراسة التي قدم بها الأستاذ الدكتور محمد آل ياسين للكتاب، وثانيهما أنه سبق التميمي في تحقيقه لكنه لم ينشره يوم فرغ منه. (المورد)

العربية^(٢). وقام ماسر جوبي أيام مروان بتفسير كتاب آهُرُونَ القس بن أعين بالعربية^(٣).

وفي العصر العباسي انتظمت حركة الترجمة وتوسعت، وبرز عدد كبير من النقلة والمرجحين كابن المقفع الذي ترجم كتب أرسطو طاليس المنطقة الثلاثة^(٤)، والحجاج بن مطر الذي نقل كتاب إقليدس في الهندسة نقلين، الأول يعرف بالماروني والثاني يعرف بالماموني^(٥)، وحنين بن إسحاق الذي كان يغنى بشعر هوميروس في شوارع بغداد على طريقة اليونانيين، ويأخذ من المأمون بوزن كل كتاب يترجمه ذهباً^(٦). وغيرهم كثير. بحيث استطاع العرب بمحض قرء وبعض قرون أن ينقلوا معظم ما كان معروفاً في مختلف العلوم كالفلسفة والطب والجروم والرياضيات والأدبيات عن سائر الأمم

المشتملة مما لم يستطع الرومان نقله إلى لغتهم في قرون طويلة^(٧).

وأدى ذلك إلى أن تأثر العلوم الإسلامية بهذا الوافد من المنهج، وتنطبع بطابعه، وخصوصاً ما كان يضعه علماء الحاضرين العلميين البصرة والكوفة، ولم يكن هذا التأثر موجوداً في مؤلفات العرب قبل عصر الترجمة، وكانت كتب الفقه ككتاب الأمم للشافعي وكتب التفاسير كالقى وضعها المعتزلة، والشعر كقصائد أبي نواس وبشار وبشر بن المعتمر متأثرة بالفلك الفلسفى والمناهج المنطقية، بل والمصطلحات الجديدة التي نقلها النقلة فيما ترجموه من الكتب، ففيها طابع الجدل وروح التقسيم والتفرع ومناهج الأصول الفرضيات^(٨).

وكان وراء تطور العلم وعمق الدرس وانتشار الثقافة، سوى تشجيع ولاة الأمر وازدهار صناعة الورق، القرآن الكريم الذي كان الدافع إلى نشأة الدراسات المختلفة المبكرة، وظهور العلوم الإسلامية، حتى قيل إنَّ القرآن الكريم كان سبباً في ظهور ثلاثة عشر وثلاثمائة علم^(٩). منها علوم القرآن، غريبه وتفسيره وتأويله ومعانيه وقراءاته ومتناشهه ووقفه وابتدائه، وعلم مصطلح الحديث وجمعه وتدوينه الذي نما وازدهر في أوائل القرن الثاني، وعلم التاريخ وكتابته، وقد اتسع ليتجاوز السيرة النبوية إلى تاريخ العرب في

السياسي منها تغيراً جذرياً كبيراً في انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين وما انطوى عليه العهدان من الحرروب والفتنة والمنازعات، مما أفضلت في المصادر التاريخية إفادة لا مزيد عليها، فلم تترك شاردة ولا واردة إلا وفضلت فيها القول^(١٠)، وإعادة الكلام على هذه الأمور ليست مجدها حيث لا جديد فيها.

ومثل ذلك ما كان في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، فقد شهد العصر من التنوع في عناصر المجتمع والتفاوت في سلوك أفراده وأحوال خزائن المال والزراعة والصناعة والتجارة ما أفردت له الكتب والفصوص وكرست الكرايس ودونت الرسائل، فلم يعد من اللائق التكرار، ذلك أن المنهج يفرض على أن اكتفي بما ذكر في المصادر من تفاصيل هذا الجانب^(١١).

أما الجانب الثقافي والعلمي من العصر الذي رافق الكسائي واحتاط به، فكان تراثاً بالعلماء وتأليفهم والأدباء ونتاجهم، وكانت اللغة، وهي ظاهرة من ظواهر المجتمع في كل حين، تمثل أهم عناصره وقد أصابها مأصحاب غيرها من نواحي الحياة من التأثير والتغيير، ولم يقتصر على لغة التخاطب وحدها، بل تجاوزها إلى لغة الكتاب والشعراء، فظهر حشد هائل من الألفاظ الأجنبية يتكلّم بها الناس ويكتبون وينشدون^(١٢)، سوى ما أصاب أبنية اللغة وأصواتها وللاملاقاً من الانحراف، مما دعا اللغويين الغيارى إلى وضع كتبهم في الصحيح، مثل ((ما تلعن فيه العامة)) للكسائي^(١٣).

وذلك أن الدولة الإسلامية، حين توسيع رقعتها بالفتح، صادفت في المواطن الجديدة أنواعاً من اللغات والثقافات والحضارات، فكان لأبدٍ من التلاقي ولا مفرٍ من التأثير والتأثير، فانفتح الفكر الإسلامي على هذه الثقافات بهضمها ويعتملها، فيعني بما ويعمق. وكان دعم رجال الحكم وتشجيعهم على هذا التلاقي والانفتاح سبباً رئيساً في نجاح هذه الهمة التي تخلت، أول ما تخلت، بالنقل والترجمة عن اللغات الأخرى؛ وكان أول من تصدّى لذلك خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ) حين أمر الفلسفه اليونانيين المصريين بترجمة كتب الصنعة ((الكيمياء)) من اليونانية والقبطية إلى

والكساني من أبرز أعلامه في القراءة واللغة وال نحو.

٢— كُنيَّةُ واسْمٍ وَنِسْبَةٍ ولَقَبٍ:

هو أبو الحسن، أو أبو عبد الله^(١)، أو أبو الفتح^(٢)، علي بن حزرة بن عبد الله بن همن^(٣)، أو عثمان، أو هران^(٤)، بن فیروز، مولى بني أسد، الكساني.

والراجح من كُناةِ الأولى؛ لأن إجماع المترجمين له عليها قائم، وأنه إن ذُكر مقورونا بكنيته، ذُكرت، ولأنها كنية من اسمه على غالباً عند العرب وغيرهم من المسلمين والراوح في اسم جده، الأولى أيضاً، لأن المصادر مجتمعة عليه، وأنه اسم فارسي شائع^(٥). يشير إلى أصل الكساني، والفارسية لا تعرف صوت الثاء، وتفرّع منه في أعلامها؛ ويمكن أن نتصور كيف أصاب التحريريف بهمن فكتب عثمان على طريقة إسحق، ثم عثمان، أو كيف حرف بهمن إلى بهران، أول الأمر، ثم إلى عثمان.

أما لقبه فقد ضبطه ابن خلگان بـكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة^(٦)؛ واحتلت المصادر في سبب تلقيبه به، فمنها ما روى أنه كان في حداثته يضع الكساء أو يبيع الأكسية فلقب بالكساني^(٧)، ومنها أنه كان من قرية يقال لها ((باكسايا)) بضم الكاف وبين الأنفين ياء، بلدة قرب البنديجين وبادرايا بين بغداد وواسط^(٨)، ومنها أنه سُئل عن لقبه فقال: لأن أحترم في كساء^(٩)، ومنها أنه جلس إلى حزرة الزيارات وعليه كساء جيد، ثم اتفقده حزرة فسأل عنه قائلاً: ما صنع صاحب الكساء، فسمى الكساني^(١٠)، ومنها أن الناس كانوا يحضورون مجلس معاذ المرأة بالخوز الفاخرة، ويحضر هو بالكساء الرؤزباري، فقيل له الكساني^(١١).

ومن بجمل هذه الروايات يرجح أنه لقب بالكساني لظهوره بين الناس بالكساء دائمًا، وحرصه على ارتداه حتى إنه أحترم فيه، فاصبح علماً عليه فلقب به، ولا ينافق ذلك أنه كان يبيع الكساء أو يصنعه، حرفة في حداثته؛ بل لا يعارض معه من الروايات المذكورة في سبب التلقيب، إلا نسبته إلى ((باكسايا))، وهي مردودةً بأن المنسوب إليها باكسائي لا كساني، بدليل أنه تسب

الجاهلية وذوهم، وعلوم اللغة جمع مفرداتها ودراسة لهجتها المشتركة منها والتراصف والمترادف والمعرب، والأصوات، والأبنية الدلالات وعلم النحو، والصرف، وغيرها كثيرة^(١٢).

ونشطت الرواية عن الأعراب في هذا العصر، فكان العلماء يذهبون إلى البداية ليأخذوا عن أهلها اللغة ويسمعون من أقواهم الشاعر، يضمن فيها أعواماً يخالفون الأعراب ويدرسون عنهم ويحفظون؛ وكان الشافعي من هؤلاء الذين رحلوا إلى البداية وأخذ عنه الأصمعي وغيره من الأئمة^(١٣). وكان الأعراب يأتون إلى الحاضر في رحلة معاكسة، فيسمع منهم العلماء ويروي عنهم الرواية. وكانت المختارات الشعرية كالمفضليات والأصمعيات أول صور الجمع والتاليف قبل أن تنظم الدواوين والأشعار المصنوعة؛ والكوفة — بيئة الكساني الخاصة — من أوفر هذه الحاضر حظاً بقدم الأعراب وأكثرها ازدهاراً بالشعراء ورواتهم، حتى فاقت البصرة في ذلك كثيراً^(١٤)، فقد كان في الكوفة مجموعة من الشعراء ورواة الشعر كأبي زيد الطائي والكميت بن زيد وحماد الرواية^(١٥)، وكان فيها أئمة الفقه، فقد احتضنت الإمام جعفر الصادق وأبا حيفة ومحمد بن الحسن الشيباني وأبا يوسف؛ وفيها شيخ القراءة والإقراء كعاصم بن أبي النجود وزر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وحزرة بن حبيب الرياط وغيرهم^(١٦). فكانت هؤلاء وغيرهم من أبرز الآباء الثقافية.

وفي هذا العصر أيضاً ظهرت المذاهب واضحة الفروق، وأخذ الناس ينحازون إلى أحدها، فقد اشتقت مدرسة الفقه إلى مدرسة أهل الحديث وعلى رأسها الإمام مالك في المدينة المنورة ومدرسة الرأي وعلى رأسها الإمام أبو حسنة في العراق، وظهر الخلاف العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة في اللغة والنحو، بعد الماظرة الزنجيرية المشهور بين سيويه (ت ١٨٠ هـ) والكساني، في مجلس سجي بن خالد البرمكي في بغداد، فمثل سيويه منهجه البصريين في الدرس ومثل الكساني منهجه الكوفيين^(١٧). وفي الجملة، عُدَّ هذا العصر من أخصب العصور العلمية والثقافية نوعاً ومقداراً^(١٨)؛

- إليها أبو محمد (أو أبو أحمد) العباس (أو عباس) بن عبد الله بن أبي عيسى الباكساني، ويلقب بالترفقي أيضاً، نزيل بغداد، من قراء القرآن وأئمة الحديث (ت ٢٦٨ هـ)^(٣)، والكساني أصلان من قرية يقال لها ((باجشا)) بين آوانا وزلة الطيرة^(٤).
- ولا يُستبعد أن تختلط أسماءه، - على شهرته - بأخبار غيره، فربما لقنه منها ما يخص آخرين من لقب بلقبه؛ فقد ذكرت كتب التراجم عدداً غير قليل من القراء والعلماء من لقب بالكساني، وفيهم من سبقه أو عاصره أو تأخر عنه، وهم:
- ١- الحجر بن الحارث، الملقب بدغفل الذهلي.
 - ٢- أبو محمد زهير بن ميمون الفرقاني النحوي الكوفي، أستاذ أبي جعفر الرواسي (ت ١٥٥ هـ).
 - ٣- عائذ بن أبي عائد، أحد القراءة عن حمزة الزيات.
 - ٤- إسحاعيل بن سعيد الشالنجي (ت ٢٣٠ أو ٢٤٦ هـ).
 - ٥- أبو إياس هارون بن علي بن حمزة الكوفي، ابن أبي الحسن الكساني.
 - ٦- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكريا المقربي النحوي، المعروف بالكساني الصغير (ت ٢٨٠ أو ٢٨٨ هـ).
 - ٧- أبو إسحاق ابراهيم بن الحسين بن علي بن مهران بن دازيل أو ديزيل الهمذاني الحافظ (ت ٢٨١ هـ).
 - ٨- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يعقوب المروزي.
 - ٩- أبو عبد الله أو أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن بن عمر المقربي (ت ٤٧٤ هـ).
 - ١٠- أبو منصور محمد بن أحمد بن بالوليه، تلميذ أبي العباس أحمد بن هارون الفقيه، وأستاذ أبي عبد الله الحافظ (ت ٣٧١ هـ).
 - ١١- أبو بكر محمد بن ابراهيم بن يحيى، من قدماء الأدباء بنيسابور (ت ٣٨٥ هـ).
 - ١٢- أبو محمد عبد العزيز محمد بن محمد بن عبد العزيز التميمي (ت ٣٨٨ هـ).
 - ١٣- أبو الحسن محمد الدين الشاعر، من أهل مرو (كان حيّاً
- وفيهم ثلاثة تشتراك كُناهم مع كية كسانينا، ولنا أن نتصور بعد ذلك، ذكر أحدهم بكنيته ولقبه في خبر من الأخبار ليتحدد كل شيء مع أبي الحسن الكساني، فينسب إلى هذا مالذاك، وإلى ذلك ما لهذا وكلهم من القراء النحاة، سوى ما يمكن أن يُستَبَّه تلقيب ابنه بالكساني من اللبس، فيما أهون ما يسقط من قلم الناسخ لفظه، ((ابن)) الكساني من التعبير، ليكون الكساني صاحب الخبر.
- ٣- نشأة وأخلاقه:**
- تذكرة المصادر التي تحدثت عن الكساني.. كما سبق أن أخطأنا فيه - أنه في الأصل من قرية يقال لها ((باجشا)) تقع بين آوانا والحظيرة، كانت بها وقعة المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أيام الرشيد^(٥). ومنها قدم الكوفة غالماً مع أسرته التي كانت تترافق من التكب، فأبوه صاحب دكان بالكوفة، وكان يرافق ولده في نزومه ومساعدته له كما يقول الكساني نفسه^(٦). وانتسب - وهو الأعمى - إلى بني أسد بالولاء، على عادة الأعاجم الوافدين إلى بلاد العرب من الانساب إلى القبائل العربية، وفيهم من العلماء خلق كثیر.
- وحفظ القرآن الكريم وهو صغير^(٧)، وكان أول أساتذته في القراءة حمزة بن حبيب الزيات^(٨)، وأتُخذ تعليم القرآن للصبيان حرفه له في أول عهده بالدرس^(٩)، حتى إذا وقع في اللحن مرّة في

ولا عجب في ذلك، فقد عرفت في الكسائي أخلاقاً عالية، فقد كان صادقاً لم يُؤثر عنه الكذب، وشهد له بذلك تلميذه الفراء والدوري^(٢٣). ومتواضاً بعيداً عن التكبر، ولا يأنف من قضاء حوائجه بنفسه^(٢٤)، وسخياً جيل الأخلاق^(٢٥). قال أبو زيد الأنصاري: ((ما جربت على الكسائي كذبة قط))^(٢٦)، وقال ابن جنبي: ((قال لنا أبو علي رحمة الله، يكاد يعرف صدق أبي الحسن ضرورةً، وذلك أنه كان مع الخليل في بلد واحد، فلم يحك عنه حرفاً واحداً، هذا إلى ما يُعرف عن عقل الكسائي وعفته ولطفه ونزاهته^(٢٧)). وقال الخطيب البغدادي: ((إن الكسائي كان عظيم القدر في دينه وفضله))^(٢٨) وقال يحيى بن معين: ((مارأيت بعيني هاتين اصدق لهجة من الكسائي))^(٢٩).

فهل يمكن للباحث المتصف، بعد هذه الصورة الناصعة التي رسّها له أصحابه وهم أعرف الناس به، أن يصدق ما تناول في كتب التراجم من أقوال تعطن في أخلاقه، فترمي بالمجانية والخلاعة والجاهرة بشرب النبيذ ومداعبة الغلمان ومخالطتهم^(٣٠)، وهل يفوت المختص تفسير ذلك بالحسد منه، أو بالتعصب عليه والإفتراء الخض. وإنما فكيف يسوغ أن يتخلى رجل حفظ القرآن وأقرائه، فصار أحد السبعة المشهورين، وروى عن الإمام الصادق وصاحب الفقهاء وأدب أولاد الخلفاء وتعلم الناس منه العلم والأدب، مثل مارمبي سنه العبث.

اما قصة تركه التزويع، التي روىها بعض كتب التراجم، فلا تصمد أمام البحث، وذلك أنها ملقة أريد منها أن تكون دعماً لما اتهم به من سجايا ردينة قرينة على صحتها، فقال ابن خلكان: ((إن الكسائي لم يكن له زوجة ولا جارية))^(٣١). وذكر ابن قبيطة أن الكسائي عوتب على ترك التزويع فقال: ((ووجدت مكافحة العزبة أيسراً من مكافحة العيال))^(٣٢)، في حين يروى ابن خلكان وغيره أنه أراد أن يتزوج فكتب إلى الرشيد يشكوا العزبة في أبيات من الشعر، فأمر له الرشيد بمال وجارية وخدم وبردون^(٣٣). وتزويج المصادر أن الكسائي طلب من الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١١هـ) بعد

جلس من مجالس أهل الفضل وُتُّه عليه^(٣٤)، قام من فوره إلى معاذ المرأة يلزم درسه، وحين أندى ما عنده قصد البصرة، فلقي أبي عمرو بن العلاء وخدمه نحو من سبعة عشر عاماً^(٣٥)، ولا تعارض بين هذا الخبر وماراوي عن تعلمه التحو على الكبر^(٣٦)، فصلته بأبي عمرو كما ينص صلة شاب بشيخ يخدمه ويفيد منه، حتى لقي الخليل بن أحمد وأعجب به، وسألته عن مصدر علمه فأرشده إلى بوادي الحجاز ونجد وقامة، فذهب الكسائي إلى هذه المواطن فسمع ودُون حتى أندى خمس عشرة قبيلة حبر سوي ما حفظ وعاد إلى البصرة، فوجد الخليل قد مات، وتصدر يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) مجلسه فانتظرا تأؤله يonus بالعلم وأجلسه مكانه^(٣٧).

وبعد عودته إلى الكوفة، وذيوع صيته فيها، اشتهر أمره، استقدمه المهدى إلى بغداد مؤذناً للرشيد، في قصة تذكرها المصادر في سب ذلك^(٣٨)، وتذكر أسباباً أخرى لهذا الاستقدام^(٣٩). وكان إلى جانب تأديبه أبناء الخلفاء في قصور العباسيين، يقرئ الناس القرآن في بغداد ويعلّمهم اللغة والتحو^(٤٠)، وحجّ مع المهدى، وصلّى بالناس في مسجد رسول الله (ص) ففهم، فأنكر عليه أهل المدينة هزة^(٤١).

وفي السنة الثالثة عشرة لخلافة الرشيد، أي في عام ١٨٢هـ استقدمه الرشيد لتأديب ولديه الأمين والمأمون^(٤٢)، وأنعم عليه مالاً كثيراً، وبمان أثر ذلك عليه، ممتلاً بلباسه الفاخر خاصة، فلفت الانظار وحرّك الألسن^(٤٣). وظل الكسائي على هذه الحال من تأديب الأمين والمأمون، وإقراء الناس القرآن، وتعليمهم اللغة والتحو، حتى ابتعلى بالبرّص الذي وسع وجهه ويديه، فأغافاه الرشيد من ملازمته ولديه، وجعله في جلساته وأخص موانيسيه وظل يلازمه حتى في أسفاره التي مات في أحدها^(٤٤).

وكان الرشيد ينزله من نفسه منزلة خاصة، ويتفقده ويسأله عنه، وكان من ثقته بفضلة، لا يرضي بغيره حكماً في المازاعات العلمية المثارة بين العلماء^(٤٥)، وحزن عليه يوم وفاته حزناً شديداً، وقال: دفنت الفقه والعربية بالرّي في يوم واحد^(٤٦)، ذلك أنه توفي يوم توفي الفقيه محمد بن الحسن الشبياني.

بعضًا^(٢٨) ، وقال ابن مجاهد: ((اختار الكساني من قراءة حزرة وقراءة غيره قراءة متوسطة، غير خارجة عن آثار من تقلُّم من الأئمة))^(٢٩). حتى أصبحت له قراءة تسمى باسمه، وعُدَّ في القراء السبعة، وصار ((واحد الناس في القرآن، يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويبلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يستمعون، حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته، وآخرون يتبعون مقاطعه ومبادئه، فيرسوها في ألواجهم وكتفهم))^(٣٠).

وروى العلماء قراءاته ووضعوا فيها كتبهم، فمِنْ رواها عنه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل^(٣١). ومن ألف فيها كتاباً تحمل عنوان ((قراءة الكساني)): أبو جعفر بن المغيرة، والمغيرة بن شبيب التميمي، وأبو مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي، وقيمة بن مهران، وأبو الحسن علي بن مُرْءَة النقاش، وأبو عيسى بكار بن أحد ابن بكار (ت ٣٥٢ هـ)، وأبو بكر أحد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ومثلها كتاب ((حروف الكساني)) لسورة ابن المبرد، وكتاب ((تقريب الثاني في قراءة الكساني)) لأبي حيyan الأندلسي^(٣٢) وغيرها كثير.

وكان صلة الكساني بالقرآن، وضبط قراءاته، قد دفعته إلى تعلم العربية، ليكون العلم بمحوها وصرفها عوناً له على القراءة الشريفة، وفهم معاني الكتاب الجيد، وتدبُّر أساليبه واستعمالاته، فكان لا بدًّ من ورود منهل العربية الصافي في الbadia، فكانت له فيها سياحات عاد منها بالرُّزْاد العلمي الشّرّ، فقد رحل إلى الbadia — رحلته الأولى — عندما كان يقرأ على حزرة الزيارات، وقد تحدث الكساني نفه عن هذه الرحلة فقال: ((حداني على النظر في التحسوأني كنت أقرأ على حزرة الزيارات فتمنَّ بي الحجّة ولا اتجه لها وما أدرني ما الجواب فيها، فأرجع إلى المختصر الذي عمله أهل الكوفة، وكان يسمى هذا المختصر (الفيميل)) فلا أتبيّن فيه حجّة، وكانت قبائل العرب متصلة بالكوفة فخرجت... فلما صرَّت إلى ظاهر الكوفة ولقيت القبائل جعلت أسلأهم فيخبروني مشافهةً ويشدوني

لقيه في بغداد أن يؤدب أولاده فأجابه إلى طلبه^(٣٣)، يؤيد ذلك أجمع المصادر على تسمية ابنه أبي إياس هارون بن علي بن حزرة الكساني، الذي أخذ القراءة عن أبيه، فعدَّ في تلاميذ الكساني^(٣٤).

ولم يكن فقيراً بحيث يمنعه فقره من تحمل مؤونة العيال، بل كان غنياً موسراً، فقد ((كان مع المهدى في حال رفيعة)) كما يقول الفراء^(٣٥). ودخل عليه اللحياني ((وهو جالس على كرسي ملوكيّ وعلىه بגדادية [أي ثياب فاخرة] وعلى رأسه بطيخية [أي قنسوة] وبيده كسرة سيف وهو يفتئها للحمام))^(٣٦). ووهب للأخفش سبعين ديناراً نظير قراءة كتاب سيبويه عليه^(٣٧)، وكان الكساني ((من وسم بالتعليم واكتسب مالاً كثيراً))^(٣٨)، وإنما أغراياً يسمى أبو الدينار يقوم على شؤونه^(٣٩). وإذا سُئل عن كل هذا قال: ((أدب من أدب السلطان لا يلثم ديناً ولا يدخل في بدعة ولا يخرج عن سنته))^(٤٠).

كُـ عـلـمـهـ وـادـبـهـ:

أثر عن الكساني أنه لم يُلْمَ بعلوم كثيرة، وأنّه معارف عصره، حق برع فيها، وأول ذلك القرآن، فقد كان عالماً بقراءاته ومعانيه، وطلب الآثار فيه والنحو^(٤١)، فكانت القراءة ((علمه وصناعته) ولم يجالس أحداً كان أضيق ولا أقوم منه)^(٤٢)، وقد ((قرأ عليه خلق كثير ببغداد وبالرقة وغيرها من البلاد))^(٤٣).

ذلك أن الكساني كان قد طُوّف في بلاد كثيرة، وإنما اقسام في بغداد في آخر وقت^(٤٤)، ومن هذه البلاد الشّام، وذكر المقاصدي انتشار قراءاته في هذا الإقليم فقال: ((وقد فرشت قراءة الكساني في الإقليم))^(٤٥)، كما فرشت في غيره كاصنهـ، وظلت تقرأ في الصلاة إلى نهاية القرن السابع.

ولم تكن للكساني في أول عهده قراءة خاصة، وإنما كان يقرأ بقراءة أستاذة حزرة بن حبيب الزيارات^(٤٦)، حتى وقعت له بسيها قصة مع المصلين، عندما حجَّ مع الرشيد، أو رثه الحرج والألم، ونهاه الرشيد عن مثل هذه القراءة ((ثم ترك الكساني كثيراً من قراءة حزرة))^(٤٧)، واستقلَّ بقراءة تغيّرها من قراءات سابقه، قال أبو عبيد: ((كان الكساني يتحمّل القراءات فأأخذ من قراءة حزرة بعض وترك

العربية المختلفة، بل وفي غير مسائل العربية من تفسير القرآن، والحديث، والشعر، والفقه والسنن. من ذلك ما روي من تفسيره ((المسمى)) بالذى تصمد الأمور إليه، واستشهاده على ذلك بالشعر^(١)، ورأيه في إدغام الراء في اللام وما اجتى به على ذلك^(٢)، ونوجيهه تسر اللام في (طعن) من قوله تعالى: (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) وذهب إلى أنها لغة ماتت في كثير من لغات العرب^(٣). ولا يبعد أن يكون الكسائي على معرفة بعض اللغات السامية أو غيرها، يؤيد ذلك قوله عن ((هيئت لك)) في قوله تعالى: (وغلقت الأبواب وقالت هيئت لك): ((إما حورانية وقعت إلى أهل الحجاز فتكلموا بها))^(٤).

وكان على علم وأفر بالعرض، فقد تلمذ للخليل مبدع هذا العلم، ونقلت عنه آراء في مصطلحاته^(٥)، كما رويت عنه توجيهات في الصَّرْف تدلُّ على إمساكه بناصيته، كالتى كانت في المسألة التي سأله عنها عيسى بن عمر^(٦)؛ ورأيه في أفعال فلاء، وحصر الباب فيه^(٧). وفي الفقه غالب أبي يوسف في مسألة ((أنت طالق أن دخلت الدار)) التي حدثت في مجلس الرشيد^(٨). وفي الحديث ذكر أنه روى عن الإمام جعفر الصادق، وأبي بكر بن عياش، وسلامان بن أرقم، والعزمي، وأبي غينية، كما روي عن الحديث وهو من الثقات فيه^(٩). وما يدل على طول باعه فيه ما نقل من حسن تفسيره له، كمثل تفسيره لقول النبي (ص): ((لا ترفع عصاك عن أهلك)) بأنَّ النبي أراد الأدب، أي لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد، ولم يرد العصا التي يُضرب بها^(١٠).

أما أدبه فقد احتفظت له المصادر بنصوص شيرية قليلة، كوصفه للخليل وعلمه، وجوابه للرشيد عندما سأله الأمين والمأمون، ومقططفات أخرى^(١١)، تفصح عن ثغر عالم، أكثر من إفصاحها عن أدب، فهي لا تخرج عن الشائع المأثور في عصره، يغلب عليها السجع والمحسَّنات اللفظية والبدعية. كما تروي له المصادر عدداً من المقططفات الشعرية، كالمقطفعة التي أرسلها إلى الرشيد يسعين به على الزواج، والمقطفعة التي مدح بها الأمين والمأمون، والمقطفعة التي

الأشعار فأنظر إلى ما في يدي وإلى ما أسمعه منهم فأجد الحاجة تلزم ما عندي، فمازلت أكتب عنهم... ولبثت كذلك إلى ما شاء الله ثم رجعت إلى الكوفة، فلما دخلتها لم تطب نفسي أن آتي متزنا حتى أمر بمسجد حزرة الزيارات... جلست باركاً بين يدي حزرة ثم استدانت فقرأت سورة يوسف فلما بلغت ((الذئب)) قال لي حزرة ((الذئب)) بالهمز، فقلت له: إنه يهمز ولا يهمز أيضاً، فلم يقل لي شيئاً^(١٢)، راعقبتها بعده رحلته الثانية، التي سبق أن أشرنا إليها، وهي التي حدثت بعد لقيه الخليل وسؤاله عن مصدر علمه، فقال له: بـوادي الحجاز ونجد وقمامه، فرحل الكسائي إليها، وأنفذ حمس عشرة قينة حر سوى ما حفظ وعاد فوجد الخليل قد مات، وجلس يonus موضعه، فمرأته بينهما مسائل أقرَّ له يonus فيها وصَدَرَه^(١٣).

هذا سوى ما كان يسمعه الكسائي من الأعراب الواقفين إلى الحاضر، أو الذين ينتمون الحاضر في سكانهم يقول الأصممي: ((كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب الحطمة، كانوا ينزلون (قططيل) وغيرها من سواد قرى بغداد، قال: فلما ناظر الكسائي سبويه استشهد بكلامهم واحتاج لهم وبلغتهم على سبويه))^(١٤). لأنَّ السمع أصبح من الأساس المهيجة الواضحة لدى الكسائي^(١٥) ومن ثم لدى مدرسة الكوفة التي تأسست على يديه، يوم كانت مسألة الزنبورية هذه مع سبويه^(١٦).

وقد فتحت هذه الالْقَى وانتصاره فيها الباب الواسع بجالس جمعه بالعلماء، وثبت فيها المناظرات العلمية المختلفة، وشهدت علم الكسائي وتفوقه وإحاطته بالعلوم القرآنية واللغوية، كمناظراته لعيسى بن عمر التوفي (ت ١٤٩ هـ)، وحزرة بن حبيب الزيارات (ت ١٥٦ هـ)، والمفضل الضبي (ت ١٧٠ هـ)، وأبي يوسف القاضي (ت ١٨٢ هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) واليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ومروان بن سعيد ابن عباد، والأخفش الأوسط (ت ٢١١ هـ)، والأصممي (ت ٢١٦ هـ)^(١٧).

وحفلت كتب اللغة والنحو بآراء الكسائي البارعة في مسائل

- ٣- أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي الكوفي (ت ١٤٨ هـ).
 ٤- عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ).
 ٥- أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ).
 ٦- أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن ميسرة العرمي الكوفي (ت ١٥٥ هـ).
 ٧- أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الزيات الكوفي التيمي (ت ١٥٦ هـ).
 ٨- حماد بن عمرو الأسدية الكوفي.
 ٩- أبو عمر عيسى بن عمر الأسدية الهمدانية الكوفي الضرير (ت ١٥٦ هـ).
 ١٠- أبو الصلت زائدة بن قدامة الثقفي (ت ١٦١ هـ).
 ١١- أبو معاذ سليمان بن أرقم البصري.
 ١٢- المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي (ت ١٧٠ هـ).
 ١٣- أبو محمد عبد الرحمن بن سكين بن أبي حماد الكوفي.
 ١٤- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيم الفراهدي (ت ١٧٥ هـ).
 ١٥- أبو عبد الرحمن قبية بن مهران الأزادي.
 ١٦- أبو إسحاق اسماعيل بن جعفر بن أبي كثیر الأنصاری (ت ١٨٠ هـ).
 ١٧- محمد بن سهل الأسدية الكوفي الملقب بالمقعد.
 ١٨- أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي البصري (ت ١٨٢ هـ).
 ١٩- يعقوب بن جعفر بن أبي كثیر الأنصاری المدیني.
 ٢٠- أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي الكوفي (ت ١٨٧ هـ).
 ٢١- أبو مسلم معاذ بن مسلم المرأة (ت ١٩٠ هـ).
 ٢٢- أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط الأسدية (ت ١٤٨ هـ).

أرسلها إلى أبي زيد الأنباري جواباً على كتاب منه إليه، وقصيدة في فائدة علم النحو، والمقطعة التي كتبها إلى الرقاشي، والمقطعة التي قالها في حديث جرى بينه وبين فبيان من العرب.
 وليس الحكم على شعره باحتى من الحكم على شره، فصاحب هذه المقطعات – إن صحت نسبتها إليه – رجل عالم، ليس بشاعر. وليس له صنعة في الشعر يذكّر، فبعضها يدخل في الشعر التعليمي وما يشبهه، وفي بعضها التكليف أظهر منه الشاعرية؛ وشكّ رواه شعره في نسبة إليه، لما وجدوا أنّ منه ما يستحيل صدوره عنه لما فيه من الأدب المكشوف. سوى أنَّ المتواتر لدى العلماء أنه لم ينظم الشعر، قال ثعلب (ت ٢٩١ هـ): ((ولم يلغني أنَّ الكسانى ولا الفراء قالاً شرعاً قط)). وقيل أيضاً: ((ولم يكن له في الشعر يدٌ. حق قيل: ليس من علماء العربية أجهل بالشعر من الكسانى)).
 وتروي الأخبار أنَّ أبا نواس دسَّ عليه رقةً من الشعر، فإنْ كان كذلك فلا يبعد أن تكون الأبيات التي عابه عليها القسطنطيني واستغبها ابن مكتوم، والتي شكا فيها العزبة وأرسلها إلى الرشيد مدسوسة عليه أيضاً. وبذلك يمكن أن نفهم إعجاب الخطيب البغدادي لها، ووصفها بأها: ((أبيات جياد))، لأنَّها حينئذ أبيات شاعر مجید ماجن، لا أبيات الكسانى. وعلى كل حال، فضعف أدبه لا يقص منه ولا يثبته، فهو عالم العربية و((واحد الناس في القرآن)).

٥- **شيوخه:**
 درس الكسانى على عدد من الأئمة والعلماء علوماً شتى، منها علوم القرآن وفي مقدمتها قراءته وتفسيره، ومنها علم الحديث وروايته، ومنها اللغة والنحو والصرف، فكان في جميعها التلميذ النابه، حتى برع فيها بعد ذلك، واصبح من أعلامها المعدودين المشهورين، وهم:
 ١- الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (ت ٤٨ هـ).
 ٢- أبو محمد سليمان بن مهران الأسدية الأعمش (ت ١٤٨ هـ).

- ٧— اسماعيل بن مدان الكوفي.

٨— أبو أحمد حاجب بن الوليد بن ميمون الأعور.

٩— حجاج بن يوسف بن قبية.

١٠— جدون بن الحارث الطور.

١١— جذريه بن ميمون الفارث.

١٢— أبو القاسم تميد بن الريبع السّابوري الحزار.

١٣— أبو يحيى ذكريات بن وردان السُّلمي.

١٤— ذكريات بن يحيى الأنطاكي.

١٥— أبو الحارث سُرِيع بن يوسف بن إبراهيم البغدادي.

١٦— سورة بن المبارك الخراساني الديبوري.

١٧— أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد الخلبي البغدادي.

١٨— أبو محمد عبد الرحمن بن حبيب البغدادي.

١٩— عبد القدوس بن عبد الجبار.

٢٠— عبد الله بن أهتم بن بشر بن ذكوان.

٢١— عبد الواحد بن ميسرة القرشي.

٢٢— أبو محمد عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي الكوفي.

٢٣— عدي بن زياد

٤— عروة بن محمد الأسدي الكوفي.

٥— علي بن خشناام.

٦— علي بن عاصم.

٧— أبو حفص عمر بن حفص المسجدي.

٨— أبو نعيم عمر بن نعيم بن ميسرة الكوفي الرازي.

٩— أبو حفص عمرو بن بكير الأسلمي.

١٠— عون بن الحكم.

١١— أبو عبد الله فورك بن شبوة الإصبهاني.

١٢— أبو بكر محمد بن زريق.

١٣— محمد بن ذكريات الشامي.

١٤— محمد بن سنان بن سرح التوخي الشيزري.

١٥— محمد بن عبد الله بن يزيد الحضرمي.

٢٤— أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي المكي

٢٥— أبو حمزة شريح بن يزيد الحضرمي (ت ٢٠٣ هـ).

٢٦— أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١١ هـ).

٢٧— رورهم مؤلف غایة النهاية حين عَد طلحة بن مصرف في شیوخ الكسانی، وذلك أن طلحة هذا توفي سنة ١١٢ هـ، أي قبل ولادة الكسانی على الأرجح الأقوی (٢٠٠).

اللامیدة:

تلمذ للكسانی عدد كبير من طلبة القراءة واللغة والرواية والحو والغريب والشعر، حتى ليشعر الدارس أن المصادر عجزت عن إحصائهم، فأغفلت ذكر الكثير منهم، واكتفت بتسمية قسم منهم دون النص على وفياتهم جلهلها بهم وباحواهم، وقد يفرد مصدر بذكر طائفه منهم، كالذي انفرد به غایة النهاية من ذكر عدد كبير منهم، فمن يرجح لدى الباحث أنهم تلمذوا للكسانی في القراءة دون سواها فاختص بذكرهم دون المصادر، ولما كانوا قد قسموا إلى ثلاثة طوائف، فسبداً بذكر من انفرد بهم غایة النهاية، الئم — كما يدو — أوائل تلاميذه — مرتبين على حروف المعجم لهلنا بستي وفياتهم، ونبعهم بالذكورين في أكثر من مصدر ولم يعن على سني وفياتهم، مرتبين على الحروف أيضاً، ثم ذكر من رقنا على وفياتهم مرتبين ترتيباً تاريخياً، دون فصل بين الطوائف الثلاث:

 - ١— أبو اسحاق إبراهيم بن الحريش.
 - ٢— إبراهيم بن زاذان.
 - ٣— أبو ذهل أحد بن أبي ذهل الكوفي.
 - ٤— أبو العباس أحد بن محمد بن واصل الكوفي.
 - ٥— أبو بكر أحد بن منصور السراج البغدادي السحوي.
 - ٦— أحد بن واصل البغدادي.

- 1 -

- ٦٠—أبو توبة ميمون بن حفص [أو جعفر] النحوي الكوفي^(١٤٣).
- ٦١—أبو محمد هاشم بن عبد العزيز البربرى [أو اليزيدى]
البغدادى^(١٤٤).
- ٦٢—يعقوب الدورقى^(١٤٥).
- ٦٣—أبو الحسن علي بن المبارك [أبو الحسن] الأحرم المروزى (ت
١٩٤هـ)^(١٤٦).
- ٦٤—جودى بن عثمان العنسي المروزى النحوى (ت
١٩٨هـ)^(١٤٧).
- ٦٥—أيوب بن الم توكل الأنبارى البصري (ت ٢٠٠هـ)^(١٤٨).
- ٦٦—أبوزكريا يحيى بن آدم بن سليمان بن خالد بن أسد الصلحي
(ت ٢٠٣هـ)^(١٤٩).
- ٦٧—أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي (ت ٢٠٣هـ)^(١٥٠). ومز
في شيوخه أيضاً.
- ٦٨—أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن اسحاق
الحضرمي البصري (ت ٢٠٥هـ)^(١٥١).
- ٦٩—أبوزكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمى
الديلمى الفراء (ت ٢٠٧هـ)^(١٥٢).
- ٧٠—أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير الكوفي النحوى (ت
٢٠٩هـ)^(١٥٣).
- ٧١—أبو سعيد عبد الملك بن قریب الأصمی (ت ٢١٦هـ)^(١٥٤).
- ٧٢—أبو عبید القاسم بن سلام المروي البغدادي (ت
٢٢٤هـ)^(١٥٥).
- ٧٣—أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدى البزار
البغدادى (ت ٢٢٩هـ)^(١٥٦).
- ٧٤—أحمد بن الصباح بن أبي سريح النهشلي (ت ٢٣٠هـ)^(١٥٧).
- ٧٥—أبو عبد الله محمد بن زياد، ابن الأعرابى (ت ٢٣١هـ)^(١٥٨).
- ٧٦—إسحاق بن ابراهيم الموصلى (ت ٢٣٥هـ)^(١٥٩).
- ٧٧—أبو حدون الطيب بن اسحاق بن اسحاق بن أبي تراب
الذهلي البغدادي (ت ٢٤٠هـ)^(١٦٠).
- ٣٦—أبو عبد الله محمد بن عمر بن عبد الله بن رومي البصري.
- ٣٧—مطلوب بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي.
- ٣٨—المغيرة بن شعيب المازنى البغدادي.
- ٣٩—أبو اياس هارون بن علي بن حزة الكسانى.
- ٤٠—هارون بن عيسى.
- ٤١—أبو موسى هارون بن يزيد الفارسي البغدادي.
- ٤٢—أبوزكريا يحيى بن زياد الخوارزمي^(١٦١).
- ٤٣—أبو الحسن أهند بن حسن، مقرئ الشام^(١٦٢).
- ٤٤—أبو الحسن الأعز^(١٦٣).
- ٤٥—أبو طالب المکفوف^(١٦٤).
- ٤٦—إسحاق البغوى^(١٦٥).
- ٤٧—إسحاق بن أبي إسرائيل^(١٦٦).
- ٤٨—سلمويه النحوي الكوفي^(١٦٧).
- ٤٩—صالح بن عاصم التاقط الكوفي^(١٦٨).
- ٥٠—أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموي^(١٦٩).
- ٥١—أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابى البغدادي
النحوى^(١٧٠).
- ٥٢—أبو الحسن علي بن حازم اللحبابي^(١٧١).
- ٥٣—أبو موسى عيسى بن سليمان [أو اسماعيل] الحجازي
الشیزری الحنفی^(١٧٢).
- ٥٤—أبو العباس الفضل بن ابراهيم بن عبد الله النحوى
الکوفي^(١٧٣).
- ٥٥—أبو عبد الرحمن قبية بن مهران النحوى الكوفي الأزداني
الإصبهانى^(١٧٤). وقد مر في شيوخ الكسانى، ولا مانع من ذلك، فقد
ألفت الدراسة قدیماً أن يعلمذ كلّ منهما للآخر.
- ٥٦—أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفي^(١٧٥).
- ٥٧—محمد بن سفيان بن وردان الحذاء الأسدى الكوفي^(١٧٦).
- ٥٨—محمد بن المغيرة الأسدى^(١٧٧).
- ٥٩—أبو علي محمد بن واصل الكوفي^(١٧٨).

- ٦—أشعار المعايادة^(١٨٣).
- ٧—أشعار المعايادة وطرائقها^(١٨٤). والراجح أنه الكتاب السابق.
- ٨—أشعار^(١٨٥). ولعله السابق أيضاً.
- ٩—بدء الدنيا^(١٨٦).
- ١٠—تعليقات على صيغ الطلاق في بيت من الشعر. وانفرد بروكلمان بذلك. وذكر نسخة منه في المتحف البريطاني، ثان١٢٠٣ رقم (١٢)^(١٨٧). ونسبة بروكلمان في موضع آخر إلى أبي القاسم الزجاجي^(١٨٨).
- والظاهر أنه للزجاجي كما نسبه بروكلمان في الوطن الثاني من كتابه، وذلك أن السيوطي نقل عن الزجاجي حديثه عن تأليفه هذا الكتاب، وعن طبيعة المادة المجموعة، ومصادر المسائل التح gioye
ال موضوعة، ومنها تعليقة الكسانني على البيت وتوجيهه الإعراب فيه^(١٨٩). وكان الزجاجي نفسه قد نقل في مجالس العلماء أن للكسانني تعليقة على البيت الذي سُئل عنه أبو يوسف، وهي تعليقة موجزة لا تتعدي الأسطر، ولا تصلح أن تكون رسالة^(١٩٠)، ثم يتناول الزجاجي المسألة بالرأي والتوجيه.
- ١١—الحدود في التحوي^(١٩١). منه نسخة في مكتبة ليزك فقدت حتى شيئاً، وذهب أحد الباحثين إلى أن الاسم محرف عن الحروف^(١٩٢). وهو وهم فالحروف كتاب آخر.
- ١٢—الحروف^(١٩٣).
- ١٣—العدد ((في عدد أي القرآن، لأهل الكوفة))^(١٩٤)، ويُحتمل أن يكون (اختلاف العدد) الذي مرّ عليه.
- ١٤—العدد واختلافهم فيه^(١٩٥). والراجح أنه (اختلاف العدد).
- ١٥—القراءات^(١٩٦). والراجح أنه كتاب (الآثار في القراءات) الذي مرّ.
- ١٦—قصص الأنبياء^(١٩٧).
- ١٧—ما اشتبه من لفظ القرآن وتناظر من كلمات الفرقان^(١٩٨). ومنه نسخة في مكتبة ((قوله)) بدار الكتب المصرية ٢٨/١، ١٥ قراءات. ونسب د. رمضان عبد التواب إلى بروكلمان أنه يرى أن
- ٧٨—أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي (ت ٢٤٠ هـ)^(١٩٩).
- ٧٩—أبو المنذر نصر بن يوسف بن أبي نصر الرازي البغدادي التحوي (ت ٢٤٠ هـ)^(٢٠٠). وقد جعله أحد الباحثين اثنين أحدهما نصر بن يوسف، والثاني نصير بن أبي نصر الرازي^(١٩٧)، وهو وهم. كما حرف نصر إلى نصير لدى باحث آخر^(٢٠١).
- ٨٠—أبو عبد الله بن أحمد الطوالي (ت ٢٤٣ هـ)^(٢٠٢).
- ٨١—أبو عمر [أو أبو عمرو] حفص بن عمر [أو جعفر] بن عبد العزيز بن سبهان الدوري (ت ٢٤٦ هـ)^(٢٠٣).
- ٨٢—أبو هشام محمد بن يزيد بن رفاعة بن سماعة الرفاعي الكوفي (ت ٢٤٨ هـ)^(٢٠٤).
- ٨٣—أحمد بن جعير بن محمد الكوفي (ت ٢٥٨ هـ)^(٢٠٥).
- ٨٤—أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)^(٢٠٦). وهو رهم، ولولادة المبرد سنة ٢١٠ هـ، اي بعد وفاة الكسانني بأحدى وعشرين سنة^(٢٠٧). ولعل اللقب سبب في خلطه بسورة بن المبرد الذي مرّ مؤلفاً لكتاب ((حروف الكسانني)).
- ٨٥—اسحاق بن ابراهيم الوراق المروزي (ت ٢٨٦ هـ)^(٢٠٨). وهو وهم أيضاً^(٢٠٩). ولعله اخترط بأبي اسحاق ابراهيم بن احمد بن عقب المروزي، الذي مرّ فيمن لقب بالكساني.
- ٧—آثاره^(٢١٠):
- ذكرت المصادر أن الكسانني ألف طائفه كبيرة من الكتب، في مختلف علوم القرآن والعربية، غير أن تصنّع هذه الكتب يقف الدارس على أن أغلىها ضائع، أو لم يُعثر عليه بعد، ولم يصل إلينا منها إلا أقلها، وهي :
- ١—الأباء والأمهات والبنين والبنات^(٢١١).
- ٢—الآثار في القراءات^(٢١٢).
- ٣—أجزاء القرآن^(٢١٣).
- ٤—اختلاف العدد^(٢١٤).
- ٥—اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة^(٢١٥). ونصّه في كتاب ((المصاحف)) للسجستاني ٣٩ - ٤١.

إفري: كله بالكسر إلا حرف واحداً في سبا: (أفتري على الله
كذبَا) ^(١٣٣) فإنه بالفتح.

الإصطفاء ^(١٣٤) كله بالكسر إلا حرف واحداً في الضفالت: (أصنطفي
البنات على البنين) ^(١٣٥) فإنه بالفتح.

الاستكبار: كله بالكسر إلا حرف واحداً في ص وهو: (أستكبرت أم
كنت من العالين) ^(١٣٦) فإنه بالفتح.

أقتلوا: كله بالضم إلا حرف واحداً في غافر: (أقتل موسى ولدغ
رئه) ^(١٣٧) فإنه بالفتح. [والله التوفيق]

ويُضَعَّفُ من هذه القطعة من الكتاب أنه غير كتابنا ((متشابه القرآن)). على أن الدارس قد يقف على مادة متتشابهة بين الكتابين ولكنها غير متحدة، وقد أشرت إلى ما تتشابه بينهما في هوامش التحقيق.

١٨ - ما تلحن فيه العوام: نُشرَ ثلاث مرات، الأولى: بتحقيق المستشرق كارل بروكلمان في مجلة الآشوريات، الطَّلْدُ الثَّالِثُ عَشَرُ من ص ٢٩ - ص ٤٦ في برسلان، معتمداً على مخطوطه برلين وحدها، وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المطبوع رقمها ٢٣٧ لغة. والثانية: بتحقيق عبد العزيز اليماني، في المطبعة المسالفة بالقاهرة سنة ١٣٤٤هـ، في كتاب فيه مع كتاب الكسانى: مقالة كلاء ابن فارس، ورسالة الشيخ ابن عربى إلى الإمام الفخر الرازى، وكتاب الكسانى فيه من ص ١٩ - ص ٦٧، معتمداً على نسخة خزانة جامع بومباي بالهند. والثالثة: بتحقيق د. رمضان عبد التواب، في مطبعة المدى بالقاهرة سنة ١٩٨٢م، معتمداً على الشرتين السابقتين، وعلى مخطوطة برلين (٧١٠٣)، ومخطوطة مكتبة المتحف العراقي، ومخطوطة مكتبة نور عثمانية باستانبول (٤٨٨٤) وهي ترتيب هجائي للألفاظ قام به محمد بن أحمد الحنفى العلايى (من علماء القرن العاشر) لكتاب الكسانى، مسمياً إياه (الصيحة الشاملة للخاصة وال العامة)، ومخطوطة مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية ^(١٣٨) بعنوان (كتاب الإفهام فيما تلحن فيه العوام) المسوبة في الظاهر إلى الكسانى، في حين تسبب صفحة العنوان

هذه المخطوطة نسخة من كتاب ((متشابه القرآن)) للكسانى ^(١٣٩) وليس الأمر كذلك في تاريخ بروكلمان، ولا في المخطوطة نفسها، ولنقف عليها لتبيَّن هذه الحقيقة ^(١٤٠).

فهو الكتاب الثاني في مجموع مجلد، في ١١٩ ورقة، والكتاب وحده في ٢٣ ورقة من القطع المتوسط، والمجموع مكتوب بخط نسخ جميل، يخلو من تاريخ النسخ واسم الناشر؛ أول كتاب الكسانى: [قال الشيخ أبو الحسن علي بن حمزة الكسانى المقرى الأسدي رحمه الله: الحمد لله ذي المن والأفضال، رب النعم والإحسان، المؤيد باللحجة والبرهان، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء وسيد الأوصياء وسلم، وشرف وكرم. أما بعد، فإن شاء الله أذكر في هذا الكتاب ما تشابه من ألفاظ القرآن وتناظر من كلمات الفرقان، ليكون كتابنا هذا عوناً للقارئ على قراءته، وتفوية على حفظه، وأستقصي ذلك وأتبعه، حتى لا يكون الناظر في كتابنا هذا، يحتاج إلى افتقاد ما تشابه عليه في غيره، ويكون كتابنا مشتملاً على قصائنا، ومستوعباً لما ذكرنا، وبالله توفيقنا وعليه توكلنا، وهو حسناً ونعم الوكيل].

[أعبد] ^(١٤١): ابتدأه ^(١٤٢) كله بالرفع، إلا حرفين في يونس عليه السلام: (فلا أعبد الذين تبعدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفَّكم) ^(١٤٣) فإنه بالقطع.

[أسجد] ^(١٤٤): ابتدأه كله بالرفع، إلا حرف واحداً في بني إسرائيل: (قال أَسْجَدْتُ لِمَنْ خَلَقَنِي) ^(١٤٥) فإنه بالفتح.

الإج والعاج: كله ^(١٤٦) بالكسر إلا حرف واحداً في الكهف: (أَجْعَلْ بَنِيكُمْ وَبَنِيهِمْ رَدِمًا) ^(١٤٧) فإنه بالفتح.

الإيتاء: كله بالكسر إلا حرفين ^(١٤٨) في الكهف: (آتَوْيَ زَبْرَ الحديد) ^(١٤٩) و (آتَوْيَ أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا) ^(١٥٠) [فإنه بالفتح] ^(١٥١).

الإخراج: كله بالرفع إلا حرف واحداً في النمل: (أَخْرَجُوا آلَ لَوْطَ) ^(١٥٢) فإنه بالفتح ^(١٥٣).

التلاؤة: كله بالفتح إلا حرف واحداً في العنکبوت: (أَتَلَّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) ^(١٥٤) فإنه بالضم.

إلى تصحیح نسبة الكتاب إلى الكسانی، وضرب الأمثلة بالكتب التي لم تذكر لأصحابها في كتب الطبقات، ودرس مادة الكتاب وخرج منها بأنَّ الذي لا يتفق منها مع رأي الكسانی حسُنَّ کلمات لا غير، وهي لاتكفي لسرد النسبة إليه^(٢٣).

١٩— *متشابه القرآن*^(٢٤). ومنه نسخة في مكتبة جستن بيتي بدبلن، ضمن مجموع فيه رسائل قرآنية أخرى، وهي الأصل الذي حققنا منه الكتاب الذي سيأتي درسه ونصله.

٢٠— *مختصر في التحو*^(٢٥). شرحه أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي الأندلسی، وشرحه أيضاً أَبْدَى بْنُ عَثَمَانَ سِيدُ الْلُّغَوِيُّ الْقَرْطَبِيُّ، وشرحه كذلك الجُرْفِيُّ النحويُّ الأندلسی^(٢٦). والظاهر أن اهتمام الأندلسین بشرحه إنما كان بسبب إدخال جودی بن عثمان العبسی (ت ١٩٨ هـ)، الذي مرَّ في تلاميذ الكسانی، الكتاب إلى الأندلس^(٢٧).

٢١— *المشتبهات في القرآن*. ومنه نسخة في *الكتبة الخانة العمومية* باستانبول (٤٣٦)، ذكره بروکلمان ونصَّ على أنه هو كتاب *متشابه القرآن*^(٢٨).

٢٢— *المشتبه في القرآن*^(٢٩). ومنه نسخة في باريس أول ٦٦٥ رقم ٤، ذكره بروکلمان وسمَّاه، ووهم بروکلمان في الاسم، فالنسخة الباريسية هذه تحمل عنوان ((*متشابه القرآن*)) ومادته تقطع بأنه الكتاب عنه، وقد وقفت على قطعة منه من أوَّله، أشرنا إليها في هوامش التحقيق.

٢٣— *المصادر*^(٣٠).

٢٤— *معاني القرآن*^(٣١).

٢٥— *مقطوع القرآن وموصوله*^(٣٢).

٢٦— *المؤلف*^(٣٣). وذهب أحد الباحثين إلى الحكم بخطأ نسبةه إلى الكسانی، وأنَّه كتاب ((*الغريب المصنف*)) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، يسمَّيه الأزهري في التهذيب ((*الغريب المؤلف*)), ونقله ابن منظور (ت ٥٧١ هـ) باسم المؤلف إلى لسان العرب منسوباً إلى الكسانی، لأنَّ الرواية تبدأ باسمه^(٣٤).

الكتاب إلى أبي علي بن هنْرَة، والصفحة الأولى منه إلى أبي علي بن حسِّي، وكلاهما ليس الكسانی صاحبنا.

وقبيل ((ما تلحن فيه العوام)) بالشك في نسبة إلى الكسانی؛ وكان من الذاهبين إلى هذا الشك المستشرق الألماني يوهان فلک^(٣٥) والناثر الثاني للكتاب عبد العزيز الميمني الراجحکی^(٣٦)، والدكتور حسين نصار^(٣٧)، وتنصب معظم أقوالهم في: أنَّ الكتاب لم يذكر في مؤلفات الكسانی عند من ترجموا له وذكروا آثاره من القدماء، وأنَّ آراء الكسانی فيه تختلف ماروِيَّ عنه في كتب اللغة والمعجمات، وأنَّ الكسانی يروي فيه عن تلاميذه وهم متاخرون عنه، أو يروي عن بصريين ولا يعهد ذلك في كتبه.

وكان بروکلمان قد رجح نسبة الكتاب إلى الكسانی، معتمداً على ماورد في من المصطلحات والاستعمالات التي تبدو عليها مسحة الكسانی وعصره، وعلى ماورد في مقدمة من معلومات تاريخية ترجح هذه النسبة^(٣٨).

كما كنت قد تناولت الكتاب بالدرس في رسالتي للدكتوراة، ورجحت نسبة إليه أيضاً، معتمداً على أنَّ عدم ذكر الكتاب في مؤلفاته لدى الأقدمين، ليس بداعياً في هذا الكتاب ((فقد حدث مثل هذا في كتب أخرى، أثبتت الدرس أنها صحيحة النسبة إلى مؤلفيها على الرغم من عدم ذكرها في ترجماتهم القديمة، ولعل أقرب الأمثلة إلى ذلك كتاب (الحرروف التي يتكلَّمُ بها في غير موضعها) لابن السكك (ت ٤٢٤ هـ) الذي يعدَّ من كتب حنَّ العامة... فهو أيضاً غير مذكور في مؤلفات ابن السكك في مصادر ترجمته. وأماماً ما خالف رأي الكسانی من مضمون الكتاب، فيرد إلى ظاهرة شائعة بين اللغويين من اختلاف بين آرائهم في المسألة الواحدة . وسبب ذلك كما يبدو أنه يتهيأ للدارس بعد ذلك من المعلومات ما يدعوه إلى أنَّه يُصحَّح رأياً سابقاً له، ويُغيَّر على أساسها موقفه منه... فيُروي عنه خلاف ماحدَّد أولاً))^(٣٩).

وتسع الدكتور رمضان عبد الواب بعد ذلك، وهو الناشر الثالث للكتاب، في الرد على المشككين، وأفاض في الأدلة المفصية

المديح. سأله أعرابي يوماً: ((أنت الكسائي؟)) قال: نعم. قال: كوكب ماذا؟ ذري وذرئي، فالذرئي يشبه الدر، والذرئي جار، والذرئي يلمع. قال: ما في العرب أعلم منك)).^(٢٣٣) وإذا كان هذا قول أعرابي مجهول الحال فيه، ثم عن حس سليم باللغة، ففطرة صحيحة بالألفاظ، ففي أقوال العلماء المشهورين مالا يقل عن ذلك. قال الإمام الشافعي: ((من أراد أن يبحرون في النحو فهو عيال على الكسائي)).^(٢٣٤)

وقال النضر بن شمبل (ت ٢٠٣ هـ): ((والكسائي لا يمحكي عن العرب شيئاً إلا وقد ضبطه وحفظه)).^(٢٣٥)

وقال أبو زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) بعد وفاة الكسائي: ((يرحمه الله مات بموته علم كثير)).^(٢٣٦)

وقال أبو عبد الرحمن المقرئ: ((كان الكسائي فصيح اللسان، لا يفطن لكماله، ولا يخيل إليك أنه يعرب، وهو يعرب)).^(٢٣٧)

وقال ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ): ((كان أعلم الناس... وكان ضابطاً قارناً، عالماً بالعربية صدوقاً)),^(٢٣٨) وقال أيضاً: ((كان الكسائي أعلم من أبي زيد بكثير بالعربية واللغات والتوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد، ولا أدركه أحدٌ بعده)).^(٢٣٩)

وقال إسحاق الموصلي (ت ٢٣٥ هـ): ((ما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيراً، ولا أحذق بالسائل المسألة ثُشِقَ من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة)).^(٢٤٠)

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ): ((إنَّ الكسائي تعلم النحو بعد الكبير، فلم يمنعه ذلك من أن يبرع فيه... وقرأ القرآن وبرع فيه، حتى قوي عليه وعرف إعرابه واختصار حرفه فقرأ به)).^(٢٤١)

وقال ثعلب (ت ٢٩١ هـ): ((أجمعوا على أنَّ أكثر الناس كلهم رواية وأوسعهم علمًا الكسائي)).^(٢٤٢)

وقال ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ): ((كان الكسائي إمام الناس في القراءة في عصره، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءاته عليهم)).^(٢٤٣)

وقال ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ): ((اجتمعت للكسائي أمور لم

٢٧—**النوادر**^(٢٤٤).

٢٨—**النوادر ((الكبير))**^(٢٤٥). ولا يبعد أن يكون الكتاب السابق.

٢٩—**النوادر الأوسط**^(٢٤٦).

٣٠—**النوادر الأصغر**^(٢٤٧).

٣١—**النوادر الصغير**^(٢٤٨). والراجح أنه الأصغر عيه.

٣٢—**هاءات الكنية في القرآن**^(٢٤٩). والراجح أنه الكتاب الآتي.

٣٣—**هاءات المكفي بها في القرآن**^(٢٤٩).

٣٤—**المجاء**^(٢٤٤).

هذا ما ذكرت المصادر المختلفة من مؤلفات الكسائي، وإذا كان معظم هذه المؤلفات قد فقد، وما يزال مفقوداً، كما أشرت في صدر الموضوع، فإن هذه المصادر لم تدخل في الاحتفاظ بمقتبسات من بعضها، توثق نسبتها وتقتل ملادها. كالنقل من: اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وتعليقات على صيغ الطلاق في بيت من الشعر، ومعاني القرآن، والنوادر، وغيرها.^(٢٤١) كما رأوت أخبار قراءة مؤلفاته عليه وأنحدرها قراءةً عن قرأها عليه، بأسماء مدونة موثقة، كالذي روی عن: العدد، القراءات، ومعاني القرآن، والنوادر، وغيرها^(٢٤٢)، وما وقفنا عليه في صدر النسخة الباريسية من ((متشابه القرآن)) من سند روايته عن المؤلف وقراءاته عليه؛ سوى ما شرح من هذه المؤلفات كما نصتنا على ذلك في مسرد آثاره. أما ما شُكَّ في نسبة إليه لعدم ذكره في المصادر القديمة المبكرة مثل كتابه ((ما تلحن فيه العوام)) فقد أبطل الدرس العلمي القائم على الدليل هذا الشك، كما مر في موضعه. ولا يبعد عندي — أخيراً — أن يكون قد حصل بعض الوهم في نسبة مثل ((بداء الدنيا)) و((قصص الأنبياء)) إلى الكسائي، لبعدها عن طبيعة الدرس لديه، ولعلها لأحد من لقب بالكسائي.

٨—**آراء العلماء فيه:**

بلغ الكسائي في المكانة العلمية، والمrtleة الرفيعة، مالا يليق إلا بـأمثاله من الأفذاذ، وقد اعترف بـسعلو كعبه وتفرده، محبوه وحاسدوه، وغمرت أفواه العلماء كلمات الشاء عليه وعبارات

مطروحة، لأنَّه كان يلقنهم ما ي يريد^(٢٧٣). وقال ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ): ((كان الكساني يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة، فيجعله أصلاً فيقيس عليه، واحتلَّتْ بأعراب الأبلة فاسد بذلك التحو))^(٢٧٤).

ويُتضح من هذه الأقوال وأشباهها — سوى دلالتها على الحسد الشخصي لدنوه من الخلفاء، وغلُّ مرتبتة بين العلماء — التعصب المدرسي الذي أدى إلى الانغلاق على منهج في الترس واحد؛ فكُلُّها يشير إلى خطأ منهج الكساني في السَّماع من الأعراب الذين لا يعتد البصريون بهم جاهم. وهذا هو الذي يفسِّر لنا تعلية أبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) على قول ثعلب (ت ٢٩١هـ) في حق الكساني، الذي نقلناه قبل قليل، والذي يشير فيه إلى إجماع أهل العلم على فضل الكساني، يقول أبو الطيب بعد ذلك: ((وَهَذَا الإجماع الذي ذُكِرَهُ ثُلْبٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ الْبَرْسَرَةِ))^(٢٧٥).

فأخذ البصريون — توثيقاً لموفدهم من الكساني — يخصون عليه ما يعدونه هُم خطأً منه في تفسير الشعر، ويبرُّون أخبار ضعفه وتصحيفه فيه، ومنها ما جرى في مجلس الرشيد بينه وبين الأصممي من تفسير ((محرماً)) في بيت الراعي^(٢٧٦). وما نقله الرياشي من تصحيف الكساني كلمة ((البسجلي)) في بيت عنترة، وتعريفه (منهالاً) إلى ((منها)) و((لا)) في بيت آخر^(٢٧٧). وما نقله الأصممي من تصحيف الكساني (أبياً) في بيت المخل^(٢٧٨). ومارواه التوزي عن الفراء من التصحيف في ((أم اليسكري)) وأنَّه لما سُئلَ عنه أحالة على الكساني^(٢٧٩). وما كان بينه وبين اليزيدي في مجلس الرشيد من تفسير ((لا يكون المهرُ مهرٌ)) في بيتهن، وتوجيهه الأعراب فيها، وانتصار اليزيدي^(٢٨٠). وما ذكره سلمة بن عاصم من تصحيف الكساني كلمة ((تضيف)) إلى ((تصيف)) بالصاد المهملة في بيت النابغة الجعدي^(٢٨١).

وإذا صحت هذه الأخبار وصدقت نسبتها إلى الكساني، فلا يصح الاعتقاد بأنَّ الخطأ لا يجوز عليه، فهو بشر، وقد تسب التصحيف والتحريف إلى الكبار من أهل العلم غير الكساني كأبي

تجتمع لغيره، فكان واحد الناس في القرآن... وكان أعلم الناس بالحو، وواحدهم في الغريب)^(٢٧٣)؛ وقال أيضاً: ((ولو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكساني والفراء لكان لهم بما

افتخار على جميع الناس، إذا انتهت العلوم إليهما))^(٢٧٤).

وقال أبو الطيب اللغوي (ت ١٣٥هـ): ((علم أهل الكوفة، وإمامهم غير مدافع))^(٢٧٥).

وقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): ((ثقة مأمون، ومختراته في حروف القرآن حسنة))^(٢٧٦).

وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): ((كان عظيم القدر في دينه وفضله))^(٢٧٧).

وقال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): ((أحد الأئمة في القراءة والتحو))^(٢٧٨).

وقال ابن حلكان (ت ٦٨١هـ): ((إمام في التحو واللغة والقراءات))^(٢٧٩).

وقال طاش كيري زاده: ((ما ظنك برجلٍ غلامٍ القراء))^(٢٨٠). هذا هو الكساني في أعين المصنفين من العلماء، وبقدر حظ المرأة من الدنيا تقسو عليه القلوب، كما يقول المثل، فقد تعرض للنقد والتجريح في علمه ومنهجه، حسداً منه وتعصباً عليه، ذلك أنَّ أغلب ما صدر من أقوال منقصة من فضله إنما صدر عن البصريين، وفي ذلك وحده ما يكفي لرذها. وقد مرَّ أنَّ الأصممي (ت ٢١٦هـ) نال من الكساني في أنه يأخذ اللغة عن أعراب الحقطة وغيرها من سواد قرى بغداد^(٢٨١). وقال أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ): ((قدم علينا الكساني البصرة، فلقي عيسى والخليل وغيرها وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحقطة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله))^(٢٨٢). وقال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): ((لم يكن جمِيع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب، ولو لا أنَّ الكساني دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل، إلا حكایات عن الأعراب

حدّ التعجب))^(٢٦٣).

وبحسبه أيضاً أن أبا حاتم السجستاني البصري، الذي مرّ أنه يقلل من شأن الكسانى ويتنقص من علمه، يروي ما نصه: ((ورد علينا عاملٌ من أهل الكوفة لم أرَ في عمال السلطان بالبصرة أسرع منه، فدخلتُ عليه مُسَلِّماً فسألني: من علماؤكم في البصرة؟ قلتُ: الزيدى أعلمنا بعلم الأصمى، والمازى أعلمنا بالحسو، وهلال الرأى أفقها، والشاذكوى من أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله، أنساب إلى علم القرآن، وابن الكلى من أكتبنا للشروط. فقال لكاتبه: إذا كان الغداة فاجمعهم إليّ. قال: فجمعنـا إلـيه فـسـأـل كـلـ واحدـ فيـ غـيرـ اـخـتصـاصـهـ فيـقـولـ: لـسـتـ صـاحـبـ كـذـاـ إـفـاـنـاـ صـاحـبـ كـذـاـ. فـقـالـ لـهـمـ: مـاـ أـقـبـحـ الرـجـلـ يـتـعـاطـىـ الـعـلـمـ خـمـسـينـ سـنـةـ وـلـمـ يـعـرـفـ إـلـاـ فـنـاـ وـاحـدـ، حـتـىـ إـذـ سـئـلـ عـنـ غـيرـهـ لـمـ يـعـلـمـ وـلـمـ يـمـرـ، وـلـكـنـ عـالـمـاـ بالـكـوـفـةـ الـكـسـانـىـ لـوـ سـئـلـ عـنـ كـلـ هـذـاـ لـأـحـابـ))^(٢٦٤). ولو لم يكن أو أبو حاتم هو الراوى لقلنا إنما من صور التعصب الكوفي للكسانى، ولكن.. الفضل ما شهدت به الأعداء.

٩۔ وفاته:

اختلاف المصادر التي ترجمت للكسانى وذكرت وفاته، في تحديد السنة التي توفي فيها، وهو أمرٌ مالوفٌ في عدد كبير من وفيات العلماء، لاعتماد المدونين الأوائل على الرواية، واعتماد الرواية على المذاكرة، وهي معرّضة للتسبيhan، واعتماد المتأخرین على الأوائل، وكثيرون معرّضةً لتصحيف الساخ وتحريفهم. وينجلي للباحث بعد تصنيف هذه المصادر وتوزيعها، أن الإجماع فيها قائم على أن وفاة الكسانى كانت سنة ١٨٩هـ، وهي التي أرجحها. وعلى مستوى أقل من هذا، وبما يشبه الكثرة، إنما كانت سنة ١٨٢هـ أو ١٨٣هـ. وفي عدد قليل منها أنها سنة ١٩٢هـ: ثم يبدو التخصص واضحًا في ذكر سنوات آخر، فينفرد الأغاني بسنة ١٨٨هـ، وطبقات النحوين بسنة ١٩٣هـ، والفالهرست بستي ١٧٩هـ و ١٩٧هـ، وانباه الرواة بسنة ١٨٠هـ وغاية النهاية بستي ١٨١هـ و ١٨٥هـ.

عمرو بن العلاء، وأبي عبيدة معمر بن المشنى، وأبي زيد الانصارى والأصمى وأبي حاتم السجستاني وغيرهم، ووقف عاجل على كتب التصحيف والتحريف تكشف هذه الحقيقة.

أما هجاء أبي محمد اليزيدي للكسانى بأكثر من مقاطعة شعرية^(٢٦٥)، فلا يدل إلا على التناقض الذى كان بين الرجلين، يقول السира في بعد ذكره الآيات: ((إن سبب هذه المعارضـةـ بيـنهـ وـبـينـ الـكـسـانـىـ هيـ بـسـبـبـ تـأـدـيـهـمـاـ الـأـخـوـيـنـ))^(٢٦٦). أي الأمين والمأمون. ويقوى التناقض الشخصيًّا هذا، التناقض المدرسيُّ الذى كان بين نحاة البصرة ومنهم اليزيدي ونحاة الكوفة وعلى رأسهم الكسانى، فهـيـ أـقـوـالـ لـاـ تـسـلـمـ مـنـ التـهـمـةـ، فـيـ أـحـسـنـ الـأـحـوـالـ، وـمـعـ ذـلـكـ لـمـ يـسـتـطـعـ الـيـزـيـدـيـ هـذـاـ أـنـ يـغـالـبـ نـفـسـهـ، أـوـ يـكـتـمـ إـعـجـابـهـ وـأـمـةـ بـسـعـدـ وـفـاةـ الـكـسـانـىـ، فـرـثـأـ بـقـصـيـدـةـ جـيـدـةـ تـقـطـرـ حـزـنـاـ وـاعـتـرـافـاـ بـعـلمـهـ وـفـضـلـهـ))^(٢٦٧).

وفي أخبار الكسانى ثُف لا تقلل من شأنه، وإن أوحـتـ بذلكـ كالـيـ تـرـوـيـ أـلـهـ صـلـىـ بـالـرـشـيدـ فـأـخـطـاـ فـلـفـظـهـاـ بـيـرـجـونـ، وـسـمـاـهـ الـكـسـانـىـ نـفـسـهـ عـشـرـةـ الـجـوـادـ))^(٢٦٨). وأنه صـلـىـ بـالـرـشـيدـ أـيـضـاـ فـأـرـجـ عـلـيـهـ فـلـيـأـيـهـاـ الـكـافـرـوـنـ)ـ فـيـرـهـ اليـزـيـدـيـ حتىـ إـذـ صـلـىـ اليـزـيـدـيـ بـالـرـشـيدـ وـقـعـ فـيـ سـوـرـةـ الـفـاتـحةـ))^(٢٦٩). وأنه لـحـنـ فيـ مـجـلـسـ بـقـرـىـ فـيـ الـقـرـآنـ، وـتـبـهـ عـلـيـهـ فـرـجـعـ وـصـحـ))^(٢٧٠). وأنه مـاتـ وهو لـأـيـسـنـ حـدـنـعـمـ وـبـئـسـ، وـلـاحـدـ أـنـ الـمـفـوـحـةـ، وـلـاحـدـ الـحـكـاـيـةـ))^(٢٧١).

ويكفي الكسانى عـلـمـاـ وـتـواـصـعـاـ أـنـ يـعـودـ عـنـ خـطـهـ، وـيـصـحـ لـخـيـهـ أـمـامـ النـاسـ، كـمـاـ تـصـنـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ، وـلـاـ يـتـنـظـرـ مـنـ مـثـلـهـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ، لـأـنـ الـوـقـوعـ فـيـ الـخـطـاـ لـاـ بـدـ مـنـهـ، وـبـخـاـصـةـ فـيـ لـغـةـ مـثـلـ الـعـرـبـيـةـ، يـقـولـ الشـافـعـيـ: ((لـسـانـ الـعـربـ أـوـسـعـ الـأـلـسـنـةـ مـذـهـبـاـ وـأـكـثـرـهـ أـلـفـاظـ، وـمـاـ نـعـلـمـ أـحـدـاـ بـجـيـطـ بـجـمـيـعـهـ غـيرـ نـبـيـ)))^(٢٧٢). وـأـمـاـ أـنـهـ مـاتـ وـلـمـ يـعـرـفـ حـدـ كـذـاـ وـكـذـاـ، فـأـمـرـ صـعـبـ التـصـدـيقـ، وـلـاـ يـتـصـورـ مـثـلـهـ مـعـ الـكـسـانـىـ، وـحـتـىـ لـوـ سـلـمـاـ بـهـ فـلـمـ يـكـنـ بـدـعـاـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ فـيـهـ، فـهـذـاـ الـفـرـاءـ يـقـولـ: ((وـلـمـ يـكـنـ الـخـلـيلـ بـجـسـنـ النـداءـ، وـلـاـ كـانـ سـيـوـيـهـ يـدـرـيـ

أستاذة الكسائي في الصلاة عليهم، وهذا بعيد، فإن المصادر مجتمعة على أن وفاة العباس بن الأحنف كانت في سنة ١٩٤هـ.
وأما السنوات الأخرى فيضعفها الانفراد والتأخر، فسنة ١٩٢هـ متأخرة، وأقدم روأها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، وعنه نقل السيوطي والداودي وطاش كيري زاده^(٣). وسنة ١٩٣هـ مقطوعة السنن لدى الربيد^(٤)، وسنة ١٨٠هـ التي تفرد بذكرها القبطي متأخرة^(٥)، ويحتمل سقوط (تسع و) قبل (ثمانين ومائة) من قلم الناسخ. وسنة ١٨١هـ و ١٨٥هـ فيضعفهما تفرد الجزري بما وتأخره^(٦). وبناءً على ذلك، لا يبقى أمامنا مما يطمئنُ الباحث إلا سنة ١٨٩هـ تاريخاً لوفاة الكسائي، مُستندين إلى أمور:

الأول: إجماع المصادر متقدمة ومتأخرة على أن وفاة الكسائي كانت في سنة ١٨٩هـ، حتى التي ذكرت أيضاً غير هذه السنة.

الثاني: تلاشي الحجة في ذكر غيرها من السنوات، على ما مرء من مناقشتها ونقضها.

الثالث: إجماع المصادر على أن الكسائي توفي في السنة التي توفي فيها الفقيه محمد بن الحسن الشيباني^(٧)، واجماعها على أن وفاة الثاني كانت في سنة ١٨٩هـ.

الرابع: إجماع المصادر على أن الوفاة حدثت بالري أو بطورس، لما كان الكسائي بصحة الرشيد في رحلته هذه، وإجماع المصادر على أن هذه الرحلة كانت في سنة ١٨٩هـ^(٨)، واجماعها على أن الرشيد لم يقم بغيرها إلى هذه الأ accusاع خلال حياته.

وبناءً على هذا التحديد – وهو الأرجح الأقوى – تكون ولادته في سنة ١١٩هـ، لأن المصادر نصّت على أنه مات عن سبعين سنة^(٩). ودُفن في سكة حنظلة في ((رَبْوَيَه)) بفتح أوله وسكون ثانية ثم باء موحدة، وبعد الواو ياء مثناء من تحت، مفتوحة^(١٠)، وهي كورة من كُور الرى، أو قرية قرب الرى^(١١) والرى أقليم من أقاليم خراسان بفارس. وقيل: إنه دُفن بطورس^(١٢)، إلا أن الإجماع على الرى أوسع.

ولما كان ترجيح سنة ١٨٩ يبني على مناقشة ما سواها وردّها، فسأخلص إليه من ذلك. فسنة ١٧٩هـ منتصفه بحياة الكسائي بعدها، إذ روى المصادر حديث الكسائي نفسه بعد هذا التاريخ، يقول: ((أحضرني الرشيد في سنة اثنين وثمانين ومائة، وهي السنة الثالثة عشرة من خلافته فأخرج إلى محمدًا الأمين وعبد الله المأمون...))^(١٣) في خبر عن امتحافهما وتعهدهما. وهو الخبر نفسه الذي يضعف سنتي ١٨٢هـ و ١٨٣هـ، إن لم ينفعهما أيضًا، لأنه يبعد جداً أن يكون قد توفي في السنة التي بدأ فيها بتأديب الأمين والمأمون نفسها أو التي بعدها، لأن الأخبار تحدثت عن طول ملازمته لهما، حتى ظهر البرص في وجهه ويديه، فأغفاه الرشيد اختصه في جلساته وكُلف تلميذه الأحرى بتأديبهما^(١٤) مما يشير إلى تواريخي المذكورة في قيامه عليهما،

ولعل الوهم الذي وقع فيه ابن النديم، وهو أن الكسائي توفي في السنة التي توفي فيها أبو يوسف القاضي^(١٥)، هو الذي أوقع غيره في القول بأن وفاة الكسائي في سنة ١٨٢هـ لأن أبي يوسف توفي فيها^(١٦). غير أن ابن النديم جعل وفاة الكسائي وأبي يوسف في سنة ١٩٧هـ^(١٧)، وهو خطأ من جهتين: الأولى، ما ذكرناه من أن أبي يوسف توفي في سنة ١٨٢هـ، ولم يذكر أحد أنه توفي والكسائي في سنة واحدة، والثانية، أن الكسائي توفي قبل الرشيد، في السنة التي توفي فيها محمد بن الحسن الفقيه بإجماع المصادر التي روى عبارة الرشيد الشهيرة: ((دقنا الفقة والعربية بالري في يوم واحد))^(١٨)، التي سبق لنا نقلها في البحث، وتوفي الرشيد في سنة ١٩٣هـ^(١٩)، فلا يمكن أن تكون وفاة الكسائي بعد هذه السنة، وكان ابن النديم قد ذكر في موطن آخر من كتابه أن محمد بن الحسن الفقيه توفي بالري في سنة ١٨٩هـ في السنة التي توفي فيها الكسائي^(٢٠).

اما سنة ١٨٨ التي ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنها السنة التي توفي فيها مع الكسائي إبراهيم الموصلي، والعباس بن الأحنف الشاعر، وهشيمة الحمار^(٢١)، فسوى ما يشوب خبرها من الشك في وضعه واصطباغه، لأنه يشير إلى تقديم المأمون العباس بن الأحنف على

فغلق الرشيد على هذه الآيات بقوله مخاطباً اليزيدي: ((يايزيدي
لَنْ كُنْتُ تُسْيِءُ لِكَسَانِي فِي حَيَاةِ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ بَعْدَ مَوْتِهِ)). أو
قال: ((أَحْسَنْتَ يَابْصِرِي، لَنْ كُنْتَ تَظْلِمُهُ فِي حَيَاةِ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ
بَعْدَ مَوْتِهِ)).

وحزن عليه الرشيد حزناً شديداً، وأسى لموته أصحابه ومناورةً
لِرَثَاءِ الْيَزِيدِيِّ (ت ٢٠٢ هـ) بقصيدة ذكر فيها محمد بن الحسن
الشيباني أيضاً، وما قال في الكساني:
وَأَلْقَنِي مَوْتُ الْكَسَانِي بَعْدَهُ

وَكَادْتِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيلُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَذَّةِ
وَأَرَقَّ عَيْنِي وَالْعَيْنُ هُجُودٌ

الهوامش:

- ١٥) ديوان ابن المعزن ١٤٤ /١ والملهر ٢٥٤ /٢.
- ١٦) مروج الذهب ١٦٠ /٢ ووفيات الأعيان ٤٤٨ /١.
- ١٧) الخليل بن أحمد .٣٩
- ١٨) تاريخ الأدب العربي ١٦٩ وفي المدارس النحوية / مجلة المورد ١٩٧٤ م.
- ١٩) ما وضع في اللغة عند العرب / مجلة المورد ١٩٨٠ م.
- ٢٠) انفرد ابن الدجيم بهذه الكتبة في الفهرست ٤٤.
- ٢١) انفرد ابن خلگان بهذه الكتبة في وفيات الأعيان ٤٥٧ /٢.
- ٢٢) الفهرست ٤٤ ونور القبس ٢٨٣ وتاريخ بغداد ٤٠٣ /١١ واباه الرواية ٥٣٥ /٢.
- ٢٣) الأنساب ق ٤٨٢ ونزهة الآباء .٤٢
- ٢٤) هو اسم الشهر الحادي عشر من الشهور الفارسية.
- ٢٥) وفيات الأعيان ٤٥٨ /٢
- ٢٦) حاشية الأمير على الغني ٨٢ /١
- ٢٧) معجم البلدان ٣٢٧ /١ وغاية النهاية ٥٣٩ /١
- ٢٨) طبقات النحويين ١٣٩ وتاريخ بغداد ٤٠٤ /١١ ونزهة الآباء ٦٩
- ٢٩) ومعجم الادباء ١٨٤ /٥ واباه الرواية ٢٥٨ /٢ ووفيات الأعيان ٨٧ /٣
- ٣٠) والتيسير ٧ وغاية النهاية ٥٣٩ /١ وبغية الوعاة ١٦٢ /٢ وطبقات المفسرين ٣٩٩
- ٣١) ومرآة الجنان ٤٢٢ /١ وشذرات الذهب ٣٢١ /١ وحاشية الأمير .٨٢ /١
- ٣٢) طبقات النحويين ١٣٩ وتاريخ بغداد ٤٠٤ /١١ ونزهة الآباء ٦٩
- ٣٣) ومعجم الادباء ١٨٤ /٥ واباه الرواية ٢٧٠ /٢ والمهر ٤٤٥ /٢
- ٣٤) الأنساب ق ٦٢ ومعجم البلدان ٣٢٧ /١.

- ١) تاريخ الطبرى ٦ /٢٥١، ٤١٠، ٤٠٨، ١٤٧، ١٤٠، ١٠٣ ومرجع ١٥٦، ١٠٣ والوزراء والكتاب ٣٠٤، ١٧١، ١٦٣، ١٥٩، ١٢٣، ١٢٥، ١٤٣، ١٢٨، ١٤٦ وتاريخ العقوبي ٢٦٢ /٢
- ٢) الطبرى ٦ /٢٣٥ – ٣٣٦ ومرجع الذهب ٣ /٣٤٨، ٣١٨، ٣٤٨، ٣١٨ /٣ والوزراء والكتاب ١٥٩، ١١٦ والأغاني ٣٣ /٩، ٣٢ /٩، ٣٢، ٣٥، ٣٤ والساج ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤ وتأريخ العقوبي ٢٩٦ والكامل ٦ /٤٣، ٩٠، ١٣٢، ٩٣، ١٦٣، ١٣٤، ٩٠، ٤٣ والفرق بين الفرق ٤٥٨ وتاريخ الاسلام ١١٨ /٢، ١٣٠
- ٣) البخلاء ٢١٢، ٢٩٧، ٣٥٦، ٢٩٩، ٣٦٧، ٣٥٦، ٢٩٧، ٣٦٧ وأدب الكاتب ١٩٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٤٤٩ /٢ وعصر العباسي الأول (ضيف) ١٤٣
- ٤) سقف عليه في آثار الكساني في هذه الدراسة.
- ٥) الفهرست ٣٣٨ .
- ٦) المنتخبات الملتقطات من تاريخ الحكماء ٣٢٤
- ٧) العصر العباسي (الدوري) ٤٧ وعصر المؤمن ١٦١ /١
- ٨) الفهرست ٣٧ .
- ٩) المنتخبات الملتقطات ١٧٤ وتاريخ العرب العام ٤٤٣
- ١٠) تاريخ التمدن الاسلامي ١٨٢ /٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣٦ /٢
- ١١) كيف نقلت علوم الاغريق الى العرب ١٤٣
- ١٢) كيف نقلت علوم الاغريق ١٤٥ وتاريخ العرب العام ٢١٣
- ١٣) المفردات في غريب القرآن ٣ والعصر العباسي الأول (ضيف) ١٢٦
- ١٤) ضحي الاسلام ٢ /٢٧٢، ٢٥٦

- (٥٩) الأغاني ٧٠/٢٠ ونور القبس ٢٨٩، ٢٨٤ ومعجم الادباء ١٣/١٧٢.

(٦٠) وفيات الأعيان ٤٥٨/٢.

(٦١) عيون الأخبار ٤٤/٦١.

(٦٢) تاريخ بغداد ١١/١١ ونور القبس ٢٨٤، ومعجم الادباء ٥/١٩٤.

(٦٣) وانباء الرواية ٢٦٦ ووفيات الأعيان ٣/٢٩٥ ومرآة الجنان ١١/٤٢١.

(٦٤) غایة النهاية ٢/٣٤٦.

(٦٥) معجم الادباء ١٣/١٠٧.

(٦٦) معجم الادباء ١٣/١٠٧.

(٦٧) طبقات التحويين ٧٤.

(٦٨) انباء الرواية ٢/٢٧٣.

(٦٩) مجالس العلماء ٢٦٥.

(٧٠) تاريخ بغداد ١١/٤ وانباء الرواية ٢/٢٦٦.

(٧١) انباء الرواية ٢/٢٦٣.

(٧٢) غایة النهاية ١/٥٣٨ والنشر ١/٣٥٧.

(٧٣) تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ وانباء الرواية ٢/٢٥٦.

(٧٤) غایة النهاية ١/٥٣٧.

(٧٥) أحسن التقاسيم ١٨٠/١٨٠.

(٧٦) الفهرست ٤٥ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونزهة الآلية ١٦٢.

(٧٧) معجم الادباء ٥/١٨٦.

(٧٨) غایة النهاية ١/٥٣٨.

(٧٩) غایة النهاية ١/٥٣٨.

(٨٠) تاريخ بغداد ١١/٤٠٩ وانباء الرواية ٢/٢٦٤.

(٨١) النشر ١/٥٣٧.

(٨٢) الفهرست ٣٤، ٤٢، ٣٤، ٤٥ وتاريخ بغداد ٦/٣٠٦ وهدية العارفين ٢/٣٠٦.

(٨٣) مجالس العلماء ٢٦٦.

(٨٤) انباء الرواية ٢/٢٥٨.

(٨٥) نور القبس ٢٨٧.

(٨٦) مجالس العلماء ٩.

(٨٧) طبقات التحويين ٧١ وتاريخ بغداد ١٤/١٥١ و المجالس العلماء ٣٥، ٤٢، ٤٤، ١٤٨، ١٦٩، ٢١١، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤.

(٨٨) شرح المفصل ١٠/١٤٣.

(٨٩) نور القبس ٢٧٩.

(٩٠) البحر الخيط ٥/٢٩٣.

(٩١) تذكرة اللغة ١١/١٦١.

(٩٢) تذكرة اللغة ١١/٨٠.

(٩٣) مجالس العلماء ٢٦٣.

(٩٤) الغريب المصنف ٦/١٧٥.

(٩٥) نور القبس ٢٨٥.

(٩٦) تذكرة التهذيب ٧/٣١٣.

(٩٧) لسان العرب ١٦/٢٩٦.

(٩٨) مجالس العلماء ٢٥٨ ونور القبس ٢٨٤ وخاص الخاص ٦٦ انباء الرواية ٦/٢٦٦.

(٩٩) البيان والتبيين ١٦٤ وأخبار التحويين ٤ وعقد الفريد ٢/٢٩٩.

(٢٣٧) ووفيات الأعيان ١٣/٤١٣ ونور القبس ٢٨٤ ومعجم الادباء ٥/١٨٥.

(١٠٠) ووفيات الأعيان ٣/٢٩٥.

(٢٣٨) طبقات التحويين ١٣٨ ومعجم البلدان ١/٣١٦ وانباء الرواية ٢/٢٥٦.

(٢٣٩) الفهرست ٤٤/١٠١ وتاريخ بغداد ١/٤٠٧ والأنساب ٤٨٣.

(٢٤٠) ومعجم الادباء ٥/١٨٣ وانباء الرواية ٣/٦٤ وليلياب ٦/٢ وغاية النهاية ١١/١١، ٢٩٦، ٢٩٥، ٥٣٠، ٢٩٩، ٢٧٩، ١٨٩/٢.

(٢٤١) وشذرات الذهب ٢/٣٢٥ والكتاب والألقاب ٣/١٠٢ ومعجم المؤلفين ١/٢٤.

(٢٤٢) طبقات التحويين ١٣٨ ومعجم البلدان ١/٤٥٨ وانباء الرواية ٢/٢٥٦.

(٢٤٣) وطبقات المفسرين ٣/٣٣٩.

(٢٤٤) تاريخ بغداد ١١/٤٠٨ وغاية النهاية ١/٥٣٨.

(٢٤٥) قذيب اللغة ١٣/١٩٨.

(٢٤٦) نزهة الآلية ٦٨.

(٢٤٧) (٢٤٧) قذيب اللغة ١/١٦.

(٢٤٨) أخبار التحويين ٤ وانباء الرواية ٢/٢٧٤ ومفتاح السعادة ١/١٣٠.

(٢٤٩) تاريخ بغداد ١١/٤٠٤ ونزهة الآلية ٦٨ ومعجم الادباء ٥/١٨٤ وانباء الرواية ٢/٢٥٧ وبغية الوعاء ٢/١٦٢ وطبقات المفسرين ٣/٣٩٩ ومفتاح السعادة ١/١٣٠.

(٢٤١٠) تاريخ بغداد ١١/٤٠٤ ونزهة الآلية ٧١ ومعجم الادباء ٥/٤٠٥ وانباء الرواية ٢/٢٥٩.

(٢٤١١) قذيب اللغة ١/١٦.

(٢٤١٢) تاريخ بغداد ١١/٤٠٩ ومعجم الادباء ٥/١٩٥.

(٢٤١٣) غريب الحديث ٢/٦٣٢ ولسان العرب ٧/٤٠.

(٢٤١٤) طبقات التحويين ١٣٧ والفهرست ٩٧ ونور القبس ٢٨٤ ومعجم الادباء ٥/١٨٥، ١٨٣/٥.

(٢٤١٥) تاريخ بغداد ١١/٤١١ وانباء الرواية ٢/٢٦٦.

(٢٤١٦) طبقات التحويين ١٣٧ والفهرست ٩٧ ونور القبس ٢٨٤ ومعجم الادباء ٥/١٨٥، ١٨٣/٥.

(٢٤١٧) تاريخ بغداد ١١/٤١١ وانباء الرواية ٢/٢٦٦.

(٢٤١٨) طبقات التحويين ١٣٦ ونبأة الرواية ٥/١٨٣، ١٠٨/٥ وانباء الرواية ٢/٣١٥، ٢٧١/٢.

(٢٤١٩) طبقات التحويين ١٣٩ ومعجم الادباء ٥/١٩٦ وانباء الرواية ٢/٢٦٩.

(٢٤٢٠) طبقات التحويين ١٤١ وتاريخ بغداد ١١/٤١٣ ونور القبس ٤١٣/١١ ونبأة الرواية ٥/١٩٨ ونبأة الرواية ٢/٢٦٨ وانباء الرواية ٢/٢٦٨ وغاية النهاية ١/٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ ومرآة الجنان ٤/٢٢ وطبقات المفسرين ٢/٤٠٤.

(٢٤٢١) تاريخ بغداد ١١/٤١١ ونبأة الآلية ٧٤ ونبأة الرواية ٢/٢٦٦ وانباء الرواية ٢/٢٦٦ وغاية النهاية ١/٥٣٩.

- ١٠١) طبقات التحويين ١٤٠ واباه الرواة ٢٧١/٢ .
 ١٠٢) مرآة الجنان ١/٤٢٩ . ١٠٣) معجم الادباء ٥/٨٨ .
 ١٠٤) ماتلحن في العامه ١٩ . ١٠٥) تاريخ بغداد ١١/٤١٣ .
 ١٠٦) اباه الرواة ٢/٢٦٤ .
 ١٠٧) الوافي بالوفيات ١٢/٥٣ وفديب التهدب ٧/٢٤٣ رطبقات
المفسرين ٣٩٩ .
 ١٠٨) طبقات المفسرين ٣٩٩ .
 ١٠٩) الفهرست ٤٤ وغاية النهاية ١/٥٣٥ .
 ١١٠) أخبار التحويين ٤٤ واباه الرواة ٢/٢٧٤ .
 ١١١) أخبار التحويين ٤٤ واباه الرواة ٢/٢٧٤ وطبقات السعادة ١/١٣٠ .
 ١١٢) تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ واباه الرواة ٢/٢٥٦ .
 ١١٣) الفهرست ٤٤ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونزهة الألباء ٦٨ ومعجم
الادباء ٥/١٨٣ واباه الرواة ٢/٢٥٦ وطبقات الأعيان ٣/٢٩٦ وغاية النهاية
١/٥٣٥ ومرآة الجنان ١/٤٤٢ وغاية الوعاء ٢/١٦٢ وطبقات
المفسرين ٣٩٩ وطبقات السعادة ١/١٣٠ .
 ١١٤) غاية النهاية ١/٢٥٩ . ١١٥) غاية النهاية ١/٥٣٥ .
 ١١٦) غاية النهاية ١/٢٨٨، ٥٣٥ وطبقات المفسرين ٣٩٩ .
 ١١٧) تاريخ بغداد ٩/١٣، ١٣/٤٠٣ ونزهة الألباء ٦٦٢ ومعجم الادباء
٥/١٨٣ وغاية النهاية ١/٣١٢ وغاية الوعاء ٢/١٦٢ وطبقات المفسرين
١/٣٩٩ وطبقات السعادة ١/١٣٠ .
 ١١٨) اباه الرواة ٣/٢٩٩ وغاية النهاية ١/٥٣٥ .
 ١١٩) غاية النهاية ١/٥٣٥، ٣٦٩ .
 ١٢٠) تاريخ بغداد ١١/٤٠٤ وغاية النهاية ١/٥٣٦، ٢٧٥ وطبقات السعادة
١/١٣٠ .
 ١٢١) غاية النهاية ١/٥٣٦ .
 ١٢٢) تاريخ بغداد ٦/٢١٨ وغاية النهاية ١/٤٦٣ .
 ١٢٣) غاية النهاية ٢/١٥١ .
 ١٢٤) اخبار التحويين ٤٤ ومعجم الادباء ٧/٣١٠ واباه الرواة ٢/٢٧٤ .
 ١٢٥) غاية النهاية ١/٥٣٥ .
 ١٢٦) طبقات التحويين ١٣٨ والفهرست ٩٧ ونزهة الألباء ٥٤، ٦٧ .
 ١٢٧) طبقات التحويين ١٣٦ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٤ ونزهة الألباء ٦٦، ٦٧
وغيه الادباء ٦/٤٨٠، ٤٨٠ وطبقات المفسرين ١/١١٦ وغيه النهاية ١/٥٣٦ .
 ١٢٨) طبقات التحويين ١٣٦ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونزهة الألباء ٦٨
واباه الرواة ٣/٢٩٠، ٢٨٨ وطبقات الأعيان ٥/٢١٨ .
 ١٢٩) تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونزهة الألباء ٦٨ ومعجم الادباء ٥/١٨٣ .

- (١٤٨) غایة النهاية /١ ٥٣٦، ٢٠٥٣٦ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٤٩) غایة النهاية /١ ٥٣٧، ٢٠٥٣٧ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٥٠) انباه الرواية /٣ ٢٢٦ وغایة النهاية /١ ٥٣٦.
- (١٥١) الفهرست ٤٥ وتاريخ بغداد ١/١ ٤٠٣ ومعجم الادباء ٢٠١/٧ وانباه الرواية /٢ ٢٥٦ وغایة النهاية /١ ٥٣٦.
- (١٥٢) الفهرست ٤٥ وغایة النهاية /١ ٣٤٨/٢، ٥٣٦ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٥٣) غایة النهاية /١ ٥٣٧ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٥٤) مراتب التحويين ٨٩ ونور القبس ٢٨٣ وتاريخ بغداد ١٤/١ ١٥٣ وعجم الادباء ٢١٣/٥ وانباه الرواية /٢ ٣١٣ والمزهر /٢ ٤١٠.
- (١٥٥) طبقات التحويين ٢٣٣ وانباه الرواية /١ ٢٧١ وتاريخ الفكر الاندلسي ١٨٣ ومعجم المؤلفين ٣/٦٩ وغایة النهاية /١ ١٧٢.
- (١٥٦) الفهرست ٤٥ وغایة النهاية /١ ٥٣٦.
- (١٥٧) غایة النهاية /١ ٥٣٥، ٣٢٥/١ ١٨٦/٢، ٥٣٧/٢، ٣٨٦ ونشر ١/١ ١٨٦.
- (١٥٨) غایة النهاية /١ ١٨٦.
- (١٥٩) الفهرست ٤٥ وغایة النهاية /١ ٣٧١/٢، ٥٣٧ ومرآة الجنان ١/٤ ٤٢٢ والمزهر /٢ ٤١٠ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٦٠) مراتب التحويين ٨٦ وقدب اللغة ١٨/١ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونور القبس ٢٨٣ ونزة الألبة ٦٨ ومعجم الادباء ٤١/٧، ٤٨٠/٦ ٢٧٦، ٤١٧، ٤٨٠/٦ وانباه الرواية /٢ ٢٥٦ ووفيات الأعيان ٣/٢٩٦، ٢٩٦/٣ ٢٢٥/٥ وغایة النهاية ١/١ ٣٧١/٢، ٥٣٧ ومرآة الجنان ١/٤ ٤٢٢ والمزهر /٢ ٤١٠ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٦١) الفهرست ١٠٤ ومعجم الادباء ٧/٤ ٢٥٤ وانباه الرواية /٣ ٣٦٤ ووفيات الأعيان ٦/٨٥.
- (١٦٢) غایة النهاية /١ ٤٧٠.
- (١٦٣) الفهرست ١٠٦ وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ونزة الألبة ٦٨ وانباه الرواية /٢ ٢٥٦ ووفيات الأعيان ٣/٢٩٦ وغایة النهاية ١/١ ١٧/٢ ٥٣٦ ومرآة الجنان ١/٤ ٤٢٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٦٤) غایة النهاية /١ ٥٣٦، ٢٧٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٦٥) غایة النهاية /١ ٦٣، ٦٣/٥٣٦ وطبقات المفسرين ٤٠١.
- (١٦٦) قدب اللغة ٢١/١ ومعجم الادباء ٧/٥ وانباه الرواية /٣ ١٣٢ ووفيات الأعيان ٤/٣٠٦ وشدارات الذهب ٢/٧٠.
- (١٦٧) معجم الادباء ٦/٧ ووفيات الأعيان ١/١ ١٨٢.
- (١٦٨) غایة النهاية /١ ٥٣٦، ٣٤٣ وطبقات المفسرين ٤٠٢.
- (١٦٩) الفهرست ٤٥ وغایة النهاية ١/١ ٣٤/٢، ٥٣٦ وطبقات المفسرين ٤٠١.
- (١٧٠) الفهرست ٤٥، ٤٥ وقدب اللغة ١/٢٢ ومعجم الادباء ٧/٢١١ وطبقات المفسرين ٤٠٢.

- ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠٣) تذيب اللغة ٢٠٩/١٠ واباه الرواة ٣١/١ ٢٧٢، ٢٣٣ .
- ٤٠٤) طبقات التحويين ٢٧٨/٢ .
- ٤٠٥) تاريخ الادب العربي ١٩٩/٢ .
- ٤٠٦) تاريخ الادب العربي ١٩٩/٢ .
- ٤٠٧) الفهرست ٩٨ ونرفة الألباء ٧١ ومعجم الادباء ٥/٥ وغاية
النهاية ١/١ ٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ وطبقات المفسرين ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠٨) الفهرست ٩٨، ٥١ ونرفة الألباء ٧١ ومعجم الادباء ٥/٥ ونرفة الألباء ٧٠،
معجم الادباء ٥/٥ واباه الرواة ٢٠٠/١ ٢٥٧، ٢٧١، ١٤/٢٧١ وغاية النهاية
١/١ ٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ وطبقات المفسرين ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠٩) الفهرست ٩٨، ٥٥ ونرفة الألباء ٧١ ومعجم الادباء ٥/٥ واباه
الرواة ٢/٢٧١ وغاية النهاية ١/٥٣٩ وطبقات المفسرين ٤٠٢ .
- ٤٠١٠) لسان العرب (كير) ٦/٤٤ .
- ٤٠١١) ماتلحن فيه العامة ٦٨/٢ .
- ٤٠١٢) تذيب اللغة ١٦/١ والبسماز والذخائر ١/٣١ والعباب الراخر
(الممنز) ٢٩ و(الطاء) ٢٢٦ والمهر ٥٩/١ .
- ٤٠١٣) الفهرست ٩٨ ونرفة الألباء ٧١ ومعجم الادباء ٥/٥ واباه
الرواة ٢/٢٧١ وغاية النهاية ١/٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ وطبقات
المفسرين، ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠١٤) الفهرست ٩٨ ومعجم الادباء ٥/٥ واباه الرواة ٢٠٠/١ ٢٧١/٢ وغاية
النهاية ١/١ ٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ وطبقات المفسرين ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠١٥) الفهرست ٩٨ ومعجم الادباء ٥/٥ واباه الرواة ٢/٢٧١ وغاية
النهاية ١/١ ٥٣٩ وطبقات المفسرين ٤٠٢ .
- ٤٠١٦) النمل ٥٦/٢ .
- ٤٠١٧) في الأصل: عبارة ((فانه بالفتح)) تقدمت على الآية الكريمة، خلافاً
للتزامه .
- ٤٠١٨) العنكبوت ٤٥/٢ .
- ٤٠١٩) سبا ٨/٢ .
- ٤٠٢٠) في الأصل: ((الاصطفا)) بغير همز .
- ٤٠٢١) الصافات ١٥٣/٢ .
- ٤٠٢٢) ص ٧٥ .
- ٤٠٢٣) في الأصل: عبارة ((فانه بالفتح)) تقدمت على الآية الكريمة، خلافاً
للتزامه .
- ٤٠٢٤) غافر ٢٦ .
- ٤٠٢٥) العربية ٨٩—٩٠ .
- ٤٠٢٦) نشرته للكتاب: المقدمة ٢٢ .
- ٤٠٢٧) المعجم العربي ١/٩٧—٩٨ .
- ٤٠٢٨) مجلة الآشوريات برلين: مع ١٣ ص ٢٩ .
- ٤٠٢٩) الدراسات اللغوية عند العرب ١٧١/١ .
- ٤٠٣٠) ماتلحن فيه العامة ٦٩—٧٨ .
- ٤٠٣١) الانسان ١٩٤/٢ وكشف الغموض ١٥٨٤/١ .
- ٤٠٣٢) الفهرست ٩٨ ونرفة الألباء ٧٠ ومعجم الادباء ٥/٥ واباه الرواة
٢/٢٧١ وغاية النهاية ١/٥٣٩ وبغية الوعاء ٢/١٦٤ وطبقات
المفسرين ٤٠٢ وفتح السعادة ١٧١/١ .
- ٤٠٣٣) مجالس العلماء ٢٣٩ والمصاحف ٣٩ والبسماز والذخائر ١/٣١ .

- ٢٩١) انباه الرواة ٢٦٠ / ٢ نور القبس .٢٨٤

٢٩٣) معجم الادباء ٥ / ١٠٨ ، ١٨٣ وانباه الرواة ٢٧١ / ٢ .٣١٥

٢٩٤) الفهرست .٩٧

٢٩٥) تاريخ بغداد ١٤ / ٢٦١ وانظر: الفهرست .٢٨٦

٢٩٦) الفهرست .٩٧

٢٩٧) طبقات التحويين ١٤١ ونور القبس ٢٩٠ وتاريخ بغداد ١١ / ٤١٣ ونبأه الرواة ٢٦٨ ومرآة ونزهة الآلية ٧٤ ومعجم الادباء ٥ / ١٩٨ وانباه الرواة ٢٦٨ ومرآة الجنان ٤٢٢ وغاية النهاية ١ / ٥٣٩ وبقية الوعاء ٢ / ١٦٤ وطبقات المفسرين .٤٠٢

٢٩٨) الكامل في التاريخ ٦ / ١٩٣ .

٢٩٩) الفهرست .٢٨٧

٣٠٠) الأغاني ٥ / ٤٦ .

٣٠١) معجم الادباء ٥ / ١٨٣ وبقية الوعاء ٢ / ٣٣٧ وطبقات المفسرين .٤٠٢

٣٠٢) مفتاح السعادة ١ / ١٣١ .

٣٠٣) انباه الرواة ٢ / ٢٦٨ .

٣٠٤) طبقات التحويين ١٤٢ .

٣٠٥) غاية النهاية ١ / ٥٣٩ .

٣٠٥) دول الاسلام ١ / ٨٦ ومرrog الذهب ٢ / ٢٦٧ ومراتب التحويين ٧٥ وطبقات التحويين ١٤١ والتيسير ٧ وتاريخ بغداد ١١ / ٤١٤ ونزهة الآلية ٧٤ ومعجم البلدان ٢ / ٨٢٥ ومعجم الادباء ٥ / ١٨٣ وانباه الرواة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ٣ / ٢٩٦ ، ٤ / ٢٩٥ ، ٤ / ١٨٥ ، ٤ / ٢٩٥ وغاية النهاية ١ / ٥٣٩ والنشر ١ / ٥٣٩ والمهر ٤ / ٤٦٣ وبقية الوعاء ٢ / ٣٣٧ وطبقات المفسرين ٢ / ٤٠٢ وفتاح السعادة ١ / ١٣١ وشذرات الذهب .٣٢١

٣٠٦) مراتب التحويين ٧٥ وطبقات التحويين ١٤١ والفهرست .٢٨٧

٣٠٧) راتب القبس ٢٩٠ وانباه الرواة ٢ / ٢٦٨ .

٣٠٧) الأخبار الطوال ٣٦٩ وتاريخ الطبرى ٨ / ٣١٤ وفديب اللغة ١ / ١٦ .

٣٠٨) تاريخ بغداد ١١ / ١٤ وانباه الرواة ٢ / ٢٦٨ وغاية النهاية ١ / ٥٣٩ والنشر ١ / ١٧٣ .

٣٠٩) معجم البلدان ٢ / ٨٢٤ .

٣١٠) معجم الادباء ٥ / ١٩٩ ووفيات الأعيان ٣ / ٢٩٦ .

٣١١) معجم الادباء ٥ / ١٩٩ ووفيات الأعيان ٣ / ٢٩٦ .

٣١٢) نزهة الآلية .٥٦ .

٣١٣) معجم الادباء ١٣ / ٢٠٢ .

٢٩٢) انباه الرواة ٢ / ٢٦٠ ولسان العرب ٦ / ٤٤ ولاقان .١١٤

٢٩٣) قذيب اللغة ١ / ١٦ وتاريخ بغداد ١١ / ٤١١ وانباه الرواة ٢ / ٥٦ .٢٦٥

٢٩٤) تاريخ بغداد ١١ / ٤١٠ وانباه الرواة .٢٦٥

٢٩٥) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٦ وانباه الرواة .٢٦٠

٢٩٦) قذيب اللغة ٣ / ١٤٠ .٢٥٤

٢٩٧) معجم الادباء ٥ / ١٩٠ وانباه الرواة .٢٧٤

٢٩٨) طبقات التحويين ١٤١ .٢٥٦

٢٩٩) معجم الادباء ٥ / ١٨٥ وبقية الوعاء .١٦٣

٢١٠) معجم الادباء ٥ / ١٩٣ وفديب اللغة ١ / ١٦٣ .٢٥٧

٢١١) مراتب التحويين ٧٤ .٢٦٦

٢١٢) تاريخ بغداد ١١ / ٤١٤ .٤١٤

٢١٣) مفاتيح السعادة ١ / ١٣٠ ووفيات الأعيان ٣ / ٢٩٥ .٢٦٨

٢١٤) معجم الادباء ٥ / ١٩٠ ونور القبس .٢٧٢

٢١٥) بقية الوعاء ٢ / ١٦٤ .٢٧٤

٢١٦) مراتب التحويين ٧٤ .٢٧٨

٢١٧) مراتب التحويين ٧٤ .٢٧١

٢١٨) مراتب التحويين ٧٤ .٢٧٦

٢١٩) التصحيح والتحريف .٣٢

٢٢٠) التصحيح والتحريف .١٢٢

٢٢١) التصحيح والتحريف .١٢٤

٢٢٢) التصحيح والتحريف .١٢٦

٢٢٣) أخبار التحويين ٣٥ .٢٨٢

٢٢٤) طبقات التحويين ١٤٢ وأخبار التحويين ٣٥ وتاريخ بغداد ١١ / ٤١٣ وغاية النهاية ١ / ٥٤٠ .٢٨٤

٢٢٥) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٧ ونزهة الآلية ٧١ وانباه الرواة ٢ / ٢٦٢ .٢٨٥

٢٢٦) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٨ ونزهة الآلية .٧٢

٢٢٧) تاريخ بغداد ١١ / ٤٠٨ وانباه الرواة ٢ / ٢٦٣ .٢٨٦

٢٢٨) معجم الادباء ٥ / ١٩١ وبقية الوعاء .١٦٣

٢٢٩) قذيب اللغة ١ / ٤ .٢٨٩

٢٣٠) معجم الادباء ٥ / ١٩١ وبقية الوعاء .١٦٣

كمال ابراهيم العبيدي الاعظمي

١٣٩٣هـ . ١٣٢٨هـ

١٩٧٣م . ١٩١م

أ.د. نهاد فليح حسن العاني

اسراء عامر شمس الدين
جامعة اطيسندرية

والشاعر أحمد شوقي، والمفكر الشيخ محمد عبد المطلب وغيرهم من الشباب الذين رحبوا بتأسيس (جمعية الوحدة العربية) على ضفاف النيل هدفها ضم شمال آسيا الصاد، وعقد تعارف وثيق بينهم وكان كمال ابراهيم من أوائل المؤسسين لها مما يعبر عن توجهه الوطني المبكر^(١).

لزواجه الوظيفي في الدوائر التعليمية وغيرها:

- عمل مدرساً في دور المعلمين والمدارس الثانوية المختلفة، ومنها:
- درس في دار المعلمين العالية أعوام ١٩٢١ — ١٩٣٢
- ١٩٣٥ — ١٩٣٧ م.
- درس في المتوسطة الغربية ببغداد / الرصافة عام ١٩٣٣
- ١٩٣٤ وفي ثانوية البصرة العام الدراسي ١٩٣٢ — ١٩٣٣
- ١٩٣٤ — ١٩٣٥ م.

— درس في المتوسطة المركبة ببغداد / الرصافة والثانوية المركبة أعوام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ — ١٩٣٩ م.

— درس في ثانوية الموصل عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ م.

— درس في الثانوية العسكرية التابعة لوزارة الدفاع في عام ١٩٣٩ وهنا كان اتصاله بالضباط الاحتراز الذين فجروا

كمال بن ابراهيم أفندي بن محمد بن حسن بن حمادي ابن إسماعيل العبيدي الاعظمي، من فخذ (البو علي) من العبيد في العراق. ولد في محلة الشيوخ بالأعظمية من عام ١٩١٠ م. من بين أربعة اخوة هم: اللواء محمد، والدكتور سعدي، والدكتور عزيز، والسيد عبد الملك.^(٢)

مصادر ثقافته:

الهى مرحلته لتعليمية الأولى في كتاب الأعظمية العلمية ليدخل مدرسة أبي حنيفة التي تؤهله لتلقي دروس عالية في العربية والتشريع الإسلامي، وفي عام ١٩٢٤ تخرج في كلية الإمام الأعظم ثم التحق في العام ١٩٢٧ م بجامعة آل البيت (الشعبية الدينية العالية) وهي الجامعة الأولى في العراق في حينه.

في عام ١٩٢٨ اختير للبعثة العلمية العراقية الأولى إلى معاهد مصر فالتحق بكلية دار العلوم وقد آثرته من بين الطلبة العراقيين بقبوله في السنة الثانية من مراحلها الدراسية^(٣). فكانت فرصة للتقاء لمحة من الشعراء والثقفains منهم الشاعر العراقي عبد الحسن الكاظمي،

وبتاريخ ١٩٥١/٣/٣ منح لقب (استاذ). وهذا اللقب العلمي أهله لرئاسة قسم اللغة العربية في كلية التربية ثم عمادها.^(٦)

إيفاده خارج العراق:

- أوفرد إلى جامعة كامبردج مخاضراً للتدريس اللغة العربية.
- وفي تاريخ ١٩٦١/٦/١٩ أوفرد إلى لندن مدة سنة واحدة تشيّاً مع خطبة جامعة بغداد لتفوقية مستوى البحث العلمي الجامعي والإداري إذ كان عميداً لكلية التربية في العام نفسه.
- وبوجوب بسود منهجه التعاون الثقافي بين العراق ويوغسلافيا أوفرد إلى يوغسلافيا في عام ١٩٦٢ م.
- وأوفد في العام نفسه إلى بلغاريا لالقاء محاضرات ثقافية عامة في فلسفة اللغة العربية وآدابها، والتعرّيف بأدباء العراق وشعرائه في القرن العشرين.^(٧)

قالوا في شخصية د. نعيم ابراهيم:

قالوا في شخصه: كان هادئ الطبع، غزير العلم، فصيح العربية لا يعتمد العامية في كلامه مطلقاً. وسئل الطبيب د. كمال السامرائي يوماً عن دوافع تجاهه نحو الأدب والتأريخ؟ فقال: نعم، نعم د. نعيم ابراهيم أحد أسرتي، إنه إذ أحبني ((دعني بارشاداته القيمة إلى أن أقرأ الكتابات العربية القديمة))^(٨) ويمكن إجمال شخصيته بصفتين هما: قدرته العلمية الفائقة وسمو أخلاقه وتواضعه.^(٩) كان قليل الكلام عن نفسه، منتصراً إلى التدريس وإفاده الطلاب طوال نصف قرن من عمره.. لهذا لم ينهض إلى نشر البحوث وأذاعettes من نتاجه العلمي. وكان واضح الصوت راوياً للأحداث موثقاً إياها مكانياً وزمانياً.^(١٠) إنه شامل في العربية وعلومها، ومستوياتها كلّ لا يتجزأ: الصوت

ثورة مايس ١٩٤١، وكانت المهمة الموكّلة له إعداد بيانات الثورة وأذاعتها من الإذاعة السرية في أحد بساتين الأعظمية بشارع عمر بن عبد العزيز، مما أدى إلى فصله من وظيفته خمس سنوات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ م.

— وفي العام نفسه أعيد تعيينه مدرساً في دار المعلمين العالية بقرار من وزارة المعارف نشرته صحيفة البلاد^(١١).

— وفي عام ١٩٥٠ عُين مديرًا عامًا للدعائية من أجل إصلاح الإذاعة إلا أنه أُعفي من منصبه بعد تشكيل وزارة نوري السعيد ليعود مدرساً في دار المعلمين العالية — لكليّة (التربية) بالوكالة — وهو الاسم الجديد الذي صارت إليه دار المعلمين العالية — ثم تولى رئاسة قسم اللغة العربية في الدار وأختير عميداً بتاريخ ١٩٥٨/٩/٣٠ ، واستمر يمنصب العمادة ثلاثة سنوات من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٢ م. ثم كسب للعمل في معهد الدراسات الإسلامية في العام ١٩٦٢ م.

— أحيل على التقاعد بناء على طلبه في ١٩٧٣/٤/٧^(١٢) فكرّم في حفل مهيب أقيم في نادي جامعة بغداد في السادس الخميس ١٩٧٣/٥/١٧ لوديعه بعد إفاء خدمته ومسيّره العلمية. أما عميد الكلية الاستاذ الدكتور خليل حشاش فقد وذّعه بكتاب رسمي ذكر فيه سيرته العلمية والأدارية والعلمية، متمنياً له الراحة وادامة العمل العلمي في اعداد مؤلفاته للنشر والبحث العلمي.^(١٣)

لقبه العلمي:

منح لقب (استاذ مساعد) في عام ١٩٤٩ م، بعد تعيينه بلقب (مدرس) في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٧ م.

كتاب أغلاط الشعراء، وكتاب دراسات في فقه اللغة، وكتاب دراسات عن رجال الفتح الإسلامي، وكتاب نقوش وردود في اللغة. وجميعها مخطوطة لمطبع ولم تنشر. أما آثاره المخطوطة في مكتبه الخاصة بحوزة اسرته فهي:

- المذاهب النحوية ونشأة العامية.
- شرح أصول المحاكمات الحقوقية.
- النهضة العربية وعوامل تكوينها^(١٧).

آثاره المطبوعة

تقسم آثاره المطبوعة والمشورة على قسمين الأولي لغوية والأخرى دراسات أدبية. والدراسات اللغوية متعددة بين الكتاب، والمقدمة، والبحث، والمقالة أما الكتب فهي:

- ١— كتاب أغلاط الكتاب، طبع عام ١٩٣٥ م به فيه على أخطاء لغوية شاعت على ألسنة المثقفين في العصر الحديث، ومنهجه في الكتاب يقوم على حصر الأخطاء الشائعة في أربع مجموعات.

الأولى: في تقويم الألسنة في نطق الألفاظ العربية نطاً صوتياً سليماً مما لا يظهر في الكتابة وقدم فيها مجموعة من المفردات استشرى الخطأ فيها بين الحركة والسكنون. كالحلقة والسمنة، والشعب، والضفة، والفوهة.

والثانية: في تصحيح البني الصرفية التي غاب القياس الصرف في استعمالاتها، كالثوري في النسب إلى التثرة، وجمع حاججة حوانج، وحاجة حاجات، ولكل مفرده الذي يجمع عليه. ومدين أفصل من مديون، وأخفر متعددي خقر.

والصرف والنحو وغيرها مما يتعلق بعلم العربية، فنihil الطلبة من علمه اللغوي في مواد: علوم القرآن، والصرف، والنحو، والخلاف النحوي، والأدب الاندلسي وغيرها من مفردات قسم اللغة العربية في كلية التربية.^(١٨) أما عن سبب اختياره العربية لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الوطنية والقومية ولأنها لغة حضارية.^(١٩) وأسلوبه في كتابة الص الأدبي: متسلل جزل يحمل صفة وصفية تبرز بـ تعدد المفردات المعبرة عن فكرة واحدة، وبسجعات غير متکلفة. ويکاد اسلوبه في تناول الحديث ينحدر إلى الجانب القصصي^(٢٠).

وفاته:

في الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم ٢١/٦/١٩٧٣ م الموافق ٤/١٤/١٣٩٣ من العام الهجري وبعد الانتهاء من مناقشة طالب الماجستير السيد محمد حسين آل ياسين، أصيب بنوبة قلبية فارق على أثرها الحياة وشيع عصراً ودُفِن في مقبرة الخيزران بالأعظمية. وكانت جامعة بغداد قد نعت استاذًا اعطتها الكثير وفضلها بانصرافه إلى التدريس في اقسامها على غيرها من متطلبات الحياة وزهده فيها.^(٢١).

آثاره:

للأستاذ كمال ابراهيم آثار مخطوطة وأخرى مطبوعة ألف قسماً منها بمفرده واشترك في قسم آخر مع اساتذة آخرين، فضلاً عن مقدادات للكتب العلمية وبحوث ومقالات بعضها منشور وأخرى لم تنشر.

آثاره المفقودة:

ما أشارت إليه بعض الدراسات والمقالات هي.^(٢٢)

الضمائر.^(١٩)

اما اطقدعات على الكتب فمنها:

١— مقدمته لديوان أبي الطيب المتنبي، المسمى بـ (الفسر) تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، صدر في بغداد عام ١٩٨٨م. أعقب المقدمة باستدراكات أوضح فيها ماورد مصحّحًا أو محرفًا من الألفاظ، وردة فيها على أوهام الحق، وضبط بعض مفردات الديوان ضبطاً صحيحاً، وذكر بعض الاختلاف في رواية الآيات. وعدد صفحات المقدمة خمس عشرة صفحة كتبها عام ١٩٧٠م.^(٢٠)

٢— مقدمته على كتاب موجز البيان في مباحث القرآن، تأليف المرحوم كمال الدين الطائي، الذي صدر عام ١٩٧١، وهي مقدمة موجزة في ثلاث صفحات أوضحت فيها التوجه الفكري عند المؤلف^(٢١)

والبحوث المنشورة في الجلات العلمية المحكمة، هي:

١— إنحطاط العربية في العراق... أسبابه وعلاجه^(٢٢)

٢— سببويه... أثره في تطور الثقافة العربية ومنهجه في البحث العلمي^(٢٣)

٣— أبو العباس المبرد.^(٢٤)

٤— الكسائي رئيس مدرسة الكوفة التحوية.^(٢٥)

٥— واضع النحو الأول وأطوار مناهجه في المدرسة البصرية.^(٢٦)

ومن مقالاته في علوم اللغة:

١— الاستساليات...^(٢٧)

٢— اللغة العربية بين أدعيائها ورجالها.^(٢٨)

٣— محنّة الفكر وأزمة التأليف والصحافة الأدبية في العراق.^(٢٩)

ناتج الفكري من الدراسات الأدبية:

والثالثة: في تصحيح التراكيب الحسوية، مثل لزوم تعدية الفعل بحث بحرف الجر (في) ومنه قوله تعالى: ((فبعث الله غرابة يحيث في الأرض)) المائدة (٣١) ولزون تعدية الفعل (بني) بالحرف (على) نحو (بني على أهلة)، وعدم اتباع خبر (كاد) بـ (أن) نحو قوله تعالى: ((فذبجوها وما كادوا يفعلون)) البقرة (٧١). والرابعة: في تصحيح الألفاظ بيانياً، لأنّه رأى أن بعض الألفاظ استعملت في غير معانٍها وارتَأى استبدالها بما يلائم السياق، قالوا: إن البحريّة هم عمال الباخر ووجه الاستعمال نحو: بخار أو ملاح أو صادي أو نوني لأن البحريّة المرأة العظيمة البطن.^(٣٠)

٢— كتاب عمدة الصرف، ضم دروساً في مادة الصرف أقيمت على طلبة دار المعلمين العالية، يقع في (٢٧٦) صفحة، طبع أكثر من طبعة عام ١٩٥٧م. وقد عُدّ كتاباً منهجاً على طلبة المراحل الأولى والثانوية بقسم اللغة العربية في كليات الآداب في القطر. درس فيه أهم مباحث علم الصرف كتصريف الأفعال، مجردها ومزيدتها، دلالة صيغها، ثم مباحث المشتقات كصيغ المبالغة، واسم المفعول والصفة المشبهة واسم الالة، واسم الفاعل، واسم التفضيل، واسماء الزمان والمكان، أما في مباحث الأسماء فقد وقف عند المقصور والمددود من انواعها، وأنواع الجموع، وأحكام تكسير الاسم المفرد للدلالة على الجمع، والدلالة العددية لصيغ جموع التكسير، والصغرى، وأحكامه، وأنواعه والنسبة وأوجه قياسه. ضم المباحث المشتركة بين علمي الصوت والصرف كالإبدال، والإعلال، والقلب، والأدغام والوقف وأحكام الوقف في الأفعال وأحكامه في

أولاً. الكتب:

٢— ابن المفع... مقومات شخصيته وفنه الكتابي.^(٣٣)

رابعاً. اهتمامات:

١— ساعات مع الكاظمي...^(٣٤)

٢— ساعة عند أمير الشعراء...^(٣٥)

٣— ساعة في متحف طوب قبر...^(٣٦)

٤— قصيدة (يوم الرسول)...^(٣٧)

٥— وأنت الأعلمون...^(٣٨)

٦— روح الإسلام ينتصر...^(٣٩)

٧— الإسلام ينتصر...^(٤٠)

٨— في سبيل حمامة الجيل الجديد...^(٤١)

٩— توجيه الشباب إلى المثل العليا...^(٤٢)

١٠— تراثنا الأدبي...^(٤٣)

١١— مهمة الأدب في توجيهه الجيل الجديد...^(٤٤)

١٢— لكتوبين رأي عام موحد...^(٤٥)

١٣— بين مأساتين، فلسطين في مرحلتها الأخيرة...^(٤٦)

١٤— حانت ساعة النصر، واجبات المسلمين في المرحلة الحاضرة^(٤٧)

١٥— جريدة الفجر وجريدة العصر للعماد الاصبهاني
الكاتب...^(٤٨)

اما رسائله التي أشرف عليها وكان له الفضل في إنجازها، فهي:

— أشرف على رسالة الماجستير، للسيد خليل اسماعيل العاني، الموسومة بـ (التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم).

١— كتاب ديوان الأدب، مؤلف دراسي مقرر لطلبة الصفوف الخامسة الاعدادية صدر سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ بالاشتراك مع الاستاذين محمد بحجة الأثري وعبد الكريم الدجيلي، والآخر بالعنوان نفسه لطلبة الصفوف الرابعة الاعدادية طبع عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ م والجهد بينهم تضامني.

٢— الأساس في تاريخ الأدب، وشارك في تأليفه مع الأستاذين محمد بحجة الأثري، ومصطفى جواد صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٤٥ م، وفي مقدمة الكتاب إشارة إلى جهد كل واحد منهم، وكان التأليف في العصر الأموي مما أسهم فيه كمال ابراهيم في تأليف الكتاب بل كان هذا العصر من تاريخ الأدب العربي من المهام الموكلة به، وتُقل عن المرحوم د. مصطفى جواد قوله: إنَّ هذا الأساس ليس أساسنا.^(٤٩)

ثانياً. اهتمامات:

— له مقدمة وتعليقات أدبية نادرة على كتاب: الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه، للشاعر معروف الرصافي، صدر الكتاب عام ١٩٥٦ م. شاركه في التقديم، والتعليق المرحوم مصطفى جواد، وجهد كل واحد منهمما يتميز من الآخر بوضع الرمزين (ك/أ) و (م/ج). والكتاب مجموعة من المحاضرات أملأها الشاعر الرصافي على طلبة دار العلمين في فن العروض والقافية.

ثالثاً. البحوث:

١— كليلة ودمنة...^(٥٠)

دالفع جمع اللغة وضوابط سعاعها وتدوينها، وجع الحديث النبوى الشريف وتدوينه فالمهدى فىهما واحد يقول: ((رأى علماء اللغة والنحو حفظاً لها وثبتاً للصحيح منها أن يقتدوا بأهل الحديث في السماع والنقل والرواية لأخذ اللغة الصحيحة من أربابها))^(٤٤) ومراتب السماع عنده هي: القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوى الشريف، وكلام العرب الصحيح وقد استشهد بها جميعاً في مواضع مختلفة من نتاجه في البحث اللغوى، وهي ماالتزم بها الباحثون قديماً وحديثاً في مجدهم العلمي.

ـ القرآن الكريم: أعطى الأستاذ كمال ابراهيم الشاهد القرآني المكانة الأولى في استباط القواعد الموضوعية فـ (تلك الشواهد التي أوردها التحويون في كتبهم واستبعطوا منها القواعد الموضوعية فاما في الغالب من آي القرآن الكريم)).^(٤٥) اذ انكر في تصويباته اللغوية الفاظاً وتراكيب

غير موافقة لما جاء في النص القرآني، منها تخطئة قوله: (ينبغي على) والصواب: (ينبغي له أولى اولها، مستشهدأ بقوله تعالى: ((لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر)) يس (٤٠) قوله سبحانه: ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له)) يس (٦٩) ويسترسل في استعمال الشاهد القرآني وأوجه قراءاته في مختلف مباحثه الصرفية^(٤٦)

الحديث الشريف

عرض الأستاذ كمال ابراهيم في إحدى محاضراته مسألة الاحتجاج بالحديث النبوى الشريف وآثار الخلاف بين علماء المسلمين في جواز الاحتجاج به، ويتجلى رأيه في هذه المسألة، ان الحديث الشريف مجال خصب للاستشهاد إذا

ـ أشرف على رسالة الماجستير للسيد نعمان حسين عبد الغنى الموسومة بـ (البناء والمبنيات من الاسماء)

ـ أشرف على رسالة الماجستير للطالب عبد الجبار النايل، الموسومة بـ (الشواهد والاستشهاد في النحو).

ـ أشرف على رسالة الماجستير للطالب محمد ضاري حمادى، الموسومة بـ (الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية).

ـ أشرف على رسالة الماجستير للطالب عبد الأمير محمد أمين الورد، الموسومة بـ (منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية)...^(٤٧)

ـ كان عضواً في لجنة مناقشة طالب الماجستير السيد محمد حسين ال ياسين، الموسومة بـ (الأضداد في اللغة)..^(٤٨)

منهجه في البحث اللغوي وادله الصناعة اللغوية
عنه:

يقف المتابع لممؤلفات كمال ابراهيم اللغوية على شخصية غير موافقة لما جاء في النص القرآني، منها تخطئة قوله: علمية موضوعية حيادية متوكية الدقة في استباط القواعد والأصول، يُبَرِّزُ رأيه على وفق ما يجده ملائماً للموضوع القائم على بحثه من غير تعصب وانه مع الحق بحسب ما يرى ويعتقد. وهو في دراساته جميعاً يعتمد على أسس علمية رصينة في متابعة التأليف اللغوي عند الأوائل، وهي: السماع، والقياس، والتعليل.

اولاً: السماع:

ويقصد به المسموع من كلام العرب الصحيح الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة، واعتمد كمال ابراهيم هذا الدليل في الموازنة بين

وفي مباحث علم الصرف أورد أن من معاني المزيد (فعّل)
التكلف، والمعاناة والمطاوعة واستشهاد بقول حاتم الطائي
(ت ٦٤ ق. هـ).^(٥٨)

تحمّل عن الأدرين واستيق وذهم
ولن تستطيع الحلم حتى تعلما
ومن شواهده في التراكيب العربية، أنه إذا اجتمع شرط
وقسام في التراكيب فالجواب للسابق منهم قول النابغة
الذهبي (ت ١٨ ق. هـ):
لَنْ كُنْتْ قَدْ بَلَغْتَ عَنِي خِيَانَةً
لَمْ يَلْعُكَ الْوَاشِي أَغْشِ وأَكْدَبْ^(٥٩)
ودعم قوله في استعمال فعل الأمر (أخص) من أخصى
المصدر أخصاء، بقول الرصافي:

أَخْصٌ فِي الْعِلْمِ إِنْ أَرَدْتَ كَمَا

ووصولاً إلى الفخار الأتم^(٦٠)
أراد كمال ابراهيم – على ما يبدو – في تقليله بشعراء
عصره لا يقصي شعراء أحاطوا بالعربية إحاطة فانقة
كالرصافي وحافظ ابراهيم، وابراز الجديد من الألفاظ في
معانيها السياقية الجديدة لاختلاف الصور الأدبية من عصر
إلى آخر على أن لا يكون الاستعمال مخلاً بقياس اللغة.

ثانياً. القياس:

اصطلاحاً: هو الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة
الأول صحة الثاني وفي الثاني فساد الأول^(٦١) وظهر دليل
القياس أساساً من اسس البحث اللغوي مبكراً في الدرس

توافرت عوامل تدعم الاحتجاج به، منها إذا قصد في جمه
مخافة الله، وتوكّي الرواية الدقة والأمانة في سمعه وروايته،
وأقام على المهمة رجال ثقات، ومن شواهده جواز استعمال
الفاظ بمعانيها فيما ورد منها في الحديث الشريف، نحو كلمة
(سفسياف) للرديء أو السيئ من الأمور^(٦٢) معزواً رأيه
بقول الرسول (ص): (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِي الْأَمْرِ وَيَكْرَهُ
سَفَاسِفَهَا).^(٦٣) وكلمة (قيم) يعني الاستقامة والعدل، جاء
في قول (ص): (أتاني مثل فقال: أنت قيم وخلقك قيم)^(٦٤)
وكلمة (سواسية) يعني متساوين ومنه الحديث الشريف:
((الناسُ سواسية كأسنان المشط)).^(٦٥) إن الأحاديث التي
اعتمدها كمال ابراهيم مرفوعة السند لما يكتمه منهجه في
البحث اللغوي ومن دون احالة إلى مصادرها.

كلام العرب

تقسم الفنون الأدبية التي وصلت إليها على قسمين:
منظوم ومشور، وحدد عصر الاستشهاد بالزمن المتافق عليه
من لغوينا الأوائل ونحوينا بالوقوف في عصر الاستشهاد
بابن هرمة (ت ١٥٠ هـ). والمتبع لشواهد كمال ابراهيم
الشعرية يلاحظ انه التزم بضوابط الاستشهاد بالشعر،
فأغلب أبياته من شواهد اللغة كانت من شعراء ما قبل
الإسلام ويقدم إلى شعراء العصر الإسلامي، إلا أنه تقلّل
بشعر المعاصرين له كحافظ ابراهيم والرصافي إن جاءت
ألفاظهم وتراكييthem موافقة لضوابط العربية وقياسها. ومن
شواهد: أجاز استعمال لفظة (حنانيك) مثابة^(٦٦) مستشهدًا
بيت طرفة بن العبد (ت ٦٠ ق. هـ).^(٦٧)

أبا منذر أفتئت فاستيق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

الآخر وله نظير من الصحيح نحو فِرْيَةٍ وفِرْيَ ونظيره من الصحيح فِرْيَةٍ وفِرْيٌ.^(١٩) ومثلها يقال في قياس الاسم المدود القياسي،^(٢٠) أما الحذف القياسي في باب الاعلال فله ثلاثة مواضع هي: حذف الهمزة من الفعل الماضي الرباعي المزيد بالهمزة في أوله عند اشتغال صيغة المضارع نحو أَكْرَمْ يُكْرَمْ وأَبْدَعْ يُبْدَعْ، وحذف فاء الفعل من الماضي المثال لعنة صوتية نحو وَعَدَيْدَ وَقَفَيْفَ، وجواز حذف عين الفعل الماضي المضعف عند اسناده إلى ضمير رفع متصل نحو: ظَلَّتْ وَظَلَّتْ في ظَلِيلَتْ.^(٢١)

ثالثاً. النعليل

العلة: هي تغيير المعلول عمما كان عليه^(٢٢) والعلة هي السبب، وقد وقف كمال ابراهيم عند العلة في التغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة وقسمها على أنواع، منها:

ـ علة الاستقال والاستخفاف: علل كمال ابراهيم لحذف علة الاستقال والاستخفاف من الفعل المضارع والأمر من الماضي المثال اذا كان مكسور العين مرجعاً ايها الى سبب صوتي وذلك لنقل اجتماع حرف علة مع الحركة غير الجانسة للواو في موضع واحد نحو وَعَدَيْدَ عَدُّ وَرِثَيْرِثَ^(٢٣) موافقاً تعليلاً البصريين في احتجاجهم بميل المتكلم نحو التخفيف في التركيب الداخلي للبنية.^(٢٤) وبها علل حذف الياء من الاسم المنقوص اذا جمع جمعاً مذكراً سالماً وضم الحرف ما قبل الواو او كسر الحرف ما قبل الياء من احرف الاعراب لتناسب الحركة الحرف ولنقل اجتماع احرف العلة في موضع واحد نحو قولهم في قاض قاضون وفي راع راعون وقاضين وراعين^(٢٥) ومنها قول ابن فتيبة (ت ٢٧٦ هـ): ان

الحوى اعتمدته كل من المدرستين البصرية والковفية في اثبات اصولهما النحوية، وان ظهر بعض الاختلاف في اعتماده من حيث الشمول والاطلاق او الحصر والتضييق. ورأى كمال ابراهيم أن القياس النحوي لدى الكوفيين أكثر شمولاً واطلاقاً منه عند البصريين لانه شمل الشائع الغالب وغير الغالب الشائع من كلام العرب^(٢٦) واستوجب على الباحث في القياس ان يقف عند ثلاثة أمور هي:
الأول: ربط الاستباط بالقياس وهو منهج عُرف في حل بعض المسائل الفقهية على وفق المنهج النحوي وكان للксائي باع طويل فيها.

والثاني: الإقرار بأن اللغة العربية قياساً يجب اعتماده في توسيع ظاهرة الاشتغال ودعمها لمواكبة التطور اللغوي فالقياس ظاهرة حضارية في اللغة.^(٢٧)

والثالث: هو ادراج القياس أساساً لدراسة ظواهر الخلاف النهيجي بين المدرستين النحويتين البصرية والkovfية وسيبي ذلك عائد الى نسبة استقراء كلام العرب وما يحييه القياس من المسموع او معارضته له، ويستوجب الدقة في اعتماد الشاهد المقياس من حيث امانة القول ونقائص عربية قائمه ونقاشه.^(٢٨) واهتم كمال ابراهيم كثيراً بالقياس الصريفي في كتابه (عمدة الصرف) كالقول بأصول القياس في انواع الاسم من حيث آخره، فالاسم المقصور القياسي، يقاس في مصدر كل فعل على وزن فعل اللازم معتل الآخر وله نظير من الصحيح يقاس عليه، نحو جَوَيْ جَوَيْ وَهُوَيْ هَوَيْ وَعَمَيْ عَمَيْ، ونظيره من الصحيح فَرَحَ فَرَحَا وَبَطَرَ بَطَرَا، وأشار أشراً ويكفاس في كل جمع تكسر للمفرد فعنة المعتل

أولى بالحذف من الأصل— ولقرها من الطرف وهذا يعني ضعف حرف العلة كلما قرب من الطرف.^(٧٣) وبه على صحة ما جاء عن الخليل وسيويه من حذف الواو الثانية بعد نقل حركة الواو الاولى الى عين الكلمة فيؤدي الى اجتماع حرف علة ساكنين هذا في ذوات الواو اما في ذوات الياء فحذف واو مفعول يكون بقلب الصمة كسرة من اجل مجانستها فقالوا: مبيع ومدين.^(٧٤)

علة الفلة والكثرة في المسموع:

رجح كما ابراهيم ما اطرد سماعه علة لرد ما قل سماعيه، والأخذ بكثرة المسموع في لهجات العرب لتضييف ما قل في الاستعمال، نحو فلك الادغام في الفعل المضعف عند اتصاله بضمير الرفع المتحرك اذ عده قاعدة قياسية تضعف ما جاء أحد الحروفين المثنين وبه قرئ ((ولاتُنْتَنْ تستكش)) المدثر^(٦)، قوله: ((وَيُمْلِلُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)) بالقرة/٣٨٢، والامر المسند الى ضمير مستتر لأنه الأكثر وروداً نحو قوله تعالى: ((وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِك)). لقمان/١٩، مبينا ان لغة أهل الحجاز الفك ولغة غيرهم الادغام.^(٧٥) وعَدَ الحذف لغة لبعض القبائل نحو قراءة قوله تعالى: ((فَضَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ)) الواقعه/٦٥ بلام واحدة.^(٧٦)

علة الطجانسة بين الحركة والسكن:

اذا أدى البناء الى اجتماع همزتين في اول الكلمة فقد التزم كمال ابراهيم بضرورة قلب الهمزة الثانية مدعياً بجانسة حرقة الأولى في الفتح نحو: آمن وأصلها: أَمْنٌ، وبعد قلب الثانية مداً وادغامها في الأولى، وإيمان أصلها: إِيمَانٌ فقلبت الثانية ياءً للمجامسة بين كسرة الأولى والياء. وهذا ما أكدته

حذف الياء استقلالاً بجيء الضمة بعد كسرة والياء ومحيء كسرة بعد كسرة وباء وهو مما يثبت في التشبيه ويحذف في الجمع.^(٧٧)

علة مخافة اللبس:

وقصد بها الزام الصيغة الصرفية في تشكيل بنائي صوتي معين مخالف للقياس للحفاظ على دلالة صرفية معينة لا تتلاقي في دلالة صيغة صرفية اخرى، نحو صياغة الفعل المبني للمجهول من الفعل الأجواف الواوي اذ ألموا كسر فاء الفعل نحو: سام يسوم وسِيم وسِمتْ: بمعنى سامي المشتري، وعلة عدم ضم أوله هي مخافة اللبس مع صيغة المعلوم عند اسناده الى فاعل التكلم نحو: سُمْتْ. وعدم لبسه مع الأجواف اليائي نحو: باع يبيع بعْتْ فيدل على أنه هو قام بفعل البيع، وفي المجهول: بعْتْ بمعنى وجود من باع إلى، وفي الأجواف الواوي الأصل قالوا: خاف يخاف فيضم أوله في المجهول مخافة اللبس باليائي او الواوي المضموم العين.^(٧٨) وأجاز بعض القدماء اشمام الكسرة شيئاً من الضم للتفرقة بين فعل الفاعل و فعل المفعول.^(٧٩)

علة قرب حرف العلة او بعده من طرف الكلمة:

اختلف العلماء في المخدوف من صيغة اسم المفعول من الفعل الأجواف نحو: قال مقول وباع مبيع، وصام مصوم، وداف مدوف، ودان مدين والأصل فيها: مفْوُل ومبْيُع، ومصْوُوم ومذْوَف، ومَدِيُون. ويرى كمال ابراهيم ان المخدوف منها واو الميزان (واو الصيغة الصرفية مفعول) وليس عين الكلمة وزهناً مفعُّل ومَفْعُل في ذوات الواو وذات الواو، وعلة حذف واو الميزان لزيادتها — والمزيد

تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة،
بيروت ١٩٨٧ م.

— اغلاط الكتاب، كمال ابراهيم، المطبعة العربية، بغداد
١٩٣٥ م.

— الانصاف في مسائل الخلاف، ابو البركات الانباري (ت
٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار
الفكر/ بيروت.

— تاريخ الاعظمية، وليد الاعظمي، دار البشائر، بيروت
١٩٩٩ م.

— جامع الاحاديث، الجامع الصغير، جلال الدين
السيوطى (ت ٩١١هـ)، جمع وترتيب عباس احمد صقر
وأحمد عبد الجود، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤ م.

— الخصائص، ابو الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق
محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٤، بغداد

علماء اللغة الأوائل من أن التقاء همزتين في الكلمة واحدة
يؤدي إلى ضرورة ابدال الأخيرة. فكانت ان قلبست ألفاً أو
باء مخافة اجتماعهما.^(٧٦)

— علة الأخذ بالنظر:

حين وازن كمال ابراهيم بين احرف الزيادة في الكلمة
أثر ابقاء ما له مزية على الآخر في لزوم الحذف نحو جمع
مستخرج في التكسير قالوا: مخارج — باقى الميم الزائدة —
لفضل الميم في الدلالة على الصيغة الصرفية المشتقة للكلمة،
وفي جمع المصدر — استخراج — لو أردنا جمعه — نقول:
تخاريغ باقىاء النساء لأنها لا تخرج من عدم النظر وذلك
لقوهم: تقسيم وتاريخ وتمثيل وترانيم من المسنون ولم
نجمعها على — سخاريغ — لعدم وجود نظير لها في قياس
اللغة تحمل عليه.^(٨٠)

روايات البحث

اطخطوطان

— رجال من قبيلة العبيد، وليد الاعظمي

— المذاهب النحوية ونشأة العامية، محاضرات الاستاذ
كمال ابراهيم ١٩٥٦ — ١٩٥٧ .

اططبيه عان

— أدب الكاتب، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تـ محمد محبي
الدين عبد الحميد، مصر، ط٤، ١٩٦٣ م.

— الأساس في تاريخ الأدب العربي، محمد بهجة الأثيري
ومصطفى جواد وكمال ابراهيم، شركة النشر العراقية،
بغداد ١٩٥٤ م.

— الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)

— ديوان حاتم الطائي (ت ٤٤ق هـ)، دار صعب، بيروت

١٩٨٠ م.

— ديوان الرصافي، شرح مصطفى علي، بغداد ١٩٧٤ م.

— ديوان طرفة بن العبد، (نحو ٨٦ — ٦٠ق هـ) شرح

مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩٨٧ م.

— ديوان النابغة الذبياني (ت ١٨ق هـ) تـ فوزي
عطوي، بيروت ١٩٨٠ م.

— رسائل في النحو واللغة، تـ مصطفى جواد ويوسف
مسكوني، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٩ م.

- سسن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
— المقتضب، ابو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحریر محمد عبد الخالق عصيّة، دار التحرير للطبع والنشر، بيروت ١٤٠٧هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ) تحریر محمد نور الحسن وآخرين، القاهرة ١٩٣٩م.
- الشواهد والاستشهاد في النحو، عبد الجبار علوان النايلية، بغداد ١٩٧٦م.
- عمدة الصرف، كمال ابراهيم، وزارة المعارف العراقية، ط ٢، بغداد ١٩٧٢م.
- الفسر (ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح ابن جني) تحریر صفاء خلوصي بغداد ١٩٨٨م.
- في اصول اللغة والنحو، فؤاد حناترزي، بيروت ١٩٦٩م.
- القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين، الطبعة الأولى لكتاب علوم ابراهيم تحرير مجلد الاستاذ، بغداد، مجلد ١١، ١٩٦٢، لسنة ١٣٥٣هـ.
- كتاب سيبويه، (ت ١٨٠هـ) تحرير عبد السلام محمد هارون، ط ٢، بيروت ١٩٨٢م.
- لسان العرب الخيط، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، بيروت / بلا تاريخ.
- ملمع الأدلة في اصول النحو، لافي البركات الانباري (٥٧٧هـ) تحرير د. عطيه عامر / بلا تاريخ.
- الجمعيون في العراق، صباح ياسين الاعظمي، الجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٩٧م.
- مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضايعي (ت
- الطبعة الثانية عشر
العدد الثالث / لسنة ٢٠٠٧
- ١٣٦-

- الكسائي رئيس مدرسة الكوفة، كمال ابراهيم، مجلة الاستاذ، مجلد ١٣ لسنة ٦٥ - ٦٦ م. ١٩٢٧.
- آه لو لم أكن طيباً، نصیر الہنداوي، صحیفة الجمهورية، بغداد عدد ٨٨٧٧٤ لسنة ١٩٩٤ م.
- كليلة ودمنة — كمال ابراهيم، مجلة الاستاذ، بغداد، مجلد ٧ لسنة ١٩٥٧ م.
- بين مآساتين، كمال ابراهيم، مجلة الكفاح، بغداد، عدد ١٢ لسنة ١٩٤٨ م.
- كمال ابراهيم.. العالم الانسان ، عبد الله الجبوري، مجلة الرسالة الاسلامية، بغداد عدد ٦٤ لسنة ١٩٧٣ م.
- تراثنا الأدي، كمال ابراهيم، مجلة التفیض، بغداد، عدد ١٣ لسنة ١٩٤٠ م.
- توجيه الشباب الى المثل العليا، كمال ابراهيم، مجلة التفیض، عدد ١١ لسنة ١٩٤٠ م.
- حانت ساعة النصر، كمال ابراهيم، مجلة الكفاح، بغداد، عدد ١٢ لسنة ١٩٤٨ م.
- روح الاسلام بين الماضي والحاضر، كمال ابراهيم، مجلة الذكرى الحمدية، بغداد عدد ٨، لسنة ١٣٥٧ هـ.
- ساعات مع الكاظمي، مجلة الرسالة المصرية، عدد ١٠٥ لسنة ١٩٣٥.
- ساعة عند امير الشعراء، كمال ابراهيم، مجلة الرسالة المصرية، عدد ٤٨ لسنة ١٩٣٤ م.
- ساعة في متحف طوب قو، كمال ابراهيم، مجلة الرسالة المصرية، عدد ١٤٣ لسنة ١٩٣٦ م.
- سیویه... أثره في تطور الثقافة، كمال ابراهيم، مجلة الاستاذ، عدد ١٠ لسنة ١٩٦٢ م.
- في سبيل حياة الجيل الجديد، كمال ابراهيم، مجلة التفیض، عدد ٧ لسنة ١٩٣٧ م.
- اطفال
- الملف الشخصي للاستاذ كمال ابراهيم، ذاتية كلية الاداب.

الهوامش

- ١) موسوعة أعلام العرب /١٤١٩ و تاريخ الأعظمية ٥٩٣.
- ٢) كمال ابراهيم... العالم الانسان ٧٧ والجمعيون في العراق ٨٥.
- ٣) ساعة عند أمير الشعراء ٩٣.
- ٤) صحيفة البلاد، عدد (٣٠٥٣) ص ٢.
- ٥) ملف الشخصي ع (٨/١٠) ت ٧٤٦٧/٤ ت ١٩٧٣ م.
- ٦) ملف الشخصي ع (٥/١٤٠١٤) ت ١٩٧٣/٥ ت ١٩٧٣ م.
- ٧) ملف الشخصي ع (٣٧٩٧٢) ت ١٢/١٠ ت ١٩٤٩ م.
- ٨) ملف الشخصي ع ((١٤٤٤)) ت ١٤٤٤/٣ ت ١٩٦٢ م.
- ٩) صحيفة الجمهورية ع (٨٨٧٧٤) ص ٨. مقال (آه لوم أكن طيباً).
- ١٠) لقاء مع الاستاذ الدكتور عناد غروان ١٠/٢٠٠١ م.
- ١١) لقاء مع السيدة نوار كمال ابراهيم، ومجلة الرسالة المصرية مجلد ١، عدد ١٤٣، ص ٤٦.
- ١٢) لقاء مع الاستاذ الدكتور عناد غروان، في اليوم السابق نفسه في اليوم السابق نفسه ص ١٠٥، في اليوم السابق نفسه في اليوم السابق نفسه ص ١٩٣٥.
- ١٣) المجلة الرسالة المصرية ص ١٠٩٩، مجلد ٢، عدد ١٠٥ لسنة ١٩٣٥.
- ١٤) المجلة الرسالة المصرية، مجلد ١، عدد ٤٨، ص ٩٣.
- ١٥) كمال ابراهيم... العالم الانسان ٧٦ و ملف الشخصي ع ٢٢٧٧٢، ت ١٩٧٣/٧.
- ١٦) المجمعيون في العراق ٨٦ و رجال من قبيلة العبيد ٢.
- ١٧) مجموعة محاشرات الفاها بين عام ١٩٥٦ - ١٩٥٩ م.
- ١٨) أغلاظ الكتاب، الصفحات: ٦٦ و ٥٤ و ٥٠ و ٢١ و ٦٢ و ٥٩ و ٣٦.
- ١٩) كتاب عمدة الصرف، كمال ابراهيم، وينظر: مجلة الجمع العلمي العراقي مجلد ٢، ١٩٥٧، ص ٣٥٦.
- ٢٠) الفرس (ديوان أبي الطيب المتنبي) ٤٠٦ - ٤١٦.
- ٢١) موجز البيان في مباحث القرآن ٣ - ٥.
- ٢٢) مجلة الاستاذ، بغداد، مجلد ٤، ج ١/٢٤ و مجلد ٥، ج ٢/١٥١ لسنة ١٩٤٨ م.
- ٢٣) مجلة الاستاذ، عدد ١٠ ص ٣٦٥ لسنة ١٩٦٢ م.
- ٢٤) المصدر نفسه عدد ١٢، ص ٣١١ لسنة ١٩٦٣ م - ١٩٦٤ م.
- ٢٥) المصدر نفسه عدد ١٣، ٣/١٩٦٦/٦٥، عدد ١٤ لسنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م.
- ٢٦) مجلة البلاغ، عدد ٨، ١/١٥ لسنة ١٩٦٧ م.
- ٢٧) صحيفة الزمان، عدد ٥ و ١١ و ١٥ و ١٣ و ٧ و ١٣ لسنة ١٩٢٧ م.
- ٢٨) مجلة التفاصي، عدد ١٥ لسنة ١٩٤٠ م.
- ٢٩) صحيفة الجمهورية، عدد ٨٦ لسنة ١٩٦٧ م.
- ٣٠) الأساس في تاريخ الأدب، ٢١٣ و ٢٠٦، ١٨٨، ١٨٨، ١٩٥٩ و مجلد ٨، ج ٢/١٧٩ لسنة ١٩٦٠ م.
- ٣١) مجلة الاستاذ، مجلد ٧، ج ١/١٨٨، ١٨٨، ١٩٥٩ و مجلد ٨، ج ٢/١٧٩ لسنة ١٩٦٠ م.
- ٣٢) المصدر نفسه، مجلد ١١، عدد ١٥ لسنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م.
- ٣٣) مجلة الرسالة المصرية ص ١٠٩٩، مجلد ١، عدد ١٠٥ لسنة ١٩٣٥.
- ٣٤) المصدر نفسه، مجلد ١، عدد ٤٨ لسنة ١٩٣٤ م ص ٩٢٩.
- ٣٥) مجلة الرسالة المصرية ص ٥٠٥ و ٥٠١ مجلد ١، عدد ١٤٣ لسنة ١٩٣٦.
- ٣٦) مجلة الذكرى الخمديّة من ١٧١، عدد ٦ لسنة ١٣٥٥ هـ.
- ٣٧) المصدر نفسه ص ٧٩، عدد ٦ لسنة ١٣٥٥ هـ.
- ٣٨) المصدر نفسه ص ٣٤، عدد ٨ لسنة ١٣٥٧ هـ.
- ٣٩) المصدر نفسه، ص ١٢٥، عدد ١١ لسنة ١٣٥٨ هـ.
- ٤٠) مجلة التفاصي، ص ٢٥٨، ٢٥٨، عدد ٧ لسنة ١٩٣٩ م.
- ٤١) المصدر نفسه، ص ٣٨٥، عدد ١١ لسنة ١٩٤٠ م.
- ٤٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٩، عدد ١٣ لسنة ١٩٤٠ م.
- ٤٣) المصدر نفسه، ص ٧٥، عدد ١٧ لسنة ١٩٤٠ م.
- ٤٤) المصدر نفسه، ص ٩٩، عدد ١٨٤٠ لسنة ١٩٤٠ م.
- ٤٥) مجلة الكفاح، ص ٣، عدد ٢٤٨ لسنة ١٩٤٨ م.
- ٤٦) المصدر نفسه ص ٢، عدد ١٢٥ لسنة ١٩٤٨ م.
- ٤٧) مجلة الجمع العلمي العراقي، ص ٣٠٠ مجلد ٤ لسنة ١٩٥٦ م.

- ٤٨) ملف الشخصي في كلية الاداب، من سنة ١٩٦٦ الى سنة ١٩٧٣ م
ومنهج الاخفش الاوسط في الدراسة التحوية ١٣، و تاريخ الاعظمية ٥٩.

٤٩) المذاهب التحوية ونشأة العافية ٤٦ (بحث مخطوط)

٥٠) انحطاط العربية في العراق ١ / ٣٠.

٥١) أغلاط الكتاب ١٠.

٥٢) المذاهب التحوية ونشأة العافية ٤٥.

٥٣) جامع الاحاديث ٢ / ٣٠٧ ولسان العرب ١٢ / ١٥٧ سلف.

٥٤) سنن الدارمي ١ / ٤٢.

٥٥) مستد الشهاب ١ / ١٤٥ ولسان العرب، مادة سوا ٢ / ٢٤٦.

٥٦) اغلاط الكتاب ١٠.

٥٧) ديوان طرفة بن العبد ٥٣.

٥٨) عمدة الصرف ٣٧ وديوان حاتم الطائي ١١١.

٥٩) اغلاط الكتاب ٣١ وديوان النابقة ٤٥.

٦٠) اغلاط الكتاب ١٦ وديوان الرصافي ٢ / ١٩٩.

٦١) لمع الأدلة ٤ ورسائل في النحو واللغة ٣٨.

٦٢) محاضرة كمال ابراهيم ١٩٦٧ - ١٩٦٨ الشواهد والاستئثار في النحو ١٨٦.

٦٣) اغلاط الكتاب ٣ وفي اصول اللغة والنحو ١٢٠.

٦٤) القياس في اللغة العربي ٤٨ - ٤٩.

٦٥) عمدة الصرف ١١٣ - ١١٤.

٦٦) المصدر نفسه ١١٥ و ١٨٥.

٦٧) المصدر نفسه ٢٢٨.

٦٨) رسائل في اللغة والنحو ٣٨.

٦٩) عمدة الصرف ٥٧.

٧٠) كتاب سيبويه ٥٣ / ٤ والمتصف ١ / ١٨٤ والانصاف مائة (١١٢) ١١٢.

٧١) عمدة الصرف ١١٨.

٧٢) ادب الكتاب ٢٠٧ والأصول في النحو ٢ / ٤١٩.

٧٣) عمدة الصرف ٨٠.

٧٤) شرح الشافية، للرضي ٣ / ١٥٥.

٧٥) عمدة الصرف ٢٢٧.

٧٦) كتاب سيبويه والقطب ١ / ١٠٠.

٧٧) عمدة الصرف ٥٥، ٥٦.

٧٨) نظر: الحصالص ١ / ١٦٣ والمتع في التصريف ٥٦، ٥٥.

٧٩) عمدة الصرف ٥٧ و ٢١٨، وينظر: آراء القدماء: كتاب سيبويه ٥٢٢ / ٣ و القطب ١ / ١٣٩.

٨٠) عمدة الصرف ١٤٢ وينظر: كتاب سيبويه ٣ / ٤٤ وشرح الشافية للرضي ٢ / ١٩٢.

النيلان في شرح الديوان

يساًرُد مؤلفه

عباس على الأوسي
جامعة بابل

(٦٥٦ هـ)^(١)، ظنا منه أنَّ الاسم حدث في تصحيف؛ لقرب اسم (أبي عبد الله بن الحسين الأربلي) من (عبد الله بن الحسين العكري)، وأنَّ أبي عبد الله بن الحسين الأربلي كان معيناً بديوان المتنبي، وكان من أكابر الأدباء^(٢)، ونافياً نسبته إلى العكري معتقداً على أدلة^(٣)، وعاد الدكتور مصطفى جواد في البحث الثاني، ونسبه إلى علي بن عدLAN^(٤)، ودليله أنَّ الشارح قد صرَّح باسمه في شرح بيت المتنبي:

تناقض الأفهام عن إدراكه
مثل الذي الأخلاق فيه والدنا

((قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدLAN: الرواية الصحيحة
(مثل بالرفع...))^(٥).

نفي نسبة (البيان في شرح الديوان) إلى علي بن عدLAN:

كان المستشرق بلاشير والدكتور مصطفى جواد مصيّبين في شكهما في نسبة (البيان في شرح الديوان) إلى العكري؛ لأنَّ صاحب الشرح بغدادي المذهب مع ميل كبير إلى المذهب الكوفي، ونراه مدفوعاً عنه في أغلب المسائل الخلافية المعروضة في الشرح، قال: ((ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أنَّ لام لعلَّ الأولى أصلية، وقال البصريون: بل هي زائدة...))^(٦).

أما العكري فقد كان يضع نفسه مع البصريين، قال في مسألة اشتراق لفظ (الاسم): ((الاسم مشتق من السمو عندنا، وقال

يظلَّ اسم أبي الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)^(٧) من الأسماء المشتركة في سماء الشعر العربي؛ إذ لم تشهد العربية عبقرية فلذة كعقربيه التي اغترفت من معين نفسي، وفلسفه لا ينضب، وكان شعره أروع ما وصل إليه الشعر العربي، مازجاً فيه بين المشاعر والخيال، وبين الفكر والتجربة، فجاء صوراً متكاملة ذات نظم عجيب، فلا غرابة أنْ يعلا الدين ويشغل الناس^(٨)، وقد ذكر ابن خلkan أنَّ العلماء اعتنوا ((بديوانه، فشرحوه، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم، وفقت له على أكثر منأربعين شرحاً، ما بين مطولة ومحضرة ولم يفعل هذا بديوان غيره))^(٩)، ومن أبرز هذه الشروح وأجلها الشرح الموسوم بـ((البيان في شرح الديوان)) المنسوب خطأ إلى أبي القاء عبد الله بن الحسين العكري (٥٤٨ - ٦١٦ هـ)^(١٠).

وأول من شرك في هذه النسبة المستشرق الفرنسي (بلاشير) نافياً إيابها في بحث ألقاه في مؤتمر المستشرقين سنة ١٩٣٦ في بروكسل، ونشره في حلقات معهد الدراسات الشرقية ٤ / سنة ١٩٣٨ بعنوان (حول تعليق على ديوان المتنبي)، إلا أنه لم ينسبه إلى أحد^(١١). ثم جاء الدكتور مصطفى جواد، فنشر بحثين، الأول في مجلة الثقافة المصرية ج ١٧ ص ٤٩ وما بعدها نسباً الشرح فيه إلى أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم بن يوسف الهلبي الكوري الأربلي المتوفى سنة

تفسير كتاب سيبويه): ((وانشد لأمرى القيس:
فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة
كفاي ولم أطلب قليل من المال
فروع قليل بكفافٍ ولم ينفعه بمسا طلب لأنَّ امراً القيس إما أراد لو
سعيت لمرأة دنية لكفاي قليلٍ من المال، ولم أطلب الملك، وعلى ذلك
معنى الشعر))^(٢٣).

وفي (الإنصاف) احتجَ الكوفيون على أنَّ إعمال الفعل الأول
بالنقل والقياس ((أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيراً، قال امرؤ
القيس:

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة
كفاي ولم أطلب، قليل من المال
فاعمل الفعل الأول، ولو اعمل الفعل الثاني لنصب (قليلاً) وذلك لم
بروه أحد....)).^(٢٤)

وقال علي بن عدлан في (الانتخاب لكشف الآيات المشكلة
الإعراب) في توجيه قول العباس بن مردارس:
أبا خراشة أما أنت ذا نفر

فإنْ قُـوـمـيـ لـمـ تـأـكـلـهـمـ الضـعـعـ
(وأما هذه فمرة من أن المفتواحة الهمزة و (ما) هذه عوض عن
كان بمحنة، وذا نفر؛ خبرها، وأنت ثابت عن اسمها، التقدير لأنَّ
كنت ذا نفر...))^(٢٥)، فقد قاتر (أنَّ كنت ذا نفر)، وهذا تقدير
البصريين ومن يميل إلى مذهبهم، أما الكوفيون فالتقدير عندهم (أنَّ
مفتواحة الهمزة بمعنى (إنَّ) الشرطية غير متصلة باللام، قال الأعلم
الشتمري: ((اختلف البصريون والكوفيون في قوله: أما أنت
منطلاقاً، فقال الكوفيون: هو بمعنى (إنَّ)، وأنَّ المفترحة فيها معنى (إنَّ)
التي للمجازة عندهم وعلى ذلك يحملون (أنَّ تضليل إحداها فتذكرة
إحداهما الأخرى))^(٢٦) وهي قراءة حزرة، وأما البصريون فالتقدير
عندهم لأنَّ كنت منطلاقاً انطلق معك أي؛ لأنَّ اطلاقك في الماضي
انطلق معك، ولذلك شبهها بآذ وجعلهما كشيء واحد))^(٢٧).

وهذا البيت نفسه قد ورد في (البيان في شرح الديوان)، قال

الكوفيون من الوسم، فالمخدر في عندنا لامه وعندهم فاؤه))^(٢٨)، إلا
أنَّ الشك قد انتابني بعد رجوعي إلى كتاب (الانتخاب لكشف الآيات المشكلة الإعراب) لعلي بن عدلان، فأعادت قراءة
(الانتخاب لكشف الآيات المشكلة الإعراب)، و (البيان في شرح
الديوان) مرة ثانية، فتجمعت لدىي من الأدلة ما يكفي لدفع تلك
النسبة، بل أنَّ تلاعباً متعمداً قد حصل في (البيان في شرح الديوان)،
وان المتلاعب هو علي بن عدلان نفسه، ومن الأدلة التي تبني نسبة
إلى علي بن عدلان:
الأول: أنَّ علي بن عدLAN كان بغدادي المذهب مع ميل إلى المذهب
البصري تماماً كالعكبي، قال في توجيه قوله أمرى القيس:

فـلوـ أـنـ مـاـ أـسـعـىـ لـأـدـنـىـ مـعـيـشـةـ
كـفـاـيـ لـمـ أـطـلـبـ قـلـيلـ مـنـ مـالـ
((قـلـيلـ: فـاعـلـ كـفـاـيـ. وـلـيـسـ هـذـاـ مـنـ بـابـ إـعـمـالـ الفـعـلـينـ، لـأـنـ مـنـ
شـرـطـهـ أـنـ يـوـجـهـ الفـعـلـانـ فـيـ إـلـيـ شـيـءـ وـاحـدـ، وـلـمـ يـوـجـدـ ذـلـكـ؛ لـأـنـ
(اطـلـبـ) مـفـعـوـلـهـ الـمـلـكـ، وـقـدـ حـذـفـهـ، قـالـ أـصـحـاحـابـاـ: لـوـ نـصـبـ لـفـسـدـ
الـمـعـنـىـ، لـأـنـهـ إـذـاـ سـعـىـ لـأـدـنـىـ مـعـيـشـةـ طـلـبـ القـلـيلـ))^(٢٩)، فالشاهد عنده
ليس من باب إعمال الفعلين، وهذا رأي البصريين ومن يميل إلى
مذهبهم، لا رأي الكوفيين كما زعم أحد الباحثين^(٣٠)، قال ابن جني:
((رـمـاـ يـضـعـفـ تـقـدـيمـ الـمـعـطـوـفـ عـلـيـ الـمـعـطـوـفـ عـلـيـهـ مـنـ جـهـةـ الـقـيـاسـ
أـنـكـ إـذـاـ قـلـتـ: قـامـ زـيـدـ عـمـرـ وـقـدـ جـمـعـتـ أـمـامـ زـيـدـ بـيـنـ عـامـلـيـنـ:
أـحـدـهـمـ (قـامـ) وـالـآـخـرـ الـوـاـوـ؛ أـلـاـ تـرـاهـاـ فـانـمـةـ مـقـامـ الـعـاـمـلـ قـبـلـهـ، وـإـذـاـ
صـرـتـ إـلـىـ ذـلـكـ صـرـتـ كـأـنـكـ قـدـ أـعـمـلـتـ فـيـ عـاـمـلـيـنـ، وـلـيـسـ هـذـاـ
كـإـعـمـالـ الـأـوـلـ وـالـثـانـيـ فـيـ نـحـوـ قـامـ وـقـدـ زـيـدـ؛ لـأـنـكـ فـيـ هـذـاـ مـخـيـرـ: إـنـ
شـتـأـعـمـلـتـ الـأـوـلـ وـإـنـ شـتـأـعـمـلـتـ الـآـخـرـ، وـلـيـسـ ذـلـكـ فـيـ نـحـوـ
قـامـ زـيـدـ وـعـمـرـ؛ لـأـنـكـ لـأـتـرـفـ عـمـراـ فـيـ هـذـاـ إـلـاـ بـالـأـوـلـ. فـانـ قـلـتـ،
فـقـدـ تـقـوـلـ فـيـ الـفـعـلـيـنـ جـمـيعـاـ بـأـعـمـالـ أـحـدـهـاـ الـبـتـةـ، كـقـوـلـهـ:

* كـفـاـيـ لـمـ أـطـلـبـ قـلـيلـ مـنـ مـالـ

قال: لم يجب هذا في هذا البيت لشيء يرجع إلى العمل اللغطي، وإنما
هو شيء راجع إلى المعنى))^(٣١)، وقال الأعلم الشتمري في (النكت في

الشارح في بيت المتنبي:

لولا الأمير مساورٌ بنُ محمدٍ

ما جشمْتُ خطرًا ورُدَّ نصيَّخَ

((لولا الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين، وعندنا أنَّ الاسم
مرفوع ها؛ لأنَّها نافية عن الفعل الذي لو ذُكر لرفع الاسم كما
نقول: لولا زيد جلت، تقديره لو لم يتعنى إلا أفهم حذفوا الفعل
تحفيقاً، وزادوا لا على لوفصاراً بعراة حرفة واحد كقوفهم: أمَّا أنت
منطلقاً انطلقت معك، تقديره أنَّ كفت منطلقاً انطلقت معك، قال
الشاعر:

أبا حراشة أمَّا أنت ذا نفر

فانْ قَ—ومي لم تأكلهم الضب——ع

إيَّ أَنْ كَفْتْ ذَا نَفْرْ فَحَذَفَ الْفَعْلَ وَزَادَ مَا عَوْضَاهُ، وَالَّذِي يَدْلِيلُ
عَلَى أَنَّهَا عَوْضَ مِنَ الْفَعْلِ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَكْرُ الْفَعْلِ مَعَهَا؛ لَنْ لَا يَجْمِعَ بَيْنِ
الْعَوْضِ وَالْعَوْضِ....)). فَقَدْرَ مَرْتَنْ (أَنْ كَفْتْ)؛ لِأَنَّهُ كَوْنِيَ الْمِيلِ.

الثاني: ذُكر الدكتور مصطفى جواد أنَّ مؤلف (البيان في شرح
الديوان) كَابِينَ في النحو ذُكرَهَا في الشرح ((١٦٥)، والحقيقة أنَّ

الشارح قد ذكر له أربعة كتب هي:

١. الإغراب في الإعراب ((١٦٣)).

٢. انفس الاتخاذ في إعراب الشاذ ((١٦٤)).

٣. الروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة ((١٦٥)).

٤. نزهة العين في اختلاف المذهبين ((١٦٦)).

وبحثت عن هذه الكتب الأربع، ولم يذكرها أحد في ترجمة على
بن عدلان، ومؤلف (البيان في شرح الديوان) كثيراً ما يشير إلى
كتبه في الناء شرحه أمَّا ابن عدلان فلم يشر إلى كتبه في (الانتخاب
لكشف الأبيات المشكلة الإعراب).

الثالث: ذُكر المترجمون لعلي بن عدلان المترقب سنة (١٦٦هـ)، انه
أخذ عن أبي البقاء العكيري ((١٦٧)), والمعروف أنَّ للعكيري شرحاً
لـ(الديوان المتنبي)، أو إعراب الـ(الديوان)، ولم ينقل عنه علي بن
عدلان رأياً في مسألة نحوية، أو شرعاً، أو ضبط رواية، ولم ينقل عن

شيخه ثلاثة الآخرين الذين ذُكرهم في البيان، وهو أبو الفتح بن
الأثير ((١٦٨)), ومكي بن ريان الماكسيني ((١٦٩)), وعبد المنعم بن صالح
النحوبي ((١٦٩)), إلا رواية حديث نبوى شريف لابن الأثير ((١٦٩)), أو ضبط
رواية ل McKي بن ريان و عبد المنعم بن صالح ((١٦٩)) وفي مواضع قليلة جداً.
الرابع: كتابه (الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب) بُنيَ
على توجيهه إعراب (١٦٥) بيتاً سلخ (١٦٥) بسبعين منها من كتاب
(الإفحاص) للحسن بن اسد الفارقي، وقد صرَّح الدكتور حاتم
الضامن محقق الكتاب المذكور في ترجمة الحسن بن اسد الفارقي بأنه
صاحب الإفحاص في شرح أبيات مشكلة الإعراب، الذي اعتمد
عليه ابن عدلان، وسلخ ما جاء فيه في كتابه (الانتخاب) ((١٦٦)).

الخامس: لم يشر أحد إلى أنَّ ابن عدلان شرحاً للـ(الديوان)، ولو كان له
شرح لذكره ابن خلگان عند كلامه على شروح ديوان المتنبي، فقد
عقدت صداقته بينه وبين ابن عدلان، وذكره مرات عدَّة في كتابه
(وفيات الأعيان) ((١٦٧)).

السادس: اختلاف الأبيات التي وردت في (البيان في شرح
الـ(الديوان))، و (الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب) في
الرواية والتوجيه، منها:

قول حسان بن ثابت:

كان سبنة من بيت رأس

يكون مزاجها ع——ل وماه ((١٦٨)).

فجاء بلفظة (سبنة)، وبها جاء في كتاب سببيويه ((١٦٩)) وفي ديوانه
(خيبيه) ((١٦٩)), أمَّا في (الانتخاب) فجاء بلفظة (سلافة) ((١٦٩)).

ومنها قوله في بيت المتنبي:

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكَسَّفَ الشَّمْسُ

وعادتْ نورهَا فِي ازديادِ

((كَسَفَتِ الشَّمْسِ تَكَسَّفَ كَسْوَافًا وَكَسَفَهَا اللَّهُ يَتَعَدِّي وَلَا يَعْدِي
فَالْجَرِيرُ:

وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لِيَسْتَ بِكَاسِفَةٍ

تب——كَيْ عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيلِ وَالقَمَرِ

يريد ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر من جريها عليه... يقول الذي جرى ينكمما كما كان تكسف الشمس ساعة، ثم زال فعاد إلى أكثر ما كان من الود، كالشمس إذا ذهب عنها الكسوف عاد إلى أتم ما كانت فيه من النور))^(١) وهي رواية الديث، أما في (الانتخاب) فقد ورد برواية أخرى: ((وقال آخر:

فالشمس كاسفة ليست بطالة

تبكي عليك نجوم الليل والقمر

حكت أمراً عظيماً فاضطلت به

رسرت فيه بحكم الله يا عمرا
في: نصب (نجوم) بكاسفة، وقيل: الظرف مقدم الحاج. وقيل: هي مفعول (تبكي)، وهو المختار عندي، والمعنى: تبكي النجوم لفقدانها إياك، فان قلت: فلم خص الشمس بالبكاء؟ قلت: لأنها اعظم النجوم، فإذا وجدت على المرأة المدوح مع عظمها بكت غيرها من النجوم، لقوه جزعه وهلعه))^(٢).

ومنها ما جاء في شرح قول المتنى:

ما أنا والخمر وبطيحة

سوداء في قشر من الخيزران

((من رفع الخمر، عطفه على المبتدأ، ومن نصبه جعله معنى مع الخمر، و(بطيخة) إنعراها إنعرا الخمر وانشدوا:

وقال الآخر:

فما أنا والسر في مختلف

بيرح الذكر الضاب ط

...)^(٣)، و (مختلف) فيه بفتح الميم واللام، أما في (الانتخاب) فقد قال ابن عدлан: ((انشد سيبويه لاسامة المذلي:

فما أنا والسر في مختلف

بيرح الذكر الضاب ط

المختلف موضع التلف. والمحفوظ في البيت: مختلف بكسر اللام وفتح الميم، كذا قرأه على مشائخني، وعلمه في الأصول المنقة بالضبط

والقراءة، ورُقع في بعض نسخ الحذاق: مختلف، بضم الميم وفتح اللام، وهو بعيد. ويرجح به حله على ما يذكره في السير ويتحقق عليه، والضابط: التشديد من العبران، ونصب السير على أنه مفعول معه، وليس قبله فعل، وذكر الفعل قبله شرط لنصبه، ولكن نصبه على معنى، وما أكون، فحذف أكون لوجودها كثيراً في هذا الموضع))^(٤). والرواية الصحيحة ما جاءت في (البيان) (مختلف) بفتح الميم واللام^(٥).

السابع: زعم ابن عدلان في مقدمة (البيان) أنه جمع كتابه ((هذا من أقاويل شرائحه الأعلام، معتمداً على إمام القول المقدم فيه، الموضع لمعانيه، المقدم في علم البيان، أي الفتح عثمان وقول إمام الأدباء، وقدوة الشعراء، أحمد بن سليمان أبي العلاء، وقول الفاضل الليث، إمام كل أديب أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب، وقول الإمام الأرشد ذي الرأي المسدّد أبي الحسن علي ابن محمد، وقول جماعة كأبي علي بن فورجة، وأبي الفضل العروضي، وأبي بكر الخوارزمي، وأبي محمد بن الحسن بن وكيع، وأبي الأفليبي))، وهذا ينافي ما ثلمسه في شرح الديوان؛ إذ جل اعتماده على شرح الواحدي، ودفع ذلك بمحققي (البيان في شرح الديوان) إلى القول: ((ولست أزعم هنا ما زعمه العكيري في مقدمة شرحه للديوان أن الواحدي أحد الشرح التي اعتمد عليها، بل نقول مؤكدين أن شرح الواحدي المصدر الأول للعكيري في شرح معانى المتنى، وفيه كثير من ما آخذه وشهادته))^(٦)، وما ذكره ابن عدلان ينافي وأمانة شارح الديوان الحقيقي ودقته.

والطريف في الأمر أنَّ ابن عدلان عُرف بولعه بالألفاظ، وأنَّ جميع المصادر أكدت أنَّ له ثلاثة مؤلفات فحسب هي (عقلة المجاز في حل الألغاز)، و (حل المترجم)، و (الانتخاب لكشف الأبيات المشككة بالإعراب)^(٧)، ولم يصرَّح باسمه في (البيان) إلا مرة واحدة في شرح قوله المتنى:

تفاصل الأفهام عن إدراكه

مثل الذي الأفلاك فيه والدنسا

((قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان: الرواية الصحيحة، مثل (بالرفع)، ويكون على تقدير هو مثل، يعني أنَّ الافهام تقاصر عن هذا المدروخ في معرفة حقيقته))^(٤٨)، وبختل إلى أنه أراد أن يجعل قضية (البيان في شرح الديوان) لغزاً من الألغاز التي يصعب حلها، إلا أنَّ الموضع الذي سلمت من التحرير بقيت شاهداً على شخصية الشارح الحقيقة.

صاحب [البيان في شرح الديوان] قطب الدين الرواندي:

بعد أن تأكّد لي حصول تلاعب معمد في شرح الديوان، وأن القائم بذلك هو ابن عدلان، لا غيره، عدت للبحث في كتب الفهرسة والترجم للبحث عن المؤلفات الأربع المذكورة في شرح الديوان، وكان الخطيب الأول للوصول إلى الحقيقة هو ذكر (إيضاً) المكتوب في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون^(٤٩)، و (الذرية إلى تصانيف الشيعة)^(٥٠)، و (الغدير في الكتاب والسنة والأدب)^(٥١)، أنَّ كتاب (الإغراب في الإعراب) لأبي الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن المشهور بـ (قطب الدين الرواندي) المتوفى سنة (٥٧٣هـ).

وذكر المترجمون له أولاده نصیر الدين أبي عبد الله الحسین بن سعید الرواندي، وأبا الفضل محمد بن القطب الرواندي، وعماد الدين علي، وأبا سعید هبة الله بن سعید الرواندي، وحفيده عبد الله بن الحسین بن سعید الرواندي^(٥٢)، إلا أنَّ أحداً لم يذكر لواحد منهم كتاباً بهذا العنوان، وما يقطع الشكَّ أنَّ تلميذه منتجب الدين المعاصر لأولاده وأحفاده ذكر (الإغراب في الإعراب) في ترجمة قطب الدين الرواندي في كتابه (الفهرست)^(٥٣)، لا غيره، ووجدت كتاباً آخر لهذا العنوان محمد بن مصطفى بن زكريا الدوركي فخر الدين الدوركي الفقيه الحنفي (٦٣١ - ٧١٣هـ) في كتاب (الأعلام)^(٥٤)، واستبعده؛ لأنَّ حنفي، ومتاخر عن ابن عدلان، ولم يصنف إلا هذا الكتاب، ونظم القدوري في الفقه، وقصيدة في قواعد لسان الترك، وقصيدة في العربية، وذكر صاحب معجم المؤلفين

كتاباً بهذا العنوان للحسين بن عبد الله بن مسعود الشبامي المعسوفي المتوفى قبل سنة (١١٤٦هـ)^(٥٥) واستبعده أيضاً لأنَّه متاخر عن ابن عدلان.

ولم يُقِّن أمامي غير (الإغراب في الإعراب) لقطب الدين الرواندي، فجمعت من كتبه المشورة (منهاج البراعة في شرح فتح البلاغة)، و (فقه القرآن)، و (الخراجم والجرائح)، و (الدعوات)؛ لمعرفة مذهب النحو ومنهجه وأسلوبه، ولعلَّه يذكُر فيها مؤلفه (البيان في شرح الديوان)، واطلعت على ما كتب عن سيرته ومؤلفاته، وخرجت من ذلك بجملة أدلة تؤكّد أنَّ (البيان في شرح الديوان) له، لا لغيره، وأنَّ الأيدي قد عثت بكتابه هذا: الأول: كتاب (الإغراب في الإعراب) له، ولعلَّه متاثر في كتابه هذا بكتاب (الإغراب في علم الإعراب) للواحدي^(٥٦)، كتأثيره في شرحه للديوان، وعنوان كتابه (نزهة العين في اختلاف المذهبين) مقتبس من عنوان (نزهة الطرف في علم الصرف) لأحمد بن محمد الميداني اليسابوري تلميذ الواحدي^(٥٧)، ولا غرابة في ذلك، لقطب الدين تقلُّل بين نيسابور والري وأصفهان^(٥٨).

الثاني: كان قطب الدين بغدادي المذهب مع ميل إلى المذهب الكوفي في مصنفاته الأخرى، قال في (فقه القرآن): ((والطبيحة هي التي تتطح أو يتلطح فان قيل: كيف تكون بمعنى المسطوحة وقد ثبتت فيها الماء وفعيل إذا كان معنى مفعول لا يثبت فيه الماء، مثل (عين كحيل) و (كف خضيب)، قلنا: اختلف في ذلك، فقال البصريون ثبتت في (الطبيحة) الماء لأنَّها جعلت كالاسم مثل الطويلة، فوجه التأويل الطبيحة أي بمعنى الناطحة، ويكون المعنى حرمت عليكم الناطحة التي تقوت من نطاحتها. وقال بعض الكوفيين: إنما يحذف الماء الفعل بمعنى المفعول إذا كان مع الموصوف، فأمَّا إذا كان منفرداً فلا بد من إثبات الماء، فيقال (رأيت قبيلاً)، والقول بـ أنَّ الطبيحة بمعنى المسطوحة هو قول أكثر المفسرين لأنَّهم أجمعوا على تحريم الناطحة والمسطوحة إذا ماتتا))^(٥٩)، وقال: ((وذكر الفراء انه كقوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ))^(٦٠)، وإنما هو من الملح دون العذب

السلام): لم يكن نبيا، بسل كان رجالا صالحا، واحتلقو في تسميه بذى القرنين: فقال علي (عليه السلام): كان يأمر قومه بالصلاح، فضربوه ضربة على فرنه الأيمن، ثم ضربوه ثانية على فرنه الأيسر، أو كانت له ضفيرتان)، وقطب الدين الرواundi له (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)، أما ابن عدلان فلم يعرف عنه ذلك.

الرابع: تكررت في البيان مسائل فقهية كثيرة تؤكد أن الشارح كان مشتغلا بالفقه، قال في تفسير بيت النبي:

رَمَى خَلْبًا بِنَوَاصِي الْحَيُولِ

وَسُمَّرْ يُرْقُنْ دَمًا فِي الصَّعِيدِ

((الصعيد التراب، قال ثعلب وجه الأرض وكل ما كان على وجه الأرض كالتراب والرمل والسيخ والملح، وبه قال مالك وأبو حنيفة يجوز التيمم بهذا، وقال الشافعي لا يجوز التيمم إلا بالتراب الذي لا يخالطه رمل وهو عنده الصعيد)، وحياؤه الدين يدفعه إلى القول في أبيات النبي في الخبر: ((وكان الأحسن بن جمع هذا الديوان أن لا يذكر هذه المقاطع المرتجلة السخيفة، ولو لا أن ينسبني الناس إلى عجز، لما ذكرها، وأيضا فأنها روايتي من طريقتي))، وقال في

الحديث النبوي الشريف ((يا أبا عمر ما فعل الغير)): ((وفي الحديث فقه كثير ليس لهذا موضعه))، وقطب الدين من أبرز فقهاء الشيعة الإمامية، وصنف (فقه القرآن) وغيرها، أما ابن عدلان فلم يقل أحد أنه اشتغل بالفقه.

الخامس: هناك من الأدلة الكثيرة التي تؤكد أن شارح الديوان كان مفسرا وعالما بالدراسات القرآنية، جاء في شرح قول النبي:

غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطَرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ

وَلَا بَرْقٌ فِيهِ خَلْبًا حَيْنَ يَلْمِعُ

((اقشع يقشع اقلع وتفرق والمطر الماطر مطرت السحاب وأمطرت، وقيل الإمطار في العذاب وكذا جاء في الكتاب العزيز.... وليس في القرآن لفظ المطر الذي هو الماء والغيث إلا في سورة النساء وهو قوله تعالى: (ولَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ))، وقال في موضع آخر: ((وك قوله تعالى: (فَقَدْ

جاز للاتساع، وهذا هو الذي يليق بعذهنا))^(١)، ويستخدم المصطلحات الكوفية ((ثم قال (توبية من الله)^(٢) وهو نصب على القطع)^(٣)، والقطع هو (الحال) عند البصريين^(٤)، و (المجد) وهو الفي، قال في (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة): ((وروي (أو هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام) فتكون الواو للعاطف والهمزة للاستفهام على سيل المجد والتغريع))^(٥)، وما لم يسم فاعله^(٦)، ونراه يذكر في (فقه القرآن) الزجاج (٧١) مرة، والفراء (٢١) مرة، وأبا علي الفارسي (١٥) مرة، والبرد (٩) مرات، وسيوبيه (٨) مرات والكسائي مرتين، وثعلباً مرة واحسدة، وفي الخرائج ز الجراح الفراء (٤) مرات، وسيوبيه مرة واحدة، وفي (الدعوات) الفراء ثلاث مرات، و (في منهاج البراعة) الفراء (١٦) مرة. وابن عدلان كما رأينا بعدادي المذهب مع ميل إلى المذهب البصري.

الثالث: وردت في (بيان) إشارات تؤكد أن شارح الديوان له علاقة وثيقة بـ (نهج البلاغة) علي بن طالب (عليه السلام)، قال في شرح بيت النبي.

غَلَّكَهَا إِلَيْنِي غَلَّكَ سَالِب

وفارقها الماضي فراق سالبت^(٧) ((يريد بالآتي الوارث، وبالماضي الموروث يريد أن الوارث الذي يملك الأرض، كأنه سالب سلب الموروث ماله، والموروث كأنه سليب سلب ماله، وهو مأخوذ من قسوthem في الموعظة إنما في أيديكم أسلاب الحالين وسيتركها الباقيون كما تركها الأولون، وهذا من نهج البلاغة))^(٨)، وقال في شرح بيت النبي:

الفارس المنقى السلاح به ، المتن على الوغى وخلاها ((وهذا من قول علي (عليه السلام): (كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم)))^(٩)، وجاء في تفسير قول النبي: كأني دحوت الأرض من خبرني بها كأني بني الاسكندر السادس من عزمي ((والاسكندر: هو ذو القرنين، قيل وكان نبيا، وقال علي (عليه

عن رجل آخر قد تكلّم فيه بضعف وغيره، فيقول حدثنا فلان باسمه، وهو يعرف بكنيته أو بكنيته، وهو يعرف باسمه أو باسمه واسم جده أو جد جده، كما فعل محمد بن إسماعيل البخاري لما وقع بينه وبين شيخه محمد بن علي الذهلي، فكان يقول حدثنا محمد بغير نسب، أو يقول في موضع آخر محمد بن فارس باسم جده الأكبر^(٤٢)، ولعل القول الأول لابن عدّلان، والثاني لشارح التبيان الحقيقى، وقطب الدين الرواندى ماهر فى علم الحديث، وله فيه مصنفات كثيرة، منها، الخاتم والجامعة، والدعوات، وقصر الأنبياء^(٤٣).

الناسع: الشارح له دراية كبيرة بالكلام والفلسفة، قال في شرح بيت المشي:

وَضَافَتِ الْأَرْضُ حَتَّىٰ كَانَ هَارِهُمْ
إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ يُظْهِرُ رَجُلًا

((وقال بعض المتكلمين: إن الله خلق الأشياء من لاشيء، فقيل هذا خطأ لأن لاشيء لا يخلق منه شيء، ومن قسال: إن الله يخلق من لاشيء، جعل لاشيء شيئاً يخلق منه، وال الصحيح أن يقال: يخلق لاشيء، لأنه إذا قال: لا من شيء، نفي أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء. انتهى كلامه، وال الصحيح ما قاله، أي إذا رأى غير شيء يخاف منه، ومنه: (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً)))^(١) وتردد ذكر الحكيم، وأرسطو، وبطليموس^(٢)، وهذا ما نراه أيضاً في منهاج البراعة في شرح هجج البلاغة^(٣)، ولقطب الدين كتاب تفافت الفلسفه^(٤) و (جواهر الكلام في شرح مقدمة الكلام)، وهذه رسالة في المسائل الخلافية بين المرتضى^(٥) والشيخ المفيد^(٦) في اصول المسائلي الكلامية، ولم يعرف عن ابن عدلان ذلك.

العاشر: يبدو مما ورد في شرح الديوان أن الشارح كان مطلاً على علم الفلك، قال في تفسير بيت المتن:

أبا الغمرات توعدنا النصارى

وَخَنْجَنْ نَحْوَهُ سَاوِهِي الْبَرْوَج

((واستعار البروج لما ذكر النجوم، والبروج اثنا عشر برجاً أو لها الحمل ثم الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الأسد ثم السبعة ثم الميزان ثم

صَفَّتْ قُلُوبِكُمَا^(٧٧) وَهَا قلبان يدل عليه قوله: (إن توبوا)^(٧٨)، وقال المفسرون؛ هما حفصة وعائشة. وفي الصحيح حديث ابن عباس (ما كنت أعلم من المرأتان اللتان قال الله فيهما: (إنْ تَتُوبَا)، حتى حججت مع عمر، فسألته) الحديث.^(٧٩)، وقطب الدين له (تفسير القرآن) مجلدان، و(خلاصة التفاسير) عشرة مجلدات^(٨٠)، وابن عدالان لم ينقل عنه أنه فسر القرآن الكريم.

السادس: اعتمد الشارح في اللغة اعتماداً كبيراً على الجوهرى في شرح الديوان، وهذا ما حدا محققي (البيان في شرح الديوان) على القول: ((وأعظم المعاجم ممساعدة لنا صحاح الجوهرى، فقد كان مجده في نصوص اللغة التي نقلها العكبرى، وأبيات الشواهد؛ وعندنا شبه اليقين أن العكبرى نقل جميع شرحه اللغوى عن الصحاح وحده))^(٨٠)، وقال ابن أبي الحذيفي في (شرح فتح البلاغة) عند رده على قطب الدين الرواندى: ((ولا يجوز أن يكون الافتسان، يتعدى كما ذكره الرواندى، ولكنه قرأ في (الصحاح) للجوهرى: (الفتون: الافتسان، يتعدى ولا يتعدى)، فظن أن ذلك للافتسان وليس كما ظن، وإنما ذلك راجع إلى (الفتون))^(٨١)، فالبيان ومنهاج البراعة مصدرهما الرئيس هو (الصحاح) للجوهرى.

السابع: كان قطب الدين الرواندى شديد التأثر بمؤلفات أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وخاصة كتابه (البيان في تفسير القرآن)^(٨٢)، ويبدو أنه اقتبس عنوان الشرح (البيان في شرح الدين) منه.

الثامن: للشارح علم واسع بالحديث وعلم الرجال والسنن، قال ((وحكى ابن سعد عن أبي الطيب وهو علي ابن سعد وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات؛ لأن ذلك قديم الوفاة توفي بعد المتنين، وأبو الطيب ولد سنة إحدى وقيل أربع وثلاثين وال الصحيح سنة ثلاث وثلاثين))^(٤٣)، ومن الإشارات التي تدلل على العبر في التبيان انه ورد في موضع منه ((و بهذه الرواية جاء في الصحيحين وليس بعد الصحيحين شيء يرجع اليه))^(٤٤)، وفي موضع آخر يصف البخاري بالتدليس، قال: ((التدليس في كلام المحدثين وهو أن يروي الرجل

السلام— وعمرو بن العاص^(١)، ومسألة (حاشا)^(٢).
الثالث عشر: شارح الديوان شيعي كالواحدى، يؤيد ذلك كثير من الإشارات الواضحة، منها: صلاته وتسليمها على علي بن أبي طالب— عليه السلام— وهو من تقاليدهم التي يحرصون عليها^(٣)، قال في

شرح بيت المتن:

ما سُمِّتْ سَرْدَ سِوَى سِرْوَالٍ

و كِيْ سَفَ لَا إِنْ ا دَلَالِي

((وهذا مأمور من فعل علي عليه الصلاة والسلام، وكان درعه بلا ظهر لأنه كان لا يولي قط))^(٤)، وفي مكان آخر ((الفاطميون هم أولاد فاطمة عليها السلام من ولدها الحسن والحسين فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين عليهما السلام))^(٥)، وقال في تفسير

بيت المتن:

وَاهْر آيَاتِ التَّهَامِيَّ أَنَّهُ

أَبُوكَ وَاحْدَى مَالَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ

رَادَا عَلَى مَنْ يَدْعُونِي أَنَّ الْأَنْسَابَ تَعْقَدُ بِالآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ لَا الْأَمْهَاتِ

والبنات بكلام الواحدى ((قلنا هذا خلاف حكم القرآن العزيز قال

تعالى الله تعالى: (مِنْ ذُرَيْهِ ذَاوْدَ وَسُلَيْمَانَ))^(٦) إِنْ قَوْلَهُ تَعَالَى وَبِحَقِّي

وعيسى فجعل عيسى من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولا

خَلَافُ أَنَّ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ....))^(٧).

وهو مع ميله إلى الكوفيين نراه يصرّح بعدم مجيء إعمال الفعل

الأول في باب التنازع في القرآن الكريم، وهو مما يؤيد موقف

البصريين، وقصر مجيء إعمال الأول على الشعر؛ لأن إعمال الفعل

الأول حجة لمن ذهب إلى أن القراءة في (أرجلكم) بالنصب في قوله

تعالى: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ وَامْسَحُوا

بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) ^(٨) معطوفة على قوله: (وَأَيْدِيَكُمْ)، فتكون

(الأرجل) مشمولة بحكم الغسل، وهذا يتعارض مع مذهب الشيعة

الإمامية، قال شارح الديوان في تفسير بيت المتن:

جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي

نَسَارُ الْغَضْبِيِّ وَتَكَلُّ عَمَّا تُحْرِقُ

العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم الحوت والنجم السيارة سبعة لكـلـنجـمـ برـجانـ إـلـاـ الشـمـسـ والـقـمـرـ فـلـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـماـ بـرـجـ واحدـ للـمـرـيـخـ الـحـمـلـ وـالـقـرـبـ وـلـلـزـهـرـةـ الثـورـ وـالـمـيزـانـ وـلـعـطـارـدـ الجـوزـاءـ وـالـسـبـلـةـ وـلـلـقـمـرـ السـرـطـانـ وـلـلـشـمـسـ الـأـسـدـ وـلـلـمـشـتـرـىـ القـوـسـ وـالـحـوـتـ وـلـنـزـحلـ الـجـدـيـ وـالـدـلـوـ))^(٩)، وهو ما نجده في (منهج البراعة)، قال: ((والمعنى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْأَنْجَوِيَّاتِ وَزَيَّبَهَا بِالنَّجُومِ الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ وَالْكَوَاكِبِ السَّيَارَةِ وَغَيْرِ السَّيَارَةِ جَعَلَ مِنْهَا سَبْعَةَ سِيَارَةً وَهِيَ: زَحلُ وَالْمُشْتَرِيُّ وَالْمُرْيَخُ وَالشَّمْسُ وَالْزَّهْرَةُ وَعَطَارُدُ وَالْقَمَرُ، وَجَعَلَ لَهَا اثْنَيْ عَشَرَ بِرْجًا، وَهِيَ: الْحَمْلُ وَالثَّوْرُ وَالْجَوْزَاءُ وَالْسَّرْطَانُ وَالْأَسْدُ وَالْسَّبْلَةُ وَالْمَيزَانُ وَالْعَقْرَبُ وَالْقَوْسُ وَالْحَوْتُ وَالْجَدِيُّ وَالْدَّلَوُ...))^(١٠).

الحادي عشر: تردد ذكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) وقيل (٤٧٤هـ) في شرح الديوان، قال معتبراً للمتن في تشديده (لله) في قوله:

فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَصْلُّنَ لَذَكَرَهُ

وَأَرْحَامُ مَالٍ مَا تَنْقَطَعُ

((وقال الجرجاني: لما كانت الأداء خفيفة والنون ساكنة وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق حسن تشديده لظهور ظهوراً شافياً فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغير الكلام عندها))^(١١)، وقطب الدين له (شرح العوامل لله) عبد القاهر الجرجاني^(١٢).

الثاني عشر: تكررت حكايات وقضايا تاريخية، ومسائل لغوية بعضها في (البيان في شرح الديوان) و (منهج البراعة)، منها: حكاية (العنقاء)، قال في (منهج البراعة): ((وقيل أصحاب الرسـمـ هـمـ أصحابـ الـبـيـ بيـ حـنـظـلـةـ بـنـ صـفـوـانـ كـانـواـ مـبـتـلـينـ بـالـعـنـقـاءـ، وـهـيـ اـعـظـمـ مـاـ يـكـونـ مـنـ الطـيـرـ لـطـولـ عـنـقـهـاـ وـكـانـتـ تـسـكـنـ جـبـلـهـمـ الـذـيـ يـقـالـ لـهـ فـيـحـ، وـهـيـ تـنـقـضـ عـلـىـ صـبـيـاـنـمـ فـتـخـطـفـهـمـ إـنـ أـعـوـزـهـاـ صـيـدـ، فـدـعـاـ عـلـيـهـ حـنـظـلـةـ فـأـهـلـكـهـاـ))^(١٣)، وحكاية علي بن أبي طالب — عليه

البصريون والковفيون) لابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ)^(١١٤)، و (المقعن في اختلاف البصريين والkovfien) لأبي جعفر التحاس (ت ٣٣٨ هـ)^(١١٥)، و (الردة على ثعلب في اختلاف النحوين) لابن درستويه (ت ٤٦٣ هـ)^(١١٦)، و (الاختلاف) لعبد الله بن محمد الأزدي (ت ٨٤٣ هـ)^(١١٧)، وقد عرض الزجاجي لمسائل الخلاف في مؤلفاته ونقل حجج الفريقين قائلاً: ((وإنما نذكر هذه الأوجوبة عن الكوفيين، على حسب ما سمعناه مما يكتبه عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرین، وعلى حسب ما في كتبهم إلا أن العبارة عن ذلك بغير الفاظهم والمعنى واحد))^(١١٨).

وطريقة ابن جني في عرضه المسائل الخلافية، وأسلوب حجاجه يؤكdan أن أبا البركات الأنباري لم يكن بدعا في ترتيبه هذا، بل يقلل مسائل خلافية كاملة من مؤلفات ابن جني في كتابه (الإنصاف) ولم يغير إلا بالاختصار أو التقديم أو التأخير، أو بالعبر المرادف، من ذلك مسألة (الضمير في إياك)^(١١٩).

ويبدو مما نقله ابن جني عن ابن كيسان أن الأخير كان يرتب المسائل في كتابه (المسائل على مذهب النحوين) مما اختلف فيه البصريون والkovfien) كالترتيب الذي نجده في (الإنصاف)، ولم يشر أبو البركات الأنباري إلى ابن كيسان وابن جني، وليس من المعقول أنه لم يطلع على مؤلفاًهما، لذا نستطيع القول إن ما في (الإنصاف) مأخوذ من (نزهة العين في اختلاف المذهبين) لقطب الدين الرواندي الذي ذكره في شرح الديوان^(١٢٠)، فقطب الدين مولود قبل سنة (٥٠٠ هـ)؛ لأنه روى عن أبي علي الحداد الأصفهاني المتوفى سنة (٥١٥ هـ) في (منهاج البراعة) في شرح الخطبة الثانية^(١٢١)، وتوفي سنة (٥٧٣ هـ)^(١٢٢)، أما أبو البركات الأنباري فمولود سنة (٥١٣ هـ)، ومتوفى سنة (٥٧٧ هـ)، أي ولادته بعد ولادة قطب الدين بأكثر من ثلاث عشرة سنة، ووفاته بعد وفاة قطب الدين بأربع سنوات. وهذا يدل عدم ذكر صاحب شرح الديوان أبا البركات الأنباري وكتابه (الإنصاف)، وهذا ينسجم وأمانة الشارح في شرحه، فلا يكون هناك تعارض فيه، ولعل

((ماتنطقي مصدرية، والضمير في تحرق عائد على نار المهوى وعما تحرق متعلق بتكلّ وعمول تنطقي مخدوف على رأي البصريين في إعمال ثان الفعلين كقولك رضيت وصفحت عن زيد فحذفت عمول الأول لدلالة الثاني عليه، وحجتهم أن الثاني أقرب إلى المعمول واحتار الكوفيون إعمال الأول لأنه أسبق في الذكر وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثاني فهو دليل للبصري، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن (آتوني أُفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرَا)^(١٢٣) (هَأُمْ أَفْرَأَوا كِتَابِيَّة)^(١٢٤))، وهذا ينسجم وموقفه الفقهي من أن (أرجلكم) معطوفة على محل (برؤوسكم)؛ لأن محله النصب. وهذا الموقف والأمثلة نجدها أيضاً في كتاب (فقه القرآن)^(١٢٥) لقطب الدين الرواندي، ولم تذكر المصادر جميعاً أن ابن عدлан كان شيئاً.

الرابع عشر: يؤكـد (البيان) أمانة صاحبه، فينسب الآراء والأقوال إلى أصحابها. قال: ((هـذا قول الواحدـي، اخـتصـرهـ منـ كـلامـ أيـ الفـحـ))^(١٢٦)، ونراه يثبت جميع المسائل الخلافية، ولم يشير إلى أيـ البرـكـاتـ الأنـبـاريـ، وكتـابـهـ (الـإنـصـافـ فيـ مـسـائـلـ الـخـلـافـ)، ويـدـوـ أولـ وهـلةـ أنهـ غيرـ أمـينـ فيـ هـذـهـ النقـطةـ، وهذاـ يـتعـارـضـ وأـمـانـةـ الشـارـحـ، وـقدـ ذـكـرـتـ فيـ مـوـضـعـ سـابـقـ أنـ لـلـشـارـحـ كتابـ (نزـهـةـ العـيـنـ فيـ اختـلافـ المـذـهـبـينـ)، فـهـلـ يـعـقـلـ إـنـ كـانـ الشـارـحـ عـلـيـ بـنـ عـدـلـانـ يـفـوـتـ ذـكـرـ أـيـ البرـكـاتـ الأنـبـاريـ وـكتـابـهـ المشـهـورـ؟ـ.

قال أبو البركات في مقدمة (الإنصاف): ((وبعد، فإن جماعة من الفقهاء والمتأدبين، والأدباء المتفقهين، المشغلين بعلم العربية... سالوني أن أخلص لهم كتاباً لطيفاً، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة وال Kovfie، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب، وألف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف، ولا ألف عليه أحد من الخلف))^(١٢٧)، والحقيقة خلاف ما قاله أبسـوـ البرـكـاتـ الأنـبـاريـ؛ إذ وضـعـتـ مـصـنـفـاتـ فيـ الـخـلـافـ قـبـلـهـ، منها: (اختـلافـ النـحـوـيـنـ) لـثـعلـبـ (تـ ٢٩١ـ هـ)^(١٢٨)، وـ(ـالـمـسـائـلـ عـلـىـ مـذـهـبـ النـحـوـيـنـ)ـ ماـ اـخـتـلـفـ فـيـ

على الشيختين مكي بن ريان الماكسيني، وعبد المنعم بن صالح^(١٣٢)، فان ذكر رواية لهما، يقول: ((و به قرأت الديوان على شيخي أبي الحرم، وأبي محمد....))^(١٣٣)، و ((هي روايتي عن شيخي أبي الحرم، وأبي محمد))^(١٣٤)، وإن ذكر رواية لأحدهما يخصصه بالاسم، قال: ((سألت شيخنا أبا محمد عبد المنعم النحوي عند قراءتي عن هذا البيت...))^(١٣٥)، إلا أنني وجدت الشارح الحقيقي يذكر في (البيان في شرح الديوان) عند كلامه على بيت المشي:

والماء بين عجاجتين مخلص

ثغر قان به وتلية بيان

((قال شيخنا: لا وجه لرد الواحدي على أبي الفتح، بدليل البيت الثاني، وإذا قاتلوا عند النهر كان لما قال أبو الفتح ألف وجه لا وجه))^(١٣٦)، فقال: (شيخنا) بصيغة الفرد ولم يذكر اسمه قبل هذا الموضع في شرح القصيدة ولا بعده، وهذا دليل قاطع على أن الشارح الحقيقي قد قرأ الديوان على شيخ واحد لا شيخين اثنين. الثامن عشر: ذكر الشارح هبة الله بن الشجري المتوفى (سنة ٤٢٥ هـ) تلميد الخطيب البريزي^(١٣٧)، في مواضع كثيرة، ونقل ما اجدر الأيام والليالي

وئراه اصغر ما تراه ناطقا

ويكون اكذب ما يكون ويقسى

((قال الشريف هبة الله بن علي الشجري في أعماله ونقله بخطي....))^(١٣٨)، وفي موضع آخر ((قال الشريف هبة الله بن علي الشجري في أعماله، ونقله بخطي...))^(١٣٩)، ولم أجده ما ذكره الشارح في هذين الموضعين في اعمال ابن الشجري، وهذه دلالة قاطعة على أن الشارح أخذ عن هبة الله بن علي الشجري، وسمع منه، وقطب الدين الرواوندي تلمذ له، فالشارح إذن هو أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله ابن الحسن المعروف بـ (قطب الدين الرواوندي).

ترجمة قطب الدين الرواوندي:

هو أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن

أبا البركات الأبياري قد اطلع على مؤلفات قطب الدين الأخرى وتأثر بها، فله **طب الدين** (الإغراب في الإعراب) و (التغريب في التعريب) و (اللب واللباب) مختصر فصول عبد الوهاب بن محمد بن أيوب أبي زرعة الارديلي الصوفي المتوفى سنة (١٥٤ هـ)^(١٤٠)، أما أبو البركات الأبياري فله (الإغراب في جدل الإعراب) و (أصول الفصول في التصوف)، وشرح ديوان المشي، والاشان تلمذا لابن الشجري^(١٤١)، ويدرك أن لقطب الدين رسالة في المسائل الخلافية التي وقعت بين الشيخ المفید والمرتضی، تناول فيها حمسا وسبعين مسألة^(١٤٢).

الخامس عشر: حديث شارح الديوان عن (الري) يعني انه من أبناء تلك المنطقة، أو استقر فيها مدة، جاء في شرحه قول المشي:
يمستخشن الخز حين يلبسه

وكان يرى **ظفره** **القم**

((الخز ثياب تعمل من الإبريم، لا يخالف لها قطن ولاكتان، ولا تعمل إلا بالكوفة، وكانت تعمل بالري قديما))^(١٤٣)، وقدم لقصيدة المشي التي مطلعها:

ما اجدر الأيام والليالي

بأن تقـول ما له وما لي؟

بشيء من التفصيل، قال: ((وخرج أبو شجاع يتصد ومعه آلة الصيد، وكان يسير قدام الجيش عنة ويسرة، فلا يرى صيدا إلا صاده، حتى وصل إلى دشت الارزن، وهو موضع حسن، على عشرة فراسخ من شيراز، تحفـ به الجبال، وفيه غاب ومهـا ومروج....)). وقطب الدين كان يسكن (الري)؛ إذ ترجم له تلميذه متجب الدين علي بن بابوه الرازي في (تاريخ الري)^(١٤٤).

السادس عشر: الترتيب في تناول المادة المشروحة متماثل في (منهاج البراعة) و (البيان)، ففي (منهاج البراعة) يقول: ((ونحن نذكر الآن غريب هذه الجملة ثم نرجع إلى معناها))^(١٤٥)، فيبدأ بالغريب ثم المعنى ويختلله الإعراب، وهو ما نجده في (البيان).

السابع عشر: زعم ابن عدلان في مقدمة (البيان) أنه قرأ الديوان

رشيد الدين (ت ٥٨٨هـ) وكان متقدماً في علم القرآن، والغريب، وال نحو^(١).

٢- منتجب الدين علي بن يابسوه الرازي (٤٥٠ - ٥٨٥هـ) صاحب (تاريخ الري)، و (الفهرست)^(٢).

٣- احمد بن علي بن عبد الجبار الطبرسي القاضي.

٤- الشريف عز الدين أبو الحوت محمد بن الحسن العلوى البغدادى.

٥- ابنه أبو عبد الله الحسين بن سعيد الرواوندي نصير الدين، ذكره منتجب الدين في فهرسته، قال عنه: ((عالم صالح شهيد)^(٣)، وكتب والده بخطه إجازة له على كتاب (الخواهر) لابن الترماج^(٤)، وابنه عبد الله بن الحسين^(٥).

٦. ابنه علي بن سعيد بن هبة الله الرواوندي، وكان من جملة الأئمة الفقهاء الثقات، وروى عنه ولده محمد بن علي بن سعيد الرواوندي^(٦).

٧- ابنه ظهير الدين أبو الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله الرواوندي صاحب (عجاله المعرفة في أصول الدين)، كان من أعلام القرن السابع، وروى عنه ابنه محمد بن محمد بن سعيد بن هبة الله الرواوندي^(٧).

٨- ابنه أبو سعيد هبة الله بن سعيد بن هبة الله بن الحسن الرواوندي^(٨).

ويبدو أنه أخذ عن الشريف هبة الله بن الشجري في بغداد، وأنه سمع بعض العلماء في الحجاز^(٩)، وقد اغفل المترجمون له ذكر بعض اشعاره^(١٠) ومؤلفاته؛ فهي كثيرة تزيد على الستين مصنفاً^(١١)، والله كأن لا يصرح باسمه في اصل مؤلفاته، فقد ذكر صاحب (رياض العلماء) أن لقطب الدين كتاب (تلخيص فصول عبد الوهاب) في تفسير الآيات والروايات مع ضم الفوائد والأعبار من طرق الإمامية، وقال: ((رأيته في بلاد أردبيل وهو كتاب حسن ولكن لم يصرح في اصل الكتاب بأنه من مؤلفاته إلا أنه قد كتب على ظهره و Ashton به)^(١٢)، وهذا يفسر ما جرى لكتابه (البيان في شرح

الحسن المعروف بـ (قطب الدين الرواوندي)، الفقيه، المتكلم، المحدث، المفسر، الأديب، اللغوي، النحوي، الشاعر. قال عنه تلميذه منتجب الدين علي بن يابسوه (٤٥٠ - ٥٨٥هـ): ((عين صالح ثقة)^(١٣)، وقال عنه ابن حجر العسقلاني: ((كان فاضلاً في جميع العلوم له مصنفات كثيرة في كل نوع، وكان على مذهب الشيعة)^(١٤)، وجاء في (الغدير) ((امام من أئمة المذهب)، وعین من عيون الطائفية، وأوحدي من أساتذة الفقه والحديث، وعقبري من رجالات العلم والأدب)^(١٥).

كان يعمق ببحثه في مؤلفاته، قوياً في حجاجه، وبختصر المادة المروية مع توخي الدقة والأمانة، كحذف مقدمات الحديث والأحداث الهماسية، واسماء الرواة، وكل ذلك بأسلوب علمي أدبي، اتسم بالطراوة واللiveliness، مبتعداً عن التزويق اللغطي، فيتجلى فيها عالماً كبيراً جاماً لفنون العلم والأدب^(١٦).

كان من أسرة علمية، فجده وأبوه وأبنته وأحفاده، كلهم علماء^(١٧)، أحد عن أعلام من الخاصة وال العامة؛ إذ كان لا يتأثر بالهوى والعصبية^(١٨)، ومن هؤلاء الشيوخ:

١. أبو السعادات هبة الله بن علي الشجري (ت ٤٢٥هـ).

٢. أبو علي الطبرسي صاحب (مجموع البيان) (ت ٤٤٨هـ).

٣. أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي الفقيه المحدث الشاعر من أهل حلب ورحل إلى العراق واستغل على أبي جعفر الطوسي^(١٩).

٤- جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الاخوة الشيباني البغدادي المتوفى بشيراز سنة (٤٤٨هـ) وقيل (٤٤٥هـ)، وكان عالماً بالحديث والتفسير والنحو والأدب والانساب، وشاعراً وناثراً^(٢٠).

٥- ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن اليساوي المقرى.

٦- الأديب ابو عبد الله الحسين المؤذب القمي^(٢١).

وتعلمذ له عدد من الفضلاء منهم:

١- أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني

الديوان) من تحريف، وتلاعب، وإضاعة اسمه، قال الدكتور مصطفى جواد: ((إن قريباً من المؤلفين على اختلاف تأليفهم كانوا يقتصرون في إثبات إسهامهم في مؤلفاتهم، كأمام كانوا يجهلون أنَّ في التأليف حظوظاً وقسمها كسائر هؤلاء الدنيا فكانوا يكتفون بالاعتماد على تلامذتهم في حفظ إسهامهم وإثباتها في تلك التأليف أو يذكروها في أول الكتاب أو في النهاية، فإن ذهب أول الكتاب من كتبهم جهل وفترة الآن مزار معروف)).

الدبيان) من تحريف، وتلاعب، وإضاعة اسمه، قال الدكتور مصطفى جواد: ((إن قريباً من المؤلفين على اختلاف تأليفهم كانوا يقتصرون في إثبات إسهامهم في مؤلفاتهم، كأمام كانوا يجهلون أنَّ في التأليف حظوظاً وقسمها كسائر هؤلاء الدنيا فكانوا يكتفون بالاعتماد على تلامذتهم في حفظ إسهامهم وإثباتها في تلك التأليف أو يذكروها في أول الكتاب أو في النهاية، فإن ذهب أول الكتاب من كتبهم جهل وفترة الآن مزار معروف)).

الهوامش

١. ينظر وفيات الأعيان: ١٠٥/١.
٢. ينظر العدة لابن رشيق القبوراني: ٦٤/١.
٣. وفيات الأعيان: ١٠٥/١.
٤. ينظر المصدر نفسه: ٢٨٦/٢.
٥. ينظر أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين د. عبد الله الجبوري: ٣٨٧، وال نحو في شروح ديوان المتنبي حسن متليل حسن العكيلي: ٤٠.
٦. ينظر بغية الوعاء: ٢٢١ وفي التراث العربي: ٢٤١/٢.
٧. ينظر في التراث العربي: ٢٤١/٢.
٨. ينظر المصدر نفسه: ٢٤٢/٢ - ٢٤٩.
٩. ينظر المصدر نفسه: ٢٥٠/٢ وما بعدها.
١٠. البيان: ٤١١/٢، مطبعة الشرفية.
١١. المصدر نفسه: ٣٠٧/١.
١٢. مسائل خلافية في التحو: ٥٩.
١٣. الانتخاب لكشف الآيات المشكلة الإعراب: ٢٣٣.
١٤. ينظر نحو في شروح ديوان المتنبي، حسن متليل حسن العكيلي: ٤٢.
١٥. الخصائص: ٣٨٧/٢.
١٦. ٢١٥/١.
١٧. المسألة (١٣): ١٠٥٩، ٥٧/١، ٦٠، ٥٩، ٢٠٩، وينظر شرح الكافية للرضي: ١/٨٢ - ٨١.
١٨. ٢٢٦.
١٩. سورة البقرة: ٢٨٢.
٢٠. النكت في تفسير كتاب سيدويه: ١/٣٥٧.
٢١. البيان: ١٥٥/١ طبعة الشرفية، وينظر: ١/٣٠٩.
٢٢. ينظر في التراث العربي: ٢٤٨.
٢٣. ينظر البيان: ١/٥٨ طبعة الشرفية.

٤٥. ينظر الكتاب: ١٥٣/١ بولاق، وشرح أبيات سبويه: ١٤١، والذكت في تفسير كتاب سبويه: ١/٣٦٣، ونماج العروس للمرسيدي (مادة تلف) ٣٧٨/٣، وديوان المذلين: ١٩٥/٢.
٤٦. البيان: ٤/٣٨٢ طبعة مصطفى الباجي.
٤٧. ينظر فوات الوفيات: ٤٣/٢ - ٤٥، والجروم الراهرة: ٣/٢٢٦، وبغية الوعاة: ٣٤٣، والأعلام: ١٥٢/٥.
٤٨. البيان: ٤/٥٠ طبعة مصطفى الباجي.
٤٩. ينظر: ١/١٥٦.
٥٠. ينظر: ٤/٢٢٨.
٥١. ينظر: ٥/٣٨٤ - ٣٨٥.
٥٢. ينظر فهرست منتب الدين: ١٧٢، وطبقات أعلام الشيعة: ٢٠٥، وروضات الجنات: ٤/٧ ومقدمة عجالة المعروفة في أصول الدين: ١٠.
٥٣. ينظر: ٦٨.
٥٤. ينظر بغية الوعاة: ٦/١٠، والأعلام: ٧/٩٩.
٥٥. ينظر معجم المؤلفين: ٤/٤ - ٢٤٤، بغية الوعاة: ٨/٣٢٨.
٥٦. ينظر المصدر نفسه: ٥/١٥٥.
٥٧. ينظر مقدمة الخرائج والخرائح: ١/١.
٥٨. ينظر مقدمة الخرائح والخرائح: ٢/٢٧١.
٦٠. سورة الرحمن: ٢٢.
٦١. فقه القرآن: ٢/١٩٥.
٦٢. النساء من الآية: ٩٢.
٦٣. فقه القرآن: ٢/٤١٢.
٦٤. ينظر معان القرآن للقراء: ١/٧، ومحالس ثعلب: ٢/٥٢٩، والمدارس النحوية ٥. خديجة الحديشي: ٧/٢٣٧.
٦٥. ينظر مقدمة القرآن: ١/٣٣٨.
٦٦. ينظر المصدر نفسه: ١/٣٥٧.
٦٧. البيان: ١/٣٤ طبعة الشرفية.
٦٨. المصدر نفسه: ٤/٤ طبعة مصطفى الباجي.
٦٩. المصدر نفسه: ٤/٥٢، وينظر: ٣/٢١٢.
٧٠. المصدر نفسه: ١/٢١٣ طبعة الشرفية، وينظر: ١/١٥٦ و ١٥٩ و ٢١٥ و ٤١٧.
٧١. المصدر نفسه: ٤/٤ طبعة مصطفى الباجي.
٧٢. المصدر نفسه: ٤/١٦٦، وينظر مقدمة الدعوات: ٦/٧٣.
٧٤. النساء من الآية: ٢/١٠٢.
٩١. علي بن الحسين المعروف بالمرتضى، علم الهدى أخو الشريف الرضا ونقيب العلويين. تفرد في علوم كثيرة مثل الكلام والفقه وأصوله واللغة والنحو والشعر. من مصنفاته الأهمي. ولد سنة (٣٥٥هـ)، وتوفي سنة (٤٣٦هـ). ينظر بغية الوعاة: ٣٢٦، والكتاب والألقاب: ٤٨٠/٢.
٩٢. أبو عبد الله محمد بن محمد بن العمأن بن عبد السلام البغدادي، شيخ مشايخ الشيعة الإمامية، برع في الفقه والحدائق. ولد سنة (٣٣٦هـ)، وتوفي سنة (٤١٣هـ). ينظر الكتب والألقاب: ٣/١٩٧.
٩٣. البيان: ١/٤٩ طبعة الشرفية، وينظر: ١/٤٦٦ و ٤/٧٦ - ٧٧ طبعة مصطفى الباجي.
٩٤. ١/٩٤ - ٦٧، وينظر: ١/٣٩٠.
٩٥. ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣/٢٤٢.
٩٦. البيان: ١/٣٨٨ - ٣٨٧ طبعة الشرفية وينظر: ١/٣٩٠ طبعة مصطفى الباجي.
٩٧. ينظر فهرست منتب الدين: ٦٨، وطبقات الشافعية الكبرى: ٧/٤٦.
٩٨. ١/٩٢ - ١٩١ وينظر البيان: ١/١١٦ طبعة الشرفية.

٩٩. ينظر منهاج البراعة: ٢٥٥/١ - ٣٥٦، والبيان: ٣١٥/٤ و ٣١٥/٣، والمصدر نفسه: ٣١١/٣، وينظر: ٢٥٥/٤.
١٠٠. ينظر مقدمة الحصانص: ٢٤٦/٣، والبيان: ٣٣٩/١ طبعة الشرفة.
١٠١. ينظر مقدمة الحصانص: ٣٧.
١٠٢. البيان: ٣١٢/٣ طبعة مصطفى الباي.
١٠٣. المصدر السابق: ٩٩ طبعة الشرفة، وينظر: ١٩٦/٣ و ٥٣/٤ طبعة مصطفى الباي.
١٠٤. الأنعام من الآية: ٨٤.
١٠٥. البيان: ١٠١/١ طبعة الشرفة، وينظر: ١٨٦/٣ طبعة مصطفى الباي.
١٠٦. المائدة من الآية: ٦.
١٠٧. الكهف من الآية: ٩٦.
١٠٨. الحاقة من الآية: ١٩.
١٠٩. البيان: ٤٤ طبعة الشرفة.
١١٠. ينظر: ٤٢/١ - ٤٤.
١١١. البيان: ٣٦٢/٣ طبعة مصطفى الباي، وينظر: ١١٧/١ و ٣٣٨/٣ و ٣٣٨/٣ و ٣٨٠/٥: ١٤١.
١١٢. ٣/١١٢.
١١٣. ينظر مقدمة الخرائج والجرائح: ٩/١، وفقه القرآن: ١٩/١.
١١٤. ينظر مقدمة الخرائج والجرائح: ٨/١.
١١٥. ينظر انباه الرواى: ١٠٣/١.
١١٦. ينظر الفهرست: ١٠٠، وترهة الآباء: ١٩٨.
١١٧. ينظر بغية الوعاة: ٣٢٠، ومعجم المؤلفين: ٢٤٤/٦.
١١٨. الإيضاح: ١٢١.
١١٩. ينظر سر صناعة الإعراب: ٣١١/١ - ٣١٦، والإنصاف المسألة ٣٧١ - ٣٦٦/٢ (٩٨).
١٢٠. ينظر البيان: ١٢٩/١ طبعة الشرفة.
١٢١. ينظر مجلة تراثنا: ٢٥٧/٣٩.
١٢٢. ينظر معالم العلماء لابن شهر آشوب: ٥٥.
١٢٣. ينظر مقدمة فقه القرآن: ٢٠/١ - ٢٢، ومجلة تراثنا: ٢٨٣/٣٩.
١٢٤. ينظر بغية الوعاة: ٣٠٢ - ٣٠١، والغدیر في الكتاب والسنّة والأداب: ٣٨٠/٥ - ٣٨٤.
١٢٥. ينظر مقدمة منهاج البراعة: ٦٠/١.
١٢٦. البيان: ٤/٥٩ طبعة مصطفى الباي، وينظر: ٣٠٨/٣ و ٣٠٨/٤ طبعة التجف.

١٣. الخراج والجراج — قطب الدين الرواندي (ت ٧٣٥ هـ) تحقيق موسسة الإمام المهدى — قم.
١٤. خريدة القصرين وجريدة العصر — عماد الدين الأصبغى الكاتب (ت ٥٩٧ هـ) — تحقيق محمد مجحة الأثري — سلسلة كتب التراث — بغداد ١٩٧٦ م.
١٥. الحصائص — ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) — تحقيق محمد علي النجار — دار الكتب المصرية.
١٦. الدعوات (سلوة الحزين) — المولى أبو الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الرواندي (٥٧٣ هـ) — مشورات مدرسة الإمام المهدى — قم.
١٧. ديوان حسان بن ثابت — تحقيق فوزي عطوي — دار صادر ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م.
١٨. ديوان المذلين — دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٦٥ م.
١٩. الدررية إلى تصانيف الشيعة — آغا زرك الطهراني (ت ٥١٢ هـ) — ط ٣ — دار الأضواء بيروت ١٤٠٣ هـ.
٢٠. روضات الجنات في أحوال العلماء والسداد — الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهانى (ت ١٣١٣ هـ) — تصحيح محمد علي الروضانى الأصفهانى ط ٢٤٧ هـ.
٢١. در صناعة الإعراب — ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) — تحقيق مصطفى السقا، محمد الزفاف، وإبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين — مطبعة مصطفى البابا الحلبي — مصر ١٩٥٤ م.
٢٢. شرح أبيات سيبويه — أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٨٨ هـ) — تحقيق أحمد خطاب — مطبع المكتبة العربية — حلب — ١٩٧٤.
٢٣. شرح ديوان جرير — تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي — مشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.
٢٤. شرح الكافية في التحو — رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذى (ت ٦٨٦ هـ) — دار الكتب العلمية — بيروت.
٢٥. شرح الفصل — ابن يعيش (٥٥٣ — ٦٤٣ هـ) — عالم الكتب — بيروت.
٢٦. شرح فتح البلاغة — ابن أبي الحديدة (٥٨٦ — ٦٥٦ هـ) — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — دار الجليل — بيروت — ط ١٤٠٧ — ١٩٨٧.
٢٧. الفراط المستقيم إلى مستحقى القدام — زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملى الباطى البياضى (ت ٨٧٧ هـ) — تحقيق محمد الباقر البهوى — مطبعة الحيدرى.
١٦٠. المصدر نفسه.
١٦١. في التراث العربي: ٢٤٠/٢ — ٢٤١.
١٦٢. ينظر مجلةتراث: ٢٥٧/٣٩.
١٦٣. ينظر الفهرست لتجذب الدين: ٦٨، ومقدمة فقه القرآن: ٢٠/١ — ٢١، والذرية: ٥٥/١٣، والكنى والألقاب: ٦٢/٣ — ٦٣.

أطصاد وآدلة

١. القرآن الكريم.

٢. أبو الطيب المنبي في آثار الدارسين — الدكتور عبد الله الجبوري — دار الحرية للطباعة — بغداد ١٢٩٦ — ١٩٧٨ م.

٣. الأعلام — خير الدين الزركلي — دار العلم للملايين — ط ٥ — بيروت.

٤. الأمالي الشجرية — ضباء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي ابن حزرة العلوى ابن الشجري — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.

٥. انباه الرواة على انباه الحجاة — جمال الدين القفطي (ت ٥٤٦ هـ) — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — مطبعة دار الكتب المعاشرة — القاهرة — ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م.

٦. الانتخاب لكشف الآيات المشكلة بالإعراب — علي بن عدلان (٥٨١ هـ) — تحقيق الدكتور حاتم صالح الصافى — مجلة المورخ — المجلد الثانى عشر — العدد الثالث — ١٤٠٣ — ١٩٨٣.

٧. الإنفاق في مسائل الخلاف — أبو البركات بن الأبيساري (١٣٥٧ هـ) — تحقيق محمد عخي الدين عبد الحميد — مطبعة السعادة — ط ٣ — مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥.

٨. الإيضاح في علل النحو — أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) — تحقيق الدكتور مازن المبارك — مطبعة المدى — مصر — ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م.

٩. بغية الطلب في تاريخ حلب — كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده (٧٤٠ هـ) — تحقيق الدكتور سهيل زكار — ط ١ — دار الفكر — بيروت ١٩٨٨ م.

١٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) — تصحيح محمد أمين الحافظي — مطبعة السعادة — ط ١ — مصر ١٣٢٦ هـ.

١١. البيان في شرح الديوان — شرح ديوان المتبي المسووب خطأ إلى أبي البقاء العكربى (٥٣٨ — ٥٦١٦ هـ) — ط ١ — المطبعة الشرفية ١٣٠٨ هـ.

١٢. البيان في شرح الديوان — المسووب خطأ إلى أبي البقاء العكربى (٥٣٨ هـ) — ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الإيارى وعبد الحفيظ شلبي — مطبعة مصطفى البابا الحلبي — مصر ١٣٥٥ — ١٩٣٦ م.

٤٣. لسان الميزان — احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٧٧٧هـ) — ط٣—١٤٠٦هـ — مؤسسة الأعلمى للمطبوعات — بيروت — ٢٠٠٥هـ — ١٩٨٦م.
٤٤. مجالس ثعلب — أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) — شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون — دار المعارف — مصر.
٤٥. مجلة تراثنا — نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث — ط٣ — مطبعة ستاره — قم ١٤١٥هـ.
٤٦. المدارس التعوية — الدكتوره خديجة الحديثي — مطبعة جامعة بغداد ١٤١٦هـ — ١٩٨٦م.
٤٧. مسائل خلافية في النحو — أبو القاء العكيري (٥٣٨هـ) — تحقيق محمد خير الحلواني — ط١ — دار الشرق العربي — بيروت ١٩٩٢م.
٤٨. معالم العلماء — ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ) — مطبعة قم.
٤٩. معاني القرآن — أبو زكريا يحيى بن زياد القراء (٢٠٧هـ) — ج١ — تحقيق أحمد محمد يوسف نجاشي — محمد علي التجار — القاهرة — ط١ — ١٤٣٧هـ — ١٩٥٥م، وج٢ — تحقيق محمد علي التجار — الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، وج٣ — تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي، وعلى النجدي ناصف — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
٥٠. معجم المؤلفين — عمر كحاله — دمشق ١٩٦٠م.
٥١. منهاج البراعة في شرح فتح البلاغة — قطب الدين سعيد بن هبة الله الروايني (٥٧٣هـ) — تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري — مكتب آية الله المرعشى العامة ١٤٠٦هـ.
٥٢. الجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — ابن تغري بردي (٨٧٤هـ) — القاهرة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م.
٥٣. النحو في شروح ديوان المنبي — حسن متليل حسن العكيلي — رسالة ماجستير — جامعة الموصل — كلية الآداب ١٤١٢هـ — ١٩٩١م.
٥٤. نزهة الالباء في طبقات الأدباء — أبو البركات بن الانباري (٥١٣هـ) — تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي — مطبعة المعارف — بغداد ١٩٥٩م.
٥٥. النكت في تفسير كتاب سيبويه — الأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) — تحقيق زهير عبد الحسن سلطان — منشورات معهد المخطوطات العربية — ط١ — الكويت ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.
٥٦. نكت الحمياني في نكت العمياني — صلاح الدين خليل بن اييك الصفدي (٧٦٤هـ) — المطبعة الجمالية — مصر ١٩١١م.
٥٧. وفيات الأعيان وابباء الزمان — شمس الدين بن خلكان (٦٨١هـ) — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — القاهرة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م.
٢٨. طبقات أعلام الشيعة — الأنوار الساطعة في المائة السابعة — آغا بزرگ الطهراني (١٣٨٩هـ) — تحقيق علي نقى مزروى — دار الكتاب العربي — بيروت — ١٩٧٢م.
٢٩. طبقات الشافعية الكبرى — تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) — ط١ — المطبعة الحسينية المصرية.
٣٠. عجالة المعرفة في اصول الدين — ظهير الدين أبو الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله بن الحسن الروايني — تحقيق محمد رضا الحسيني الحلالي.
٣١. العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده — أبو الحسن بن رشيق القسرواني الأزدي (٤٥٦هـ) — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — ط٣ — مطبعة السعادة — مصر ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م.
٣٢. الغدير في الكتاب والسنة والأدب — عبد الحسين احمد الاميني النجفي — دار الكتاب العربي — بيروت — ط٣ — ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م.
٣٣. فقه القرآن — قطب الدين الروايني (٥٧٣هـ) — تقديم محمد جواد الخنجر السعدي — مطبعة الآداب — النجف الأشرف ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م.
٣٤. فقه القرآن — قطب الدين الروايني (٥٧٣هـ) — تحقيق احمد الحسيني — مطبعة الولاية — قم — ط٢ — ١٤٠٥هـ.
٣٥. الفهرست — ابن الدين (٣٨٥هـ) — مطبعة الاستقامة — القاهرة.
٣٦. الفهرست — متجب الدين علي بن بابويه الرازي (٥٨٥هـ) — تحقيق الدكتور سيد جلال الدين الحيث الأموي — مطبعة مهر — ١٣٦٦هـ.
٣٧. فوات الوفيات — محمد بن شاكر بن احمد الكتبني (٧٦٤هـ) — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — مطبعة السعادة — مصر ١٩٥١م.
٣٨. في التراث العربي — الدكتور مصطفى جواد — تقديم وإخراج محمد جليل شلش، وعبد الحميد العلوجي — دار الرشيد للنشر — سلسلة كتبتراث (٧٦) — ١٩٧٩م.
٣٩. الكتاب — سيبويه (١٨٠هـ) — ط١ — المطبعة الكبرى الأمريكية — بولاق — مصر ١٣١٦هـ.
٤٠. الكتاب — سيبويه (١٨٠هـ) — تحقيق عبد السلام محمد هارون — دار العلم ودار الكتاب العربي — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٦٦م — ١٩٦٧م.
٤١. كشف الظنو عن أساسى الكتب والفنون — حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) — دار إحياء التراث العربي — بيروت.
٤٢. الكنى والألقاب — عباس القمي — المطبعة الحيدرية — الحجف الأشرف ١٣٧٦م — ١٩٥٦م.

أخبار الزان العربي

أعداد
حسن عرببي الخالدي

محمد الطائي، رسالة دكتوراه في الفلسفة اليونانية، جامعة بغداد، ... - ٢٠٠٣، ٢٢١ ص.

** الدرس الصوبي عند الكوفيين المرحوم د: خليل ابراهيم العطية. مجلة الدراسات اللغوية (الرياض) ع ٣، مج ٥ (١٤٢٤) - ٩٥ ص (٢٠٠٣) - ١٤١.

** دعوة الأطباء صفحات من الأدب الطي العربي - لابن بطلان المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المصري الطيب الراهن (ت ١٠٦٦ هـ / ١٤٥٨ م) تتح عزت عمر، ط - ١، دمشق، دار الفكر، ... - ٢٠٠٣، ٢٠٨ ص.

** الدكتور جودت الركابي (١٩١٣ - ١٩٩٩) حياته واعماله - خير الله الشريف. مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ٤، مع ٧٩ (٢٠٠٤) - ١٤٢٥ ص ٨٩١ - ٩١٠.

** أدلة النحوية في كتاب المقتصب للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) - سامي ماضي ابراهيم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة المستنصرية (بغداد) ... - ٢٠٠٣، ١٨٩ ص.

** دور طرابلس المغربي في تأصيل الحركة الفكرية على عهد

** دار الحديث الأشرفية بدمشق - محمد مطبع الحافظ، ط - ١، دمشق، دار الفكر، ... - ٢٠٠١، ٣٣٦ ص.

** دراسات في علم المخطوطات والبحث البيلوجرافي - أحد شوقي بين، ط - ٢، مراكش، طبع المطبعة والوراقه الوطية، ... - ٢٠٠٤.

** الدراسات اللغوية في تفسير (الباب في علوم الكتاب) - اسماعيل عباس حسين الكعبي. رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، الجامعة المستنصرية (بغداد) ... - ٢٠٠٣، ١٩٧ ص.

** الدراسات النحوية عند عبد القاهر الجرجاني في كتاب (المقتضى) - جاسم محمد سلمان، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها الجامعة المستنصرية (بغداد) ... - ٢٠٠٣، ٢٦٨ ص.

** دراسات ونصوص لغوية - تقديم وتحقيق وشرح وصنعة د: محمد ابراهيم البنا، ط - ١، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦، مختلف الترميم.

** دراسة تحليلية لمفهوم اللذة في الفكر الفلسفى - حسن جمود

- الحفصين عبد الحميد بن أبي الدليا اثوذجا — محمد مسعود جيران. اعمال ندوة التواصل الفقهي بين اقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب ص ٤٩ — ٨٠.
- ** دورة صناعة المخطوط العربي الاسلامي من الترميم الى التجليد والدوره الثالثة ... ١٩٩٩ ط ١ دي، الامارات العربية المتحدة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ... ٢٠٠٢، ٥٢٨ ص.
- ** كتاب الديات لابن اي عاصم (البسيل) احمد بن عمرون الضحاك الشيباني المحدث القاضي (٢٠٦ - ٥٩٢ هـ / ٨٢٢ - ١١٩٦) تحرير: حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، طبع مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤ - ٢٥٣ ص.
- ** ديوان ابن مطروح القوسي المصري (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ / ١١٩٦ - ١٢٥١) تحرير: حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، طبع مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤ - ٢٠٠١، ٤٠٢، ٤٠١ ص.
- ** ديوان ابن حجر وما عليه من مستدركات: دراسة تقييمية نقدية — د. عبد الرزاق حويزي، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية (عمان) ع ٦٩ (١٤٢٦) - ٢٠٠٥، ١١ - ٦٤.
- ** ديوان الحسين بن الضحاك المتوفى سنة ٥٢٥هـ — جمع وتحقيق د: جليل ابراهيم العطية، ط ١، كولونيا (المانيا) منشورات الجمل، ... ٢٤٦، ٢٠٠٥ ص.
- ** ديوان خالد الكاتب المتوفى عام ٥٢٦هـ / ٨٧٦ م — دراسة وتحقيق كارين صادر، ط ١، دمشق، مديرية احياء ونشر التراث العربي، وزارة الثقافة، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦، ٤٧٢ ص.
- ** ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز (٣٢٥) - ٩٣٧ / ١٠٠٢ (١٠٠٢ - ٩٣٧) جمع وتحقيق: سعيد ابراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، ... ٢٠٠٣ ص.
- ** ديوان الهجاء — هادي العلوى، ط ١، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ... ٢٠٠٣، ٣٢٠ ص.
- ** ذات القوافي قصيدة في ثلاثين قافية بمدح سيد الوجود محمد رضوان الداية، ط ٣، دمشق، دار الفكر / ... ٢٠٠٣،

قراته وعلقت عليه: حياة قارة. مجلة الدراسات اللغوية
الرياض) ع٣، مج٥ (١٤٢٤ - ٢٠٠٣) ص ١٤٥ - ١٦٩

** الرسالة السمرقندية في الاستعارات - لابي القاسم السمرقندى محمد بن يوسف بن محمد العلوى الحنفى الفقىه المتكلم (ت ١١٦١ / ٥٥٥ م) ترجمة: عدنان عمر الخطيب، دمشق، دار العصماء، ٢٠٠٥.

رسالة في (سوى) — عبد الرحمن بن محمد العمار، مجله الدراسات اللغوية (الرياض) ع١٤٢٥، مج٦ (١٤٢٥) — ١٥٥ - ١٢١ (٢٠٠٤) ص

* رسالة في السياسة الشرعية — ببرم الاول محمد بن حسين
 (١٢١٤هـ) تج: محمد صالح العسلي، راجعها وقدم لها داد:
 عز الدين بن زغية، طـ ١، دي، الامارات العربية المتحدة،
 نشرات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ... - ٢٠٠٢، ص ٢١٩.

* رسالة في الفرق بين النعت والبدل وعطف البيان - لابن السيد البطليوسى أبي محمد عبد الله بن محمد النحوى اللغوى (٤٤٤-٥٥٢هـ) - ١١٢٧م. قرأها وعلق عليها: وليد محمد السراقبى. مجلة الدراسات اللغوية (الرياض) ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص ١٢٣-١٧٣.

رسالة القضاة بين سبوبه والكسائي والفراء في المسألة
الزنورية المفرونة بالشهادة الوروية للاعلام الشنيري ابي
المجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الاندلسي الأديب
اللغوي النحوي (٤١٠ - ٤٧٦ هـ / ١٠١٩ - ١٠٨٤ م).

نشر أول مرة على نسخة خطية فريدة. ترجمة: حياة قادة. مجلة
الدراسات اللغوية (الرياض) ع ٢، مج ٧ (١٤٢٦) -

(ص) لابن الدريهم تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز
الموصلي الدمشقي (٧١٢ - ٧٦٢هـ / ١٣١٢ -
١٣٦١هـ) ترجمة: محمد حسان الطيان، الكويت، مجلس النشر
العلمي، سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٤،
الرسالة - ٢١١، ... - ٤٠٠ م.

* ذكر الخط والقلم لابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة اللغوي النحوي (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م). جهرة الاسلام ذات النثر والنظام للشیرزي. ترجمة د. محمد ابراهيم حورج ج ٢ / ص ٦١٩ - ٦٣٣.

** ذيل الاعلام معجم تراجم لشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين - احمد العلاونة، ط - ١، جدة، دار المثارة للنشر والتوزيع، ١٤١٨ - ١٤٢٢ هـ / ١٩٩٨ - ٢٠٠٢ م، ١ - ٢ ج، ٣٦٨ ص + ٣٦٩ ص.

1

** رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام الى البلد الحرام — سعد
بن احمد الربيعة، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣م، الكتاب الرابع، العدد ٤

** الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي ٥١٣ - ٥٥٩٢ هـ / ١١١٩ - ١١٩٦ م. دراسة وتحقيق د: محمد ابراهيم البنا. دراسات ونصوص لغوية. ص ٥ - ١٥٤.

** ردود ابن الحاجب على النحوة في كتابه الايضاح في شرح المفصل - علي اسد موسى، رسالة ماجستير في اللغة العربية، وأدابها، الجامعة المستنصرية (بغداد) ... - ٢٠٠٣، ص. ٤٥٠.

رسالة سر المسائل ورد الاجوبة وفق المسائل، لابن الفخار
 (البطشي) ابي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيعي الاشبيلي
 الاندلسي الاديب (١١٩٥ - ١٢٦٨)

- ١٠٧٣م) تتح: النبوي شعلان القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ...— ٢٠٠٣م.
- اللهم ..
- ** الشاعر الكحال محمد بن دانيال الموصلي دراسة موضوعية وفنية — مصطفى ابو العلا، الاسكندرية (مصر) منشأة المعارف، ...— ٢٠٠٢، ٣٢٤ ص.
- ** شخصيات قلقة في الاسلام — هادي العلوى. ط— ٣، دمشق، دار المدى ل الثقافة والنشر، ...— ٢٠٠٤، ٣٠٤ ص.
- ** شخصية رائعة في الاسلام رابعة العدوية — حسن الفكيكي، ط— ١، طبع مطبعة الواقع، ١٤٢٧— ٢٠٠٦، ١٥٥ ص.
- ** شرح اختبارات المفضل بن محمد الضبي (المفضليات) — لابن الخطيب التبريزى ابى زكريا يحيى ابن علی بن محمد الشیانی التحوى اللغوي (٤٢١— ١٠٣٠هـ / ١١٠٩م)
- تح د: فخر الدين قباوة، ط— ٣، دمشق، دار الفكر، ...— ٢٠٠٣، ٢٠٤٨ ج، ٢٠٤٨ ص.
- ** شرح كتاب (الحمل) للزجاجي — لابن باشاذ ابى الحسن طاهر بن احمد بن باشاذ القاهري المصري التحوى (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م) دراسة وتحقيق حسين علي لفترة السعدي. رسالة دكتوراه في اللغة العربية وأدابها، جامعة بغداد، ...— ٢٠٠٣، ٧٩٩ ص.
- ** شرح كتاب الحمامة لابي تمام — لابي القاسم زيد بن علي بن عبد الله الفسوی الفارسي الطراطلسی الدمشقی الخلی (ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) دراسة وتحقيق د: محمد عثمان علي، ط— ١، منشورات دار الاوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، ...— ١، ٣١٨ ج، ٤١٨ ص + ٥١٩ ص + ٥١٩ ص. الجزء الأول (الدراسة) بعنوان: شروح حمامة ابى تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها.
- ** الرسالة الناصحة للزمخنوري جار الله ابى القاسم محمود بن عمر بن محمد التحوى اللغوي (٤٦٧— ١٠٧٥هـ / ١١٤م) حرقها على مخطوطه لمخطوطة لمخطوطة الاستاذ المتقى هارا ناجي. نصوص ودراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية الاستاذ رمضان عبد التواب ص ٢٥١— ٢٧٠ رسالتان فريدتان للزمخنوري ص ٢٤— ٥٠.
- ** رسالتان فريدتان للزمخنوري تح الاستاذ الحفق هلال ناجي ط— ١، بغداد، منشورات القرآن للنشر والتوزيع، ١٤٢٧— ٢٠٠٦، ٦٨ ص.
- ** الرق في بلاد المغرب والأندلس — عبد الله بن مليح، ط— ١، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ...— ٢٠٠٤، ٦٣٢ ص.
- ** الروض الناصم والنفر الباسم — للصفدي صلاح الدين ابى الصفاء خليل بن ابيك بن عبد الله الشافعى الاديب المؤرخ (٦٩١— ١٢٩٧هـ / ١٣٦٣م) تح: محمد عبد المجيد لاشين، ط ١، القاهرة دار الآفاق العربية، ...— ٢٠٠٤.
- ** زيادة الخليل في معرفة المغرب والدخليل — هادي عطيه مصر. نصوص ودراسات لغوية مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية ص ١٤٧— ١٦١.
-
- ** زكي المحسني: المربى الاديب والشاعر الناقد — سماء زكي المحسني، دمشق، دار القلم، ...— ٢٠٠٤، علماء ومفكرون معاصرؤون — ٢٣.
-
- ** سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ابى محمد عبد الله ابى محمد بن سعيد الخلبي الشاعر الاديب (٤٢٣— ٤٦٦هـ / ١٠٣٢)

شرح المكودي على الفية ابن مالك.. للمكودي أبي زيد

١٥٧ ص.

* شعراً الموضوع الواحد في العصر العباسي - د: محمد حسين الاعرجي، نصوص ودراسات مهداة لشيخ المدرسة الرمضانية الاستاذ: رمضان عبد التواب.. ص ٦٥١ - ٦٧٠.

** شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام (أ - ح) - لشوان بن سعيد بن نشوان الحميري اليمني (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م) تحرير د: محمد احمد الدالي، ط - ١، دمشق، دار الفكر، ... - ١١٣٦، ٢٠٠١ ص.

** الشهادة والشهيد في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي دراسة موضوعية فنية - عبد الرحمن مرضي علاوي الجبيلي، ط - ١، القاهرة، منشورات دار الثقافة الدينية، طبع دار المصري للطباعة، ١٤٢٥، ٢٠٠٥ - ٣٨٥ ص.

** شواهد الخليل في كتاب العروض وما لكل منها مما جاء في ، العقد (الفرید) لابن عبد ربه - سليمان أبو سنة، مجلة الدراسات اللغوية (الرياض) ع ٦ (١٤٢٥ - ٢٠٠٤) ص ٤٣ - ٣٠٨ .

** شوقي ضيف سيرة وتحية دراسات في الادب والقىد واللغة والتراث - اعداد وتقديم: طه وادي، ط - ٣، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ... - ٢٠٠٣، ٥٤٩ ص.

** شيخ الاسلام ابن تيمية وقواعد الفقه - خالد سليمان الفهداوي، مجلة البحوث والدراسات الاسلامية (بغداد) ع ١ (٢٠٠١) ص ٤ - ٢٧ .

٧ هـ / ١٤٠٥ م) تحرير د: فاطمة الراجحي، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ... - ١، ٢٠٠٣ - ٢ ج.

** الشرق والغرب والتواصل بينهما: حافظ الشيرازي ويوهان فون غوتي مثال هذا التواصل - عبد الكريم البافى، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٢، مجلد ٨٠ (١٤٢٦ - ٢٠٠٥) ص ٢٤٧ - ٢٥٦ .

** شعر ابن لثك البصري حرقه وقدم له الاستاذ د: زهير غازي زاهد، ط - ٢، كولونيا (المانيا) منشورات الجمل، ... - ٩٥، ٢٠٠٥ ص.

** شعر عبد الله بن ايوب التيمي (ت ٢٠٩ هـ) جمع وتحقيق د: حمد بن ناصر الدخيل، القاهرة، منشورات معهد الخطوطات العربية، - ٢٠٠١ .

** شعر المقاومة في الاندلس من عصر ملوك الطوائف حتى سقوط غرناطة - زياد طارق لغة العبيدي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، جامعة بغداد، ... - ٣٠٣، ٢٠٠٣ - ٤٢ ص.

** شعراً بصريون مغمورون بين الفن والالتزام - المرحوم د: عدنان عبيد العلي، ط - ١، عمان (الأردن) دار زهران للطباعة والنشر، ... - ٢٠٠٣، ١٤٥ ص.

** شعراً معزولة دراسة فكرية وفنية حتى نهاية سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ - المرحوم د: عدنان عبيد العلي، ط - ١، عمان